كتاب

لوامع الانوار وروض الازهار
فى الرد على من انكر على المتكلمين بالسنة
الاحوال والاسرار والحمد لله
على كل حال آمين

لملتزمه الاستاذ الشيخ الفاضل احمد محمد ضيف بالازهر الشريف

طبع بمطبعة السعادة بسكة النبوية بمصر سنة ١٣٢١ هجرية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابرز ما كان في حيز العدم وأودع في كل موجود من بدائع الحكم واطلع من اختار على السر المصون وانطق بتسبيحه وتحميده كل مخلوق واسرى سر صنعه في سائر المكنونات كفجر العيان وشمس الشروق كذا الملائكة الذين يسبحونه بالليل والنهار لايفترون فكل مخلوق مقر بوجود الخالق وكل صامت في الحقيقة ناطق ولاينكر ذلك الا الضالون غير ان بعضهم ناطق بلسان حاله وبعضهم ناطق بلسان مقاله وان كانوا لذلك لايفقهون الا ان لسان الحال أفصح من لسان المقال وأصدق من كل مقال كما قال الأئمة الهادون لان لسان الخبر يحتمل التكذيب والتصديق ولسان العين لا ينطق الا بالصدق والتحقيق ولا يعقل ذلك الا العالمون والناطق بلسان الحال مخاطب لذوي الاحوال والناطق بلسان المقال مقابل لاهل الصحة والاعتلال فالسابقون

السابقون أولئك المقربون الذين صانهم الله عن الاغيار وسترهم الله عن أعين الفجار لانهم عرائس ولا يرى العرائس المجرمون الذين اذا مر بهم فتى من أرباب الاحوال الصادقين الراسخين في مجال الرجال سبوه الى البهتان والجنون وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون يعترضون على احوالهم ويخوضون بجهلهم في مقالهم وبهم يستهزؤن « الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون » وكيف يعترض على من أباحهم الله حضرة قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه فهم بين يديه متأدبون والمنكر عليهم عنه مبعدون وولّه عقولهم في انعام عظمة ذاته فجعل همهم به واحداً ولم يروا في الدارين غيره مشاهداً فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثارته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لاهجين بصادق قوله (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الامين الذي جاء بالصدق ونطق بالحق اليقين وابرز ما أخفي من دقائق العلوم وأوضح ما أشكل من غوامض الفهوم حتى فتح الله به أعيناً عميا وقلوباً غلفا وآذاناً صما فآمن به وعززهُ ونصرهُ من جعل الله لهُ في مغنم السعادة اقسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) وعلى آله وأصحابه الذين أوردهم الله موارد الشهود واذاقهم لذة مناجاته في القيام والركوع والسجود وانطقهم بالحكم والحكمة وبراهم من العيب والوصمة وجعلهم خير الامم

(وبعد) فيقول راجي عفو ربه العلي المفتقر الى مزيد احسانه عبد الحافظ ابن علي المالكي مذهباً الخلوتي طريقة الضيفي مشرباً غفر الله له ولوالديه ولمشايخه واخوانه والمسلمين بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . قال تكرر علي

السؤال المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة في مدة مديدة وأعوام عديدة من
جم غفير وجمع كثير من الفقراء أرباب الاحوال اجزأ الله لي ولهم الفضل
والنوال انهم عند الذكر والسماع وطيب الوقت وصفائه من التراع تهب عليهم
نسمات رحمانية وجزبات ربانية وفيوضات وافرة وسطوات عز باهرة وسكر
من صافي الشراب وطرب من شهود نور الاقتراب وحال من الله غالب لادافع
له ولا مغالب فتارة يرقصون ويتمايلون وتارة يشقون الثياب ويصيحون وتارة
يتكلمون بلسان الحال المفاض عليهم من ساحة الجود والافضال وتارة يقع منهم
غير ذلك مما لايحيط بكنهه الا السيد المالك فيراهم الاغبياء الجهال وهم على هذه
الصفات والاحوال فيعترضون على احوالهم ويخوضون بجهلهم في مقالهم ويمزقون
اعراضهم كل التمزيق وليس لهم من يرد عنهم من حميم ولاصديق فتارة يرمونهم
بالفجور والزور والكذب والبهتان وتارة يرمونهم بالجنون والمجون والسنه
وارتكاب المحرم وعدم الايمان وتارة يتوعدونهم بضرب النعال والتراجيل
ويقولون لهم من أين لكم هذا اللسان وعن من اخذتموه وهل لكم عليه من
دليل . فطلبوا مني هؤلاء ان أجعل لهم رسالة في شأن ذلك لتكون عوناً لهم على
رد هؤلاء المردة الخائضين في تلك المهالك فتوقفت معهم في ذلك مدة من
الزمان علماً مني باني لست من أهل ذلك اللسان ولا ممن يردد جواد فكره في
حومة ذلك الميدان وبان الفقراء على مر الاعصار وتوالي الدهر يقع لهم الاعتراض
وتمزيق الاعراض من أهل الانكار والزور ولكنهم لكمالهم وعلو مقامهم
لا يتغيرون كما لا يتغير الجبل من نفخة لناموسة بل هم على ماذا صابرون
محتسبون وخوفاً على هؤلاء السائلين القاصرين من ان يستنزهم الشيطان فيوقعهم
في الاعجاب والرياء حيث أقيم لهم على ما هم عليه دليل وبرهان وأمرتهم بالتأسي

بمن سبق في الصبر والاحتساب ليحوزوا بذلك درجة الصابرين وتكون عاقبة
امرهم النصر من غير ارتياب لكنني بعد ذلك رأيت ان الانكار في هذه
الازمان قد انتشر وزاد حتى سد سبل الصلاح والفلاح وعم خطره الحضري
والبادي وانكسرت قلوب المساكين والسالكين وانحلت عزائم المتعبدين
والناسكين وكادت هذه الطريق ان تندرس علومها وتمحى معالمها وتنطمس
رسومها فأخذتني لذلك شدة غيرة عليها لكوني من حزب اهلها الراغبين في
مالديها فاستقبلت من امري ما استدبرت وبحت الآن بما كنت اسررت
واشرت للسائلين من طرف خفي بالاجابة وكلمتهم رمزاً بأن ذلك الغرض في
موقع الاصابة فصرفت زمام الهمة نحو تلك المدارك وثنيت عنان القلم صوب
أوضح المسالك فبادرت الى الشروع في نبذة بديعة النظام رفيعة القدر رقيقة
القوام سافرة عن وجه الغرض المقصود وافية بما يلزم ايراده من الاحكام
والحدود يشرق على العاشقين سواطع نورها ويروي العاطشين شرب بدائع
خمورها وسميتها (بلوامع الانوار وروض الازهار في الرد على من انكر على
المتكلمين بالسنة الاحوال والاسرار) متوسلا الى الله تعالى برسوله في بلوغ
المأمول راجياً منهُ التوفيق فيما أقول . ورتبتها على خمسة ابواب مستمداً من
فيض فضل الكريم الوهاب وجعلت كل باب كالتمهد والمقدمة لما بعده وهو
كالثمرة والنتيجة لما قبله ليكون ذلك عوناً على ما أمليناه وتنبيهاً على ما قد يغفل
عنه من يد القول لمنتهاه . فقلت في ذلك مستعيناً بالله منوضاً امري اليه
لا إلى سواه

الباب الاول

في بيان احوال الاخيار وما وقع لهم من المنكرين الاشرار الذين سد عليهم الجهل والحقد والحسد باب الانصاف وافضى بهم الى التعصب والجور والاعتساف وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول

في ذكر اقوال واحوال السادة الاقدمين الذين جعلهم الله رحمةً للامة وهداة للعالمين بها يتبين صدق أحوال المحبين المحبوبين ويتضح بها فساد اقوال الجهلة المحجوبين وتحصل لهم الرهبة والارتداع والانزجار وللمحبين الرغبة والاتباع والتأسي بمن سبق قبلهم من الاخيار (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اعلم أشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين وسلك بي وبك مسالك المقربين ان طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وانها مبنية على سلوك اخلاق الانبياء والاصفياء فلا تكون مذمومة الا اذا خالفت صريح القرآن والسنة والاجماع لاغير ولذا اجمع القوم على انه لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجل الا من تبحر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك فكل صوفي فقيه ولا عكس فحيث لم يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً فغاية الكلام انه فهم أوتيه رجل مسلم فمن شاء فليعمل به ومن شاء تركه ونظير الفهم في ذلك الافعال وما بقي باب للانكار الا سوء الظن بهم وحملهم على الرياء وذلك لا يجوز شرعاً فعلم الصوفية عبارة عن علم انقدح في قلوب الاولياء حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنة فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وداب واسرار وحقائق تعجز الالسن عنها نظير ما انقدح بعلماء الشريعة من الاحكام حين عملوا بما علموا

من احكامها فالتصوف انما هو زبدة عمل العبد باحكام الشريعة اذا خلى من عمله العلل وحظوظ النفس فينبغي اعتقاد اهل الطريق والتبرك بهم وتسليم احوالهم لهم فانه لا ينكر احوالهم الا من جهل حالهم ويكفينا في مدحهم انهُ لم يكن عصر في مدة الاسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة الا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا لهُ وتبركوا به حتى ان الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل رضي الله عنهما أذعنا لشيبان الراعي في بعض المسائل التي سئل عنها وكذلك يكفينا إذعان الامام احمد بن حنبل لابي حمزة البغدادي الصوفي رضي الله عنه واعتقاده حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول ما تقول في هذا ياصوفي

وحكي ان الامام احمد رضي الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول انهم بلغوا في الاخلاص مقاماً لم نبلغهُ وكذلك يكفينا للقوم مدحاً إذعان ابي العباس بن شريح للجنيد حين حضره وقال لا أدري مايقول ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل . وكذلك إذعان غير من ذكر من الائمة لاهل الطريق رضي الله عنهم انتهى ملخصاً من كلام العارف الرباني والهيكل الصمداني سيدي عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الكبرى المسماة بلواقح الانوار ثم قال بعد نحو ماسبق

وقد كان الامام ابو تراب التخشبي أحد رجال الطريق رضي الله عنه يقول اذا ألف العبد الاعراض عن الله تعالى صحبتهُ الوقيعة في أولياء الله تعالى قلت وسمعت شيخي ومولاي أبا يحيى زكريا الانصاري شيخ الاسلام يقول اذا لم يكن للفقيه علم باحوال القوم واصطلاحاتهم فهو فقيهٌ حاف وكنت اسمعه يقول كثيراً الاعتقاد صيغة والانتقاد حرمان انتهى

وكان شيخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنهُ يقول اطلب طريق
ساداتك من القوم وان قلوا وإياك وطريق الجاهلين بطرقهم وان جلوا وكفى
شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشداً وهذا أعظم دليلا على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم
الشريعة وكل عن مقامه يتكلم انتهى وأطال الشيخ في ذلك الى ان قال نفعنا الله به

قال الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهُ ولقد ابتلى الله هذه الطائفة
الشريفة بالخلق خصوصاً أهل الجدال فقل ان نجد منهم احداً شرح الله قلبهُ
للتصديق بولي معين بل يقول لك نعم نعلم ان لله تعالى اولياء واصفياء موجودين
ولكن اين هم فلا تذكر لهُ احداً الا اخذ يدفعهُ ويرد خصوصية الله تعالى له
ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير ولي لله تعالى وغاب عنهُ ان الولي لا يعرف
صفاته الا الاولياء فمن اين لغير الولي نفي الولاية عن انسان ما ذاك الا محض
تعصب كما ترى فى زماننا هذا من انكار ابن تيمية علينا وعلى اخواننا من العارفين
فاحذر يا اخي ممن كان هذا وصفه وفرّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري
جعلنا الله واياكم من المصدقين لاوليائه المؤمنين بكراماتهم بمنه وكرمه

وحكى الموصلي فى كتاب مناقب الابرار عن الفضيل ابن عياض رضي الله
عنه انهُ كان يقول إياك ومجالسة القراء فانهم ان أحبوك وصفوك بما ليس فيك
فغطوا عليك عيوبك وان بغضوك جرحوك بما ليس فيك وقبلهُ الناس منهم . قال
سيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهُ وقد جرت سنة الله تعالى فى
انبيائه واصفيائه تسلط الله عليهم الخلق فى مبدأ امرهم وفى حال نهايتهم كلما مالت
قلوبهم لغير الله تعالى ثم تكون الدولة والنصرة لهم فى آخر الامر اذا اقبلوا على
الله تعالى كل الاقبال انتهى . قلت وذلك لان المريد السالك يتعذر عليه الخلوص

والسير الى حضرة الله عز وجل مع ميله الى الخلق وركونه الى اعتقادهم فيه فاذا
أذاهُ الناس وزموهُ ونقصوهُ ورموهُ بالبهتان والزور نفرت نفسهُ منهم ولم يصير
عنده ركون اليهم البتة وهنالك يصفوا له الوقت مع ربه ويصح له الاقبال عليه
لعدم التفاته الى ورا فافهم . ثم اذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم الى ارشاد الخلق
يرجعون وعليهم خلعة الحلم والعفو والستر فتحملوا أذى الخلق ورضوا عن الله
تعالى في جميع مايصدر من عباده في حقهم فرفع الله بذلك قدرهم بين عباده ويجمل
بذلك انوارهم وحقق بذلك ميراثهم للرسل في تحمل ما يرد عليهم من أذى
الخلق وظهر بذلك تفاوت مراتبهم فان الرجل يبتلى على حسب دينه قال الله
تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) وقال تعالى (ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) وذلك لان
الكمل لا يخلو احدهم عن هذين الشهودين إما ان يشهد الحق تعالى بقلبه فهو
مع الحق لا التفات له الى عباده وإما ان يشهد الخلق فيجدهم عبيد الله تعالى
فيكرمهم لسيدهم وان كان مصطلماً فلا كلام لنا معه لزوال تكليفه حال اصطلاحه
فعلم انه لا بد عن اقتفى آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاولياء والعلماء
ان يؤذى كما أوذوا ويقال فيه البهتان والزور كما قيل فيهم ليصبر كما صبروا ويتخلق
بالرحمة على الخلق رضي الله عنهم أجمعين

قال رضي الله عنه وسمعت سيدي علياً الخواص رضي الله تعالى عنه يقول
لو ان كمال الدعاء الى الله تعالى كان موقوفاً على طباق الخلق على تصديقهم لكان
الاولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله وقد صدقهم قوم
وهداهم الله تعالى بفضله وحرم آخرون فاشقاهم الله تعالى بعدله . ولما كان
الاولياء والعلماء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام ليحقق الله تعالى بذلك

ميراثهم فلا يصدقهم ويعتقد صحة علومهم واسرارهم الا من أراد الله عز وجل ان يلحقه بهم ولو بعد حين واما المكذب لهم والمنكر عليهم فهو مطرود عن حضرتهم لايزيده الله تعالى بذلك الا بعداً . وانما كان المعترف للاولياء والعلماء بتخصيص الله تعالى لهم وعنايته بهم واصطفائه لهم قليلا من الناس لغلبة الجهل بطريقهم واستيلاء الغفلة وكراهة غالب الناس ان يكون لاحد شرف بمنزلة او اختصاص حسداً من عند انفسهم وقد نطق الكتاب العزيز في حق قوم نوح عليه الصلاة والسلام فقال (ومن آمن وما آمن معه الا قليل) وقال تعالى (ولكن اكثر الناس لايعلمون . ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) وقال الله تعالى (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وغير ذلك من الايات

وكان الشيخ محي الدين رضي الله عنه يقول ومن اين لعامة الناس ان يعلموا اسرار الحق تعالى في خواص عباده من الاولياء والعلماء وشروق نوره في قلوبهم ولذلك لم يجعلهم الامستورين عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وأذاهم انسان لكان قد بارز الله تعالى بالمحاربة فاهلكه الله. فكان سترهم عن الخلق رحمة بالخلق ومن ظهر من الاولياء للخلق انما يظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته واما من حيث سر ولايته فهو باطن لم يزل انتهى المراد من هنا . ونقل في موضع آخر عن سيدي علي الخواص انه كان يقول اياك ان تصغى لقول منكر على احد من طائفة العلماء والفقراء فتسقط من عين رعاية الله عز وجل وتستوجب المقت من الله عز وجل انتهى . ثم قال وكان الجنيد رضي الله عنه يقول من قعد مع هؤلاء القوم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله تعالى منه نور الايمان قلت ومراده نور الايمان بذلك

الكلام الذي خالفهم فيه لا نور سائر انواع الايمان كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فافهم ونظير ذلك لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اي بان الله يراه حال الزناء وهكذا وانما نهى القوم عن المنازعة لان علومهم مواجيد لانقل فيها ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لا يجوز للسامع منازعته فيما اتى به بل يجب عليه التصديق به ان كان مريداً ولتسليمه له ان كان اجنبياً فان علوم القوم لا تقبل المنازعه لانها وراثة نبوية وفي الحديث عنه نبيّ لا ينبغي التنازع ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدال وقال في المجادل فليتبوأ مقعده من النار

وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول أصل منازعة الناس في المعارف الالهية والاشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول ومجيئها بغتة من غير نقل ونظر ومن غير طريق العقل فتنكرت على الناس من حيث طريقها فانكروها وجهلوها ومن انكر طريقاً من الطرق عادى اهلها ضرورة لاعتقاده فسادها وفساد عقائد اهلها وغاب عنه ان الانكار من الوجود والعاقل يجب عليه ان يغير منكراً انكاره ليخرج عن طور الجحود فان الاولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله عز وجل على حقيقة التصديق والصدق والتسليم والاخلاص والوفاء بالعهود وعلى مراقبة الانفاس مع الله عز وجل حتى سلموا قيادهم اليه والقوا نفوسهم سلما بين يديه وتركوا الانتصار لنفوسهم في وقت من الاوقات حياء من ربوبية ربهم عز وجل واكتفاء بقيوميته عليهم فقام لهم بما يقومون لانفسهم بل أعظم وكان تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم. والغالب لمن غالبهم

قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضى الله عنه ولما علم الله عز وجل ما سيقال في هذه الطائفة على حسب ما سبق به العلم القديم بدا سبحانه وتعالى بنفسه

فقضى على قوم اعرض عنهم بالشتاء فنسبوا اليه زوجة وولداً وفقراً وجعلوه مغلول اليدين فاذا ضاق ذرع الولي او الصديق لاجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك نادته هو اتق الحق في سره الذي قيل فيك هو وصنمك الاصلي لولا فضلي عليك أما ترى اخوتك من بني آدم كيف وقعوا في جنايتي ونسبوا لي مالا ينبغي لي فان لم يستمع لما قيل فيه بل انقبض نادته هو اتق الحق ايضاً أما لك بي أسوة فقد قيل فيّ مالا يليق بجلالي وقيل في حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي اخوانه من الانبياء والرسل مالا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون وانهم لا يريدون بدعائهم الا الى الرئاسة والتفضيل عليهم انتهى المراد منه فافهمه واحرص عليه فانه طب الهي ودواء رباني مزيل لضيق الصدر الحاصل من أقوال الاغيار اهل الانكار والاغترار والداعية الانكار على هذه الطائفة اخفى الكاملون من اهل الطريق الكلام في مقامات التوحيد الخاص شفقة على عامة المسلمين ورفقاً بالمجادل من المحجوبين وأدبا مع أصحاب ذلك الكلام من اكابر العارفين ولذا كان الجنيد رضي الله عنه يقول كثيراً للشبلي لا تفش سر الله تعالى بين المحجوبين وكان رضى الله عنه يقول لا ينبغي للفقير قراءة كتب التوحيد الخاص الا بين المصدقين لاهل الطريق اوالمسلمين لهم والا يخاف حصول المقت لمن كذبهم وكان رضى الله عنه لا يتكلم قط في علم التوحيد الا في قعر بيته بعد ان يغلق ابواب داره ويأخذ مفاتيحه تحت وركه ويقول أتحبون ان يكذب الناس اولياء الله تعالى وخاصته ويرمونهم بالزندقة والكفر وكان سبب فعله ذلك تكلمهم فيه كما سيأتي في الفصل الثالث ان شاء الله تعالى فكان بعد ذلك يستتر بالفقه الى ان مات رضى الله عنه

وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول من لم يقم بقلبه التصديق لما

يسمعه من كلام هذه الطائفة فلا يجالسهم فان مجالستهم من غير تصديق سم قاتل ومن الاولياء من سد باب الكلام في دقائق كلام القوم حتى مات وأحال ذلك على السلوك وقال من سلك طريقهم اطلع على ما طلعوا عليه وذاق كما ذاقوا واستغنى عن كلام الناس وطلب أصحاب ابي عبد الله القريشي منه ان يسمعهم شيئاً من علم الحقائق فقال لهم كم أصحابي اليوم قالوا له ستمائة رجل فقال الشيخ اختاروا لكم منهم ماية فاختاروا فقال اختاروا من المائة عشرين فاختاروا فقال اختاروا من العشرين أربعة فاختاروا وكان هؤلاء الاربعة اصحاب كشوفات ومعارف كما قال الامام الشعراني فقال الشيخ لو تكلمت عليكم في علم الحقائق والاسرار لكان أول من يفتي بكفري هؤلاء الاربعة انتهى وانما طووا بساط نشرهم لعلوم الحقائق والاسرار لغموض مسالكها وتوعر طرقها وتعمق بحورها على غالب الناس من العلماء فضلاً عن غيرهم ولذا قال بعضهم في هذا المعنى

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن اين يدري الناس اين توجهنا

فاذا تأملت ماتلوناه عليك من اقوال هؤلاء الائمة الاعلام البررة الكرام الذين جعلهم الله سادة قادة وعالم الغيب لهم شهادة هان عليك ما تفوه به أهل الانكار وما اقترحه الجهلة المردة الفجار وعلمت سقوط جل بل كلما اعترضوا به على أرباب الاحوال وما رد جوابه جدالهم من المحال وزخارف الاقوال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الثاني

في بيان ستر الله تعالى لاوليائه عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ولرحمته بعباده اذ لو كانوا ظاهرين فيما بينهم وأذاهم إنسان لكان قد بارز الله تعالى بالمحاربة فيهلكه الله تعالى كما سبق

قال في لواقح الانوار وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول لكل
ولي ستراً واستاراً نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الحق تعالى حيث انه
تعالى لم يعرف الا من ورائها فكذلك الولي . فمنهم من يكون ستره بالاسباب
ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر على حسب ما يتجلى الحق
بقلبه فيقول الناس حاشا ان يكون هذا ولياً لله تعالى وهو في هذه النفس وذلك
لان الحق تعالى اذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهاراً وبصفة الانتقام
كان منتقماً او بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقاً رحيماً وهكذا ثم لا يصحب ذلك الولي
الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والانتقام من المريدين الا من محق الله نفسه
وهواه ولم يزل في كل عصر وأوان اولياء وعلماء تذل لهم ملوك الزمان ويعاملونهم
بالسمع والطاعه والاذعان . ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر
والخمول على ظاهر النقول حتى لا تكاد تخرجه عن احاد طلبة العلم القاصرين .
ومنهم من يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا وتظاهره بحب الرياسة والملابس الفاخرة
وهو على قدم عظيم في الباطن . ومنهم من يكون ستره كثرة التردد الى الملوك
والامراء والاغنياء وسؤالهم الدنيا وطلبه الوظائف من تدريس وخطابة وامامة
وعمالة ونحو ذلك فيقوم فيها بالعدل ويتصرف في ذلك بالمعروف على الوجه الذي
لا يهتدي الى معرفته غيره من الامرا والعمال واحاد الفقهاء ثم لا يأكل هو من
معلومها شيئاً او يأكل منه سد الرمق لا غير فيقول القاصر في الفهم والادراك لو كان
هذا ولياً لله تعالى ما تردد الى هؤلاء الحكام والامراء وجلس في زاويته او
بيته يشتغل بالعلم وبعبادة ربه عز وجل ورحم الله تعالى الاولياء الذين كانوا ونحو
ذلك من الفاظ الجور ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقف وتبصر في
امر هؤلاء العلماء والاولياء قبل ان ينتقد عليهم فربما كان يتردد اليهم لكشف

ضر او خلاص مظلوم من سجن او قضاء حاجة لاحد من عباد الله العاجزين
الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم الى تلك الامراء فيسألون في ذلك من
يعتقد فيه من الاولياء والعلماء فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح ويحرم عليهم
التخلف عنهم لا سيما ان رأينا ذلك المتردد من الاولياء والعلماء زاهداً فيما في
ايديهم متعززاً بعز الايمان وقت مجالستهم آمراً لهم بالمعروف ناهياً لهم عن المنكر
لا يقبل هدية ممن يشفع له عندهم فان هذا من المحسنين ولا يجوز لاحد الاعتراض
عليه بسبب ذلك وقد سمعت سيدي علياً الخواص رضي الله عنهُ يقول اذا علم
الفقير من امراء الجور انهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليه صحبتهم
والدخول عليهم وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر اهـ . قلت ومن الاولياء من
يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطون لهُ من الهدايا والصدقات ثم يخلط عليه
من ماله ويعلم الناس بان ذلك كله من صدقات الناس الاجانب ويمدح الناس
الذين اعطوه بالكرم ويوهم الناس انه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء
الفقراء شيئاً نحو قولهُ من يقدر في هذا الزمان ان يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء
ولا يحدث نفسهُ بانتقاص شيء منه ولا يسعنا كلنا الا العفو ويكون مأكولاً
مذموماً وهذا من اكبر اخلاق الرجال الذين اخلصوا في معاملة الله عز وجل
فانه لا يهتدي احد الى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في
أعين الناس واستهانتهم به فان الرجل اذا اقبل من الخلق صغر في اعينهم ضرورة
كما ان من رد عليهم كبر في اعينهم ولعل ذلك الراد انما رد رياء وسمعة واستئلافاً
القلوب الناس عليه ليتوجهوا اليه بالتعظيم والتبجيل ويطلقوا السنتهم فيه بالثناء
الحسن . وقد قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى من طلب الحمد من الناس
بتركه الاخذ منهم فانما يعبد نفسه وهواه وليس من الله شيء . قال الشيخ ومعنى

بعبد يطيع وكان يقول ايضاً ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الرد ان يأخذ
ثم يعطيه سراً لمن يستحقه ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً فانه بذلك يأمن من
الفتنة ان شا الله تعالى . قال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى ومما يفتح باب
قلة الاعتقاد في اولياء الله تعالى وقوع ذلة ممن تزيا بزيهم انتسب الى مثل طريقهم
والوقوف مع ذلك من اكبر القواطع عن الله عز وجل وقد قال تعالى (وكان
امر الله قدراً مقدوراً) وقال تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) فمن اين يلزم
من إساءة واحد ان يكون جميع اهل حرفته لذلك ماهذا الا محض عناد وتعصب
بباطل كما قال بعضهم في ذلك شعراً

استتار الرجال في كل عصر * تحت سوء الظنون قدر جليل
مايضر الهلال في حندس الليل * سواد السحاب وهو جميل

قال رضي الله عنه قلت ومن اشبه حجاب عن معرفة اولياء الله تعالى شهود
المماثلة والمشاكلة وهو حجاب عظيم وقد حجب الله به اكثر الاولين و الآخرين
كما قال تعالى حاكياً عن قوم (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في
الاسواق . وقالوا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما
تشربون . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه) يعني لم نر أحداً يوافقه على ما يدعيه
ويأمر به ونحو ذلك ولكن اذا اراد الله وعز جل ان يعرف عبداً من عبيده
بولي من أوليائه ليأخذ عنه أدب ويقتدي به في الاخلاق طوى عن شهود بشريته
واشهده وجه الخصوصية فيه فيعتقده بلا شك ويحبه أشد المحبة واكثر الناس
الذين يصحبون الاولياء لا يشهدون منهم الا وجه البشرية فلذلك قل نفعهم وعاشوا
عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيء وقد اقتضت الحكمة الالهية على اتفاق الخلق
كلهم على الاعتقاد في واحد منهم بالاذعان له وفي ذلك سر خفي لانه لو كان

الخلق كلهم مصدقين لذلك الولي لفاته اجر الصبر على تكذيب المكذبين له ولو
كانوا كلهم مكذبين له لفاته الشكر على تصديق المصدقين له والمقتفين
لآثاره فاراد الحق تعالى بحسن اختباره لاوليائه ان يجعل الناس فيهم قسمين كما
تقدم انتهى المراد منه . ونقل في غير هذا الكتاب عن بعض العارفين انه كان
يقول سبقت كلمة الله التي لا تتبدل وسنته التي لا تتحول انه لا ينفح الحق تعالى
روح علمه في مخصوص من اهل حضرته الا انقسم الخلق له قسمين ملكي
ساجداً كما وقع لآدم عليه السلام مع الملائكة وشيطاناً كما وقع من ابليس في
حق آدم عليه السلام فاحرص ايها المريد على ان تكون لاهل الاختصاص خادماً
وخاضعاً إما التسليم او التعليم او الترحم واياك ان تكون لهم مبغضاً او حاسداً
فاما لاتسلم وإما ترحم وإما تحرم وكان يقول جميع ماتراه من شيخك راجع اليك
فان رأيته زنديقاً فانت زنديق في الغيب الازلي لان الشيخ مرآة الوجود وان
رأيته صديقاً فانت صديق في علم الله تعالى وأما حقيقة ذلك الشيخ فلا يراها الا
من هو في كمال أو من كان محيطاً به . وقد رأى مريد وجه الشيخ ابي يزيد
البسطامي كوجه خنزير فقال ذلك لابي يزيد فقال صدقت يا ولدي فاني مرآة
الوجود فرأيت وجهك فيّ فحسبت اني انت فطهر نفسك يا ولدي من صفة
الخنازير . وكان يقول لاتقس حالك في انواع العبادات الظاهرة على حال شيخك
فان شيخك وان قلت اعماله الظاهرة فهو عمال بباطنه وكل يوم من ايام الاستاذ
عند ربه كالف سنة مما يعبدوا المريدون عند ربهم انتهى

وانما ذكرت لك في هذا الفصل ماقرع سمعك من هذه الاحوال والاقوال
التي درج عليها اكابر العارفين وابطال الرجال ليزداد تأسيك وتخلقك بأخلاقهم
ويحسن ظنك بأهل الاختصاص وتذوق من مذاقهم وتقوى حجتك على المنكرين

اهل الشكوك والوساوس والاوهام الذين خاضوا بحار البغي وركبوا لجج البغي
وصاروا في ظلمات الجهل اضل من الانعام (ومن يضلل الله فلا هادي له . ومن
يهدي الله فلا مضل له انه عزيز ذو انتقام) كفانا الله والمسلمين شر حصائد
السنتنا وما سولت لنا به انفسنا انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الفصل الثالث

في ذكر من رمي من اكابر هذه الطائفة بالكفر والسحر والالحاد والزندقة
وما وقع لهم من الفتن والمحن وغير ذلك يحصل لك كمال الاهتداء والاقتداء
بجنابهم والتأسي بهم والمشي في ركابهم وتصبر اذا ابتليت كما صبروا فتنصر بعد
خذلك وإيذائك كما انتصروا والله على كل شيء قدير

إعلم ان الامام الشعراني قدس الله روحه ونور ضريحه قال في لواقح
الانوار . سئل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن
حكم تكفير غلاة المبتدعة واهل الاهواء والمتفوهين بالكلام على الذات المقدس
فقال رضي الله عنه إعلم ايها السائل ان كل من خاف من الله عز وجل استعظم
القول بالتكفير لمن يقول لا إله الا الله محمد رسول الله إذ التكفير امر هائل عظيم
الخطر لان من كفر شخصاً بعينه فكأنه اخبر ان عاقبته في الآخرة الخلود في
النار ابد الآبدين وانه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا
يجري عليه احكام المسلمين لا في حياته ولا بعد مماته والخطأ في ترك الف كافر
أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرء مسلم . وفي الحديث لان يخطئ
الامام في العفو أحب الي من ان يخطئ في العقوبة . ثم ان تلك المسائل التي
يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض لكثرت شبهها واختلاف

قرائنها وتفاوت دواعيها والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه
والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة
للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق اهل اللسان من سائر
قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه
الى غير ذلك مما هو متعذر جداً على اكابر علماء عصرنا فضلاً عن غيرهم واذا
كان الانسان يعجز عن تحرير معتقده في عبارة فكيف يحرر اعتقاد غيره من
عبارته فيما بقي الحكم بالتكفير الا لمن صرح بالكفر واختاره ديناً وجحد الشهادتين
وخرج عن دين الاسلام جملة وهذا نادر وقوعه فالأدب الوقوف على تكفير
اهل الاهواء والبدع والتسليم للقوم في كل شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص
انتهى كلام السبكي

قال الشيخ رضي الله عنه اخبرني شيخنا الشيخ امين الدين امام جامع العمري
بمصر المحروسه . ان شخصاً وقع في عبارة موهمة للتكفير فافتى علماء مصر بتكفيره
فلما ارادوا قتله قال السلطان جقمق هل بقي أحداً من العلماء لم يحضر فقالوا نعم
الشيخ جلال الدين المحلي شارح المنهاج فارسل وراءه فحضر فوجد الرجل في
الحديد بين يدي السلطان فقال الشيخ ما لهذا فقالوا كفر فقال ما مستند من
أفتى بتكفيره فبادر الشيخ صالح البلقيني وقال قد أفتى والدي شيخ الاسلام سراج
الدين في مثل ذلك بالتكفير فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه ياولدي أتريد
ان تقتل رجلاً مسلماً موحداً يحب الله ورسوله بفتوى ابيك حلوا عنه الحديد
فجردوه وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج والسلطان ينظر فما تجرأ احد
يتبعه رضي الله تعالى عنه . وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول كثيراً
مايهب على قلوب العارفين نفحات الهية فان نطقوا بها جهلهم كمل العارفين وردها

عليهم اصحاب الادلة من اهل الظاهر وغاب عن هؤلاء ان الله تعالى كما اعطى اوليائه الكرامات التي هي فرع المعجزات فلا يدع ان ينطق السنتهم بالعبارات التي تعجز العلماء عن فهمها اه . قال الشيخ رضي الله عنه ومن شك في هذا القول فلينظر في كتاب المشاهد للشيخ محيي الدين او كتاب الشعائر لسيدي محمد وفى او كتاب خلع النعلين لابن قبي او كتاب عنقا مغرب لابن العربي فان اكابر العلماء لايكاد يفهم منه معنى مقصوداً لقائله اصلاً بل خاص بمن دخل مع ذلك المتكلم حضرة القدسي فانه لسان قدسي لا يعرفه الا الملائكة او من تجرد عن هيكل البشرية او اصحاب الكشف اه . فاذا تأملت ما اسلفناه لك من هذا الكلام وفهمت فتوى الامام السبكي بعد تكفير المبتدعة واهل الاهواء اللئام علمت يقيناً بسقوط اقوال اهل الجدال والانكار بتكفير خواص هذه الامة الاخيار الذين عبدوا الله ليلهم والنهار لذاته وجميل صفاته لا طمعاً فى الجنة ولا خوفاً من النار ولا لشيء من هذه الدار ولا من تلك الدار حتى ان قائلهم قال وهو مزيد تضرع وابتهال احبك لا ارجو بذلك جنة ولا اتقي ناراً وانت مراد اذا كنت لي مولى فاية جنة واية نار تتقى وتراد كيف وهم اهل المقام الانسى واللسان القدسى الذين بذكرهم تتنزل الرحمات واليهم تعزى المكارم والكرامات ماهذا الا محض تعصب وحسد أو جدال وعناد لمن اختارهم الله لحضرته وأقامهم في خدمته حتى تجافت جنوبهم عن المضاجع والرقاد مع ان تكفير المسلم شئ شنيع وامر فظيع لايقدم عليه الا بعد التثبت واليقين لا بمجرد الدعوى والظن والتخيل حتى انهم نصوا على وجوب تفصيل الشهادة فيه عند الحاكم فلا يكتفي القاضي بقول الشاهد انه كفر بل لابد من بيان ما كفر به بيانا واضحاً لا إجمال فيه بان يقول كفر بقوله كذا او بفعله كذا لاحتمال ان يكون الشاهد يعتقد ان

ماوقع منه كفراً وهو فى الواقع بخلاف ذلك بل ذكروا ان اللفظ اذا احتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها واحتمل الاسلام من وجه واحد فلا يحكم على لافظه بالكفر مع ان هؤلاء المنكرين على أهل هذا اللسان القدسى لا يعرفون مجرد الفاظه فضلاً عن تصور حقائق معانيه وقد قالوا الحكم على الشيء فرع عن تصوره فحيث انطمس على هؤلاء طرق اللفظ الدال فاولى تنطمس عليهم طرق المعنى المدلول لعماء بصائرهم وانطماس موائد قلوبهم لما قد علاها من الرين والصدا من كثرة الاوزار والذنوب المانعة عن مطالعة الغيوب فصاروا يخبطون في ظلام حتى وقعوا في شرك تكفير خواص اهل الاسلام وغاب عنهم ماورد من قوله عليه الصلاة والسلام (من قال لاخيه ياكافر فقد باء بها احدهما ان كانا كما قال وإلا رجعت عليه) قال الاستاذ الشعراني ومعنى ذلك ان المكفر هو الكافر لانه كفر مسلما لاسلامه . وقال في لواقح الانوار وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رضي الله عنه يقول بعد اجتماعه على الشيخ ابي الحسن الشاذلي وتسليمه للقوم من اعظم دليل على ان طائفة الصوفية قعدوا على اعظم اساس من الدين لما يقع على ايديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شئ من ذلك قط لفقيه الا ان سلك مسلكهم كما هو مشاهد . وكان الشيخ عز الدين رضى الله عنه قبل ذلك ينكر على القوم ويقول هل لنا طريق غير الكتاب والسنة فلما ذاق مذاقهم وقطع السلسلة الحديد بكراسه الورق صار يمدحهم كل المدح واطال الشيخ في ذلك الى ان قال قال لي الشاذلي رضي الله تعالى عنه ثم ان كثيراً من المنكرين لو رأوا احداً من الاولياء والصالحين يطير في الهواء لقالوا هذا سحر واستخدامات للجن والشياطين ولا شك ان من حرم التوفيق كذب بالحق عياناً وحساً فكيف حال هذا في تصديقه بالمغيبات التي أمر الله تعالى بالايمان بها فربما زلت به القدم فخسر

الدارين لانه اذا انكر المحسوسات فبالحقيق انكاره المغيبات . وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول الانكار فرع من النفاق وذلك لان المنافقين لو لم ينكروا على محمد صلى الله عليه وسلم لآمنوا به ظاهراً او باطناً . ثم قال اليافعي رضي الله تعالى عنه فواعجباً كيف ينسب السحر وفعل الشياطين الى الاولياء المقربين الابرار الصالحين المتطهرين من الصفات المذمومه المتجلين بالصفات المحمودة المعرضين عن كل شيء يشغلهم عن ربهم عز وجل انتهى

قال الشيخ أثر فاياك يا أخي بعد اطلاعك على مابينته لك في هذه المقدمة من علو شأن أهل الله عز وجل من أهل عصرك وغيرهم ان يقوم بك داء الحسد ولا تذعن للانقياد لهم وتسمع من بعض المنكرين عليهم ما يقولونه في حقهم فيفوتك منهم خير كثير كما فاتك الخير في عدم علمك بكلامهم الذي هو كله نصح لك حين وزنته بميزان عقلك الجائر فان الكلام لم يزل في هذه الطائفة من ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي الى وقتنا هذا بل نقل سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه انهم تكلموا في جماعة من الصحابة ونسبوهم الى الرياء والنفاق منهم الزبير رضي الله عنه كان كثير الخشوع في الصلاة وكان بعضهم يقول انما هو مراء فبينما الزبير رضي الله عنه ساجداً اذ صبوا على وجهه ورأسه ماء حاراً فكشط وجهه وهو لا يشعر فلما فرغ من صلاته وصحي قال ما هذا فاخبروه فقال رضي الله عنه غفر الله تعالى لهم ما فعلوا ومكث زماناً يتألم من وجهه قلت ودليل هذا كله قوله تعالى(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيراً) وكل ولي له من تلك الفتنة الحظ الوافر وذلك لان الابتلى لما كان شرفاً جمع الله تعالى لخواص هذه الامه من البلاء والمحن جميع ما كان متفرقاً في الامم السالفة لعلو درجتهم عنده . ونقل الثقاة عن ابي يزيد البسطامي

رضي الله تعالى عنه انهم نفوه من بلده سبع مرات فانه لما رجع الى بسطام من سفرته وتكلم بعلوم لا عهد لاهل بلده بها من مقامات الانبياء والاولياء انكر ذلك الحسين ابن عيسى البسطامي امام ناحيته والمدرس بها في علم الظاهر وامر اهل بلده ان يخرجوا ابا يزيد من بسطام فاخرجوه ولم يعد اليها الا بعد موت حسين المذكور ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه وتبركوا به ثم لم يزل يقوم له قائم بعد قائم وهو ينفي ثم استقر امره على تعظيم الناس له والتبرك به الى وقتنا هذا .

وكذلك وقع لذي النون المصري رضي الله عنه انهم وشوا به الى بعض الحكام وحملوه من مصر الى بغداد مغلولاً مقيداً فكلم الخليفة فاعجبه فقال ان كان هذا زنديقاً فما على وجه الارض مسلم . وكذلك وقع لسحنون المحب رضي الله عنه محنة عظيمة وادعت عليه امرأة كانت تهواه وهو يأبى انه يأتيها في الحرام هو وجماعة من الصوفية وامتلأت المدينة بذلك ثم ان الخليفة امر بضرب عنق سحنون واصحابه فمنهم من هرب ومنهم من توارى سنين حتى كفا الله عنهم ذلك وكذلك وقع انهم رموا ابا سعيد الخراز وأفتى العلماء بتكفيره في الفاظ وجدوها في كتبه منها لو قلت من اين والى اين لم يكن جوابي غير الله مع الفاظ أخر . وتعصب مرة فقهاء اخميم على ذي النون المصري رضي الله عنه ونزلوا في زورق ليمضوا الى السلطان بمصر ليشهدوا عليه بالكفر فاعلموه بذلك فقال اللهم ان كانوا كاذبين فغرقهم فانقلب الزورق والناس ينظرون فغرقوا حتى رئيس المركب فقيل له مابال الرئيس فقال قد حمل الفساق . واخرجوا سهل ابن عبد الله رضي الله عنه من بلده الى البصره ونسبوه الى قبائح وكفروه ولم يزل بالبصرة الى ان مات بها هذا مع علمه ومعرفته واجتهاده وذلك انه كان يقول التوبة فرض على العبد في كل نفس فتعصب عليه الفقهاء في ذلك لا غير . وقتل حسين الحلاج بدعوة عمرو

ابن عثمان المكي وذلك انه كان عنده جزؤ فيه علوم الخاصة من القوم فأخذه
الحسين فقال عمرو من أخذ هذا الكتاب قطعت يداه ورجلاه فكان كذلك
وانما كان القول بتكفيره ستراً على دعوة عمرو . وشهدوا على الجنيد رضي الله عنه
حين كان يقرر في علم التوحيد ثم انه تستر بالفقه واختفى مع علمه وجلالته .
واخرجوا محمد ابن الفضيل البلخي رضي الله عنه بسبب المذهب وذلك ان مذهبه
كان مذهب أصحاب الحديث فقالوا لايجوز لك ان تسكن في بلدنا فقال لا اخرج
حتى تجعلوا في عنقي حبلا وتمروا بي على اسواق المدينة وتقولوا هذا مبتدع نريد
ان نخرجه ففعلوا به كذلك واخرجوه فالتفت اليهم وقال نزع الله تعالى من
قلوبكم معرفته فلم يخرج بعد دعائه من بلخ صوفي مع كونها كانت اكثر بلاد الله
تعالى صوفية . وعقدوا للشيخ عبد الله ابن ابي جمرة رضي الله تعالى عنه مجلساً
في الرد عليه حين قال أنا اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة فلزم بيته ولم يخرج
الا للجمعة حتى مات . واخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع مجاهداته وتمام
علمه وحاله وطاف به العلوية على جمل في اسواق مكة بعد ضربه على رأسه
ومنكبيه فاقام ببغداد ولم يزل بها الى ان مات . وشهدوا على السبكي بالكفر
مراراً مع تمام علمه وكثرة مجاهداته واتباعه للسنة الى حين وفاته حتى ان من
كان يحبه شهد عليه بالجنون طريق الخلاصة فأدخلوه المارستان وقال فيه ابو الحسن
الخوارزمي احد مشايخ بغداد ان لم يكن لله جهنم فانه يخلق جهنما بسبب السبكي
اي يخلقها الله للذين أذوه وانكروا عليه وكفروه بالباطل هذا معنى قول ابي الحسن
بدليل قوله عقب ذلك وان لم يدخل السبكي الجنة فمن يدخلها . وأقام اهل المغرب
على الامام ابي بكر النابلسي مع فضله وعلمه وزهده واستقامة طريقه وتصدره
للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأخرجوه من المغرب مقيداً الى مصر وشهدوا

عليه عند السلطان ولم يرجع عن قوله فاخذ وسلخ وهو حي وقيل انه سلخ وهو
منكوس وهو يقرأ القرآن فكاد ان يفتتن به الناس فرفع الامر الى السلطان
فقال اقتلوه ثم اسلخوه . واخرجوا ابا القاسم النصراباذي رضي الله عنه من البصرة
وانكروا عليه كلامه واحواله فلم يزل بالحرم الى ان مات مع صلاحه وزهده
وورعه واتباعه للسنة . وشهدوا على ابي الحسن الحصري رضي الله عنه بالكفر وحكوا
عنه الفاظاً كتبت في درج وحملت الى ابي الحسن قاض القضاة فاستحضره القاضي
وناظره في ذلك ومانعه من القعود في الجامع حتى مات . وافتوا بتكفير الامام
الغزالي رضي الله عنه واحرقوا كتابه الاحياء ثم نصره الله تعالى عليهم وكتبوه
بماء الذهب وكان من جملة من انكر على الغزالي وافتى بتحريق كتابه القاضي
عياض وبن رشد فلما بلغ الغزالي ذلك دعا على القاضي فمات فجأة في الحمام يوم
الدعاء عليه وقيل ان المهدي هو الذي امر بقتله بعد ان ادعى عليه اهل بلده بانه
يهودي لانه كان لايخرج يوم السبت لكونه كان يصنف في كتاب الشفا يوم
السبت فقتله المهدي لاجل دعوة الغزالي . واخرجوا ابا الحسن الشاذلي رضي
الله عنه من بلاد المغرب بجماعته ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بانه سيقدم عليكم
مغربي زنديق وقد اخرجناه من بلادنا فالحذر من الاجتماع عليه فجاء الشيخ الى
الاسكندرية فوجد اهلها كلهم يسبونه ثم وشوا به الى السلطان ولم يزل في الاذى
حتى حج بالناس في سنين كان الحج قد قطع من كثرة القطاع في طريقه فاعتقده
الناس . ورموا الشيخ احمد بن الرفاعي بالزندقة والالحاد وتحليل المحرمات وسيأتي
لذلك تتمة قال رضي الله عنه وأما الشيخ محيي الدين بن العربي وسيدي عمر ابن
الفارض رضي الله عنهما فلم يزل المنكرون ينكرون عليهما الى وقتنا هذا . وعقدوا
للشيخ عز الدين بن عبد السلام مجلساً في كلمة قالها في العقائد وحرضوا السلطان

عليه ثم حصل له اللطف . وانكروا على الشيخ عبد الحق ابن سبعين واخرجوه من
بلاد المغرب وارسلوا نجاباً بادرج مكتوب امامه يحذرون اهل مصر منه وكتبوا
فيه انه يقول انا هو وهو انا . ومحن الأئمة كابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد
واحزابهم مشهورة في كتب المناقب وقد اطال الشيخ رضي الله عنه بذكر جماعة
كثيرة من الاكابر الذين حصلت لهم المحن والبلايا وشهدوا عليهم بما يوجب
القتل وبعضهم قتل وبعضهم حصل له من الله اللطف ولكنني ضربت عن ذلك
صفحاً للاختصار

(تنبيه) تقدم ان ممن حصلت له المحنه حتى قتل فيها الحلاج فانه ضرب
الف سوط فلم يتأوه وقطعت يداه ورجلاه وصلب ثم احرق بالنار مع انه رضي
الله عنه كان يأتي بفاكهة الصيف في الشتاء وعكسه ويمد يده في الهواء فيردها
مملوءة دراهم يسميها دراهم القدرة وانما سمي بالحلاج لانه جلس على دكان حلاج
وبها مخزون قطن غير محلوج فذهب صاحب الدكان في حاجته فرجع فوجد
القطن كله محلوجاً فسمي حلاجاً أفاده الشيخ في لواقح الانوار فانظره فانه فيه
زيادة عما ذكرنا ولله الحمد

(خاتمة) قد سبق ان ممن رمي بالزندقة والالحاد سيدي احمد بن الرفاعي
رضي الله تعالى عنه مع انه كان اذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يذوب حتى
يكون بقعة ماء ثم يتداركه اللطف فيصير يجمد شيئاً فشيئاً حتى يرد الى جسمه
المعتاد ويقول لولا لطف الله تعالى بي مارجعت اليكم . قال الشيخ رضي الله عنه
في مناقبه ولقيه مرة جماعة من الفقراء فسبوه وقالوا له يا أعور يا دجال يا من
يستحل المحرمات يامن يبدل القرآن ياملحد يا كاب فكشف سيدي احمد رضي
الله عنه رأسه وقبل الارض وقال يا اسيادي اجعلوا عبدكم في حل وصار يقبل

ايديهم وارجلهم ويقول ارضوا عني وحلمكم يسعني فلما اعجزهم قالوا ما رأينا قط
فقيراً مثلك تحمل منا هذا كله ولا تغير فقال هذا ببركتكم ونفحاتكم ثم التفت
الى اصحابه وقال ما كان الا خيراً ارحناهم من كلام كان مكتوما عندهم وكنا
نحن أحق بهم من غيرنا فربما لو وقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم . وارسل اليه
الشيخ ابراهيم البستي كتاباً يحط عليه فيه فقال سيدي احمد رضي الله عنه للرسول
اقرأه لي فقرأه فاذا فيه اي أعور اي دجال اي مبتدع يا من جمع بين الرجال
والنساء حتى ذكر الكاب ابن الكاب وذكر شيئاً يغيظ فلما فرغ الرسول من
قراءة الكتاب أخذه سيدي احمد رضى الله عنه وقرأه وقال صدق فيما قال جزاه
الله عني خيراً ثم انشد

فلست ابالي من زماني بريبة * اذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اكتب اليه الجواب هذا من اللاش حميد الى سيدي الشيخ
ابراهيم البستي رضى الله عنه أما قولك الذي ذكرته فان الله تعالى خلقني كيف
يشاء واسكن فيّ ما يشاء واني اريد من صدقاتك ان تدعو لي ولا تخليني من
من حلك وحلمك فلما وصل الكتاب الى البستي هام على وجهه فما عرفوا الى
اين ذهب . وكان رضى الله عنه اذا علم ان الفقراء يريدون ان يضربوا أحداً من
اخوانهم لذلة وقعت منه يستعير منه ثيابه ويلبسها وينام في موضعه فيضربونه
فاذا فرغوا من ضربه واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه فيغشى عليهم فيقول
لهم ما كان الا الخير اكسبتمونا الاجر والثواب فيقول بعض الفقراء لبعضهم تعلموا
هذه الاخلاق . وقال رضي الله عنه لاصحابه يوماً من رأى في حميد منكم عيباً
فليعلمه به فقام شخص فقال ياسيدي فيك عيب عظيم فقال وما هو يا أخي فقال
كون مثلنا من اصحابك فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكا سيدي احمد معهم وقال انا

خادمكم انا دونكم . وكان لسيدي احمد شخص ينكر عليه وينقصه في نواحي أم عبيدة فكان كلما فات لي فقيراً من جماعة سيدي احمد رضي الله عنه يقول خذ هذا الكتاب الى شيخك فيفتحه سيدي احمد فيجد فيه اي ملحد اي باطلي اي زنديق وامثال ذلك من الكلام القبيح ثم يقول سيدي احمد رضي الله عنه صدق من اعطاك هذا الكتاب ثم يعطي الرسول دريهمات ويقول جزاك الله عني خيراً كنت سبباً لحصول الثواب فلما طال الامر على ذلك الرجل وعجز عن سيدي احمد مضى اليه فلما قرب من ام عبيدة كشف رأسه واخذ مئزاره وجعله في وسطه وامسكه انسان وصار يقوده حتى دخل على سيدي احمد رضي الله عنه فقال ما احوجك يا اخي الى هذا فقال فعلي فقال له سيدي احمد رضي الله عنه ما كان الا الخير يا أخي ثم طلب منه اخذ العهد فاخذه عليه وصار من جملة اصحابه الى ان مات فانظر رحمك الله الى هذه الاخلاق الكريمة الشريفه . والمحاسن البديعة اللطيفه . وتخلق بها متأسياً باهلها في السير والسلوك . الى الله الواحد القهار مالك الملوك . والى هؤلاء الائمة الابطال . وما حصل لهم من الشدائد والاهوال . وصبرهم عليها صبر الشاكرين . وثبوتهم لديها رغم انف المنكرين . كيف لا وهم ثوابت جبال وذاخر بحار . لا يعرف لها أول من آخر ولا يدرك لها ماهية قرار . فان كنت ذا عقل وتدبير . وتأملت في عاقبة امرك والمصير . وابتليت بشيء من الاكدار في هذه الدار . فخذ لنفسك أسوة بهؤلاء السادة الاخيار . فانك يا مسكين لم تبلغ عشر معشار ما بلغوا من العطايا . ولم تصب بمثل ذلك مما اصيبوا به من المحن والبلايا . وانما الامر على حد ما قيل

تشبهوا بهم ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالرجال فلاح

فافهم تغنم . وتوكل على الله تسلم . والله اعلم

الباب الثاني

في اثبات الحال والرد على منكريه وفي بيان ماتثيره الاحوال من البكا والصياح والاهتزاز والرقص وشق الثياب والتكلم بلسان الحال من سريانيه او غيرها من السنة الاعاجم وفي اثباته بواضح الادلة والبراهين . وفي من تكلم به من كمل العارفين . وفي ابطال من سعى في ابطاله من الجهلة والحسدة والمردة البطالين الذين سد عليهم الباب وسدلديهم الحجاب فخاضوا مع الخائضين اعاذنا الله من جهل او حسد يسد باب الانصاف ويبعد عن جميل الاوصاف بمنه وكرمه امين . وهذا الباب وفقني الله واياك هو سر هذه النبذة اللطيفة والمقصود منها لتأييد ذوي الاحوال الشريفة وما قبله كالقواعد والتمهيدات لما سنورده فيه من الدلائل الواضحات وما بعده كالتتمة والرديف لما هو الغرض الباعث على هذا التاليف وعند انجاز وعده وشروق طالع سعده بعون الله تعالى على التمام مع ايجاز لفظه وسطوع انوار برقه واحكامه على ما ينبغي ويرام يشرق صدر العدو المبين ويشرق قلب المحب بانوار اليقين ويتحرر الكلام في هذا الباب في ثلاثة فصول

الفصل الاول

في بيان الحال والمقام . وفي ارباب الاحوال والمنكرين عليهم الذين كان سبب انكارهم الجهل وعدم التفرقة والتميز بين الحال والمقام ونحن نوضح لك الفرق بينهما فنقول وبالله التوفيق

قال صاحب السير والسلوك رضي الله عنه الحال معنى يرد على القلب بلا تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب وهو إما طرب او حزن او قبض او بسط او هيبة او غير ذلك فان زال عن القلب فهو المسمى حالا وان دام وصار ملكة سمي مقاماً فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب . والاحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود انتهى . وقوله مكاسب اي تكتسب بالاعمال وصاحب المقام متمكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله . وقال بعض الاشياخ الاحوال كاسمها يعني انها تحل في القلب وتزول في الوقت . وقال في الفتوحات

ما معناه الحال عن الطائفة ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب فتتغير
صفات صاحبه له واختلفوا في دوامه فمنهم من قال بدوامه اخذاً له من الحلول
فاذا زال لم يكن حالا بل هو مبدء له . ومنهم من منع دوامه اخذاً له من التحول
فلا بقى له سوى زمان وجوده كالعرض عند المتكلمين ثم تعقبه الامثال فيتخيل
انه دائم وليس كذلك وهذا هو الصحيح افاده الامام الشرقاوي في شرحه على ورد
السحر . وذكر في لواقح الانوار ان سيدي علياً بن الهيتي كان يقول الاحوال
كالبروق لا يمكن استجلابها اذا لم تكن ولا استبقاؤها اذا حصلت الا ان يجعل
بعض الاحوال غذاء لاحد فيبرئه الحق فيه فيصير وطأ له ومثوى . وكان ايضاً
يقول كل من كوشف بالحقيقة او شاهد الحق او اختطف عن مشاهده بوجود
الحق او استهلك في عين الجمع اولم يشهد سوى الحق تعالى اولم يحس سوى الحق
او هو محو في حق الحق او مصطلم فيه سلطان الحقيقة او متجل له الحق بجلال
الحق الى آخر مايعبر عنه معبر او يشير اليه مشير او ينتهي اليه علم فانماهي شواهد
الحق وحق من الحق له وكل ما بدا على الخلق فذلك مما يليق بالخلق وهو من
حيث الخلق وجميع ما تحقق بوصفه خلق فهي احوال والاحوال من صفات اهل
المعرفة ولا سبيل لمخلوق الا الى الاحوال والغيبة عن الاحوال والتنفي عن الاحوال
حالة من جملة الاحوال والتوحيد فوق المعارف . وكان يقول ما دام التميز باقياً
كان التكاليف متوجهاً . وكان يقول علامة صحة الحال ان يكون صاحبه محفوظاً
في احوال غلبته كما كان مغلوباً في اوقات صحوه . وكان رضى الله عنه كثيراً
ما يتمثل بهذه الابيات

ان رحت اطلبه لا ينقضى سفري * اوجيت احضره اوحشت في الحضرى
فلا أراهُ ولا ينفك عن نظري * وفي ضميرى ولا القاهُ في عمرى

فليتني غبت عن جسمي برؤيته * وعن فؤادى وعن سمعي وعن بصرى

ومن كلامه رضي الله عنه الشريعة ما ورد به التكاليف والحقيقة ما حصل به
التعريف فالشريعة مؤيدة بالحقيقة والحقيقة مقيدة بالشريعة والشريعة وجود
الافعال لله والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل والحقيقة شهود الاحوال بالله تعالى
والاستسلام لغلبات الحكم بتقدير لا بواسطة . وكان رضي الله تعالى عنه
يقول الحق تعالى وراء كلما ادركه الخلق بافهامهم واحاطوا به بعلومهم واشرفوا عليه
بمعارفهم انتهى المراد منه . وقال سيدي ابو الفضل محمد بن الحميد في رسالته المسماة
تحفة السفرة الى حضرة البررة . الحال لا يستقر والمقام يستقر وقد يكون الشي
حالا بعينه ثم يصير مقاما مثل ان ينبعث من باطن العبد داعية المحابة ثم تزول
الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد في حال المحابة حتى
يدرك المعونة من الله الكريم سبحانه وتعالى فتصير المحابة مقاماً وهما في أول
المحبة الخاصة لا في نهايتها ولا في قليل المحبة فمن هو في مقام المحبة العامة لا يكون له
قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء ووجود القبض لظهور النفس وغلبتها
وظهور البسط بظهور صفاء القلب وغلبته وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا
يعلم سببهما الى آخر ما قال رضى الله عنه . وقال ابو يعزى المغربي رضي الله عنه
الاحوال مالكة لاهل البدايات فهي تصرفهم كيف يشاؤا ومملكة لاهل النهايات
فهم يصرفونها كيف يشاؤا . وقال ايضاً انفع الكلام ما كان إشارة عن مشاهدة
او نبأ عن حضور . وكان يقول لا يكون الوليّ ولياً حتى يكون لهُ قدم ومقام
وحال ومنازلة وسر فالقدم ماسلكته عن طريقك الى الحق والمقام ما أقرتك عليه
سابقتك في العلم الازلي والحال ما بعثك في فوائد الاصول لا من نتائج السلوك والمنازلة
ماخصصت به من تحف الحضور بنعت المشاهدة لا بوصف الاستتار والسر ما اودعته

من لطائف الازل عند هجوم الجمع ومحق السوى وتلاشي ذاتك فحفظ حكم المقام
يفيد الفقه في الطريق ويفيد الاطلاع على خبايا معانيه وحفظ حكم الحال يفيد بسطه
في التصريف لله بالله وحفظ حكم المنازلة يؤيد سلطان قهره بجيوش الفتح اللدني
وحفظ حكم السر يوسع قدره الاطلاع على مكامن المكنونات وحفظ حكم
الوقت يورث المراقبة وحفظ الانفاس يوصل الى مقام الغيبة في الحضور للنهي
وقال الشيخ جاكير رضي الله عنه المشاهدة هي ارتفاع الحجب بين العبد وبين
الرب فيطلع بصفا القلوب على ما اخبر به من الغيب فيشاهد الجلال والعظمة
وتختلف عليه الاحوال والمقامات فتتداخله الدهشة والحيرة ثم تخرجه الحيرة الى
البهتة فتراه شاخصاً بالحق الى الحق وتارة يرى البهاء وتارة ينظر الى الكمال وتارة
يلوح له الكبرياء والعزة وتارة يبدو له الجبروت والعظمة وتارة يشهد اللطف
والبهجه فهذا يبسطه وهذا يقبضه وهذا يطويه وهذا ينشره وهذا يفقده وهذا
يوجده وهذا يبديه وهذا يعيده وهذا يبقيه وهذا يفنيه فهو زائل عن نعوت
البشرية قائم بصفات العبودية لايحس بالاغيار ولا يشهد غير عظمة الجبار انتهى
من لواقح الانوار . وقال سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه قاسيت الاهوال
في بدايتي فما تركت هولاً الا ركبته وكان لباسي جبة صوف وعلى رأسي خريقة
وكنت امشي حافياً في الشوك وغيره وكنت اقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل
وورق الخس من شاطئ النهر ولم أزل آخذ نفسي بالمجاهدات حتى طرقني من الله تعالى
الحال فاذا طرقني صرخت وهجت على وجهي سواء كنت في صحراء او بين الناس
وكنت اتظاهر بالتخارس والجنون وحملت مرة الى المارستان وطرقني مرة
الاحوال حتى مت وجاؤا بالكفن والغاسل وجعلوني على المغتسل ليغسلوني ثم
سري عني وقمت . وقال سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله عنه ان العبد اذا تمكن

من الاحوال بلغ محل القرب من الله تعالى وصارت همته خارقة للسبع السموات
وصارت الارضون كالخلخال برجله وصار صفة من صفات الحق جل وعلا
لا يعجزه شيء وصار الحق تعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه . قال ويدل لما
قلناه ما ورد في بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل (يا بني آدم اطيعوني
اطعكم واختاروني اختركم وارضوا عني ارضى عنكم واحبوني احبكم وراقبوني
اراقبكم واجعلكم تقولون للشيء كن فيكون . يا بني آدم من حصلت له حصل
له كل شيء ومن فته فاته كل شيء . قال الشيخ رضي الله عنه وصار صفة من
صفات الحق تعالى لعله يريد التخلق والاتصاف بصفاته تعالى من الحكم والصفح
والكرم لانه لايصح لاحد ان يكون عين صفات الحق فهو كقوله فبي يرى
وبي يسمع وبي ينطق وما اشبه ذلك انتهى . وقال الشيخ داوود الكبير ابن
باخلا رضي الله عنه الحال ما جزبك الى حضرته والعلم ماردك الى خدمته . وكان
يقول لولا ضيق المجاري كنت ترى النور جاري . وكان يقول ما منعك من شم
نسيم القرب الا زكامك ولا حجبك عن شهود النور الا ظلامك . وكان يقول
ما عمل العارفون في هذه الدار على حال ولا مقام وانما عملوا على تحقيق انحيازهم الى
الله تعالى وان الكل في طي ذلك . وكان يقول حقيقة الطريق ان تكون مفلساً
وان تكون طالباً للاعلى ابداً ومتى ظننت انك وصلت فما وصلت ومتى ظننت
انك ظفرت فما ظفرت ومتى ظننت انك حصلت لك حالا فلا حال لك . وكان
يقول ان الله تعالى يستر عن العارفين كثيراً من مقاماتهم وكراماتهم حتى لاتخطر
الدعوى على بالهم . وكان يقول العارفون يتكلمون مع الخلق وهم بالحق مع الحق
كما حكي عن ابي القاسم الجنيد رضي الله عنه انه قال لي ثلاثون سنة اتكلم مع
الله تعالى والناس يظنون اني اتكلم معهم انتهى المراد منه

وقال سيدي احمد ابو العباس المرسي رضى الله عنه كما في لواقح الانوار
الكامل من يملك حاله وله سوحة في العلم كما قيل لبعضهم مالك لا تتحرك في السماع
امس فقال انه كان الجمع كبير فاحتشمت منه ولو اني خلوت وحدي لارسلت
وجدي وتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله معه يمسكه اذا شاء ويطلقه اذا
شاء واذا اتسع القلب بمعرفة الله تعالى غرقت فيه الواردات ولهذا جزلت احوال
الاكابر ارباب المقامات واشتهر اهل الاحوال لظهور آثار المواهب عليهم لضعفهم
عن كتمها ولضيقهم عن وسعها وربما كان صاحب الحال احظى عند الله تعالى وعند
الخلق باقبالهم عليه من صاحب المقام مع ان بينه وبينه كما بين السماء والارض
ولذلك قال بن عطاء الله كلما تمكن الرجل في العلوم الالهية والمعارف الربانية
استغرب في هذا العالم فيقل من يعرفه ويقل من يحيط به فيصنه اه وما ذكره
هذا الامام رضي الله عنه من ان الكامل يملك حاله يمسكه اذا شاء ويطلقه اذا
شاء مفيده ماذكره الاستاذ البكري في الكاس الرائق في سبب اختلاف الطريق
فانه قال بعد كلام طويل يتعلق ببث المعارف وكتمها ما نصه وقد حكى الامام
الشعراني قدس الله سره عن نفسه وعن اخيه افضل الدين انهما من فرد كتم
الحقائق والاسرار كانت تظهر عليهما الدماميل والقروح وهكذا الابرار وانظر
فيمن حفظ مسألة بأصولها وفروعها كيف يستطيع كتمانها اذا رأى محلا قابلا
لشروقها فيه وطلوعها فكيف حال من ترد عليه البحور الزواخر التي لا يدرك لها
أول ولا آخر ولم يجد لها محلا يكون بها محلا وامر بالكتم ولم يؤذن له بالافشا
فكيف لا تمزق جلده بتأجج الحشا ولقد انشد من ذاق هذا المذاق وانتشا

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا * جبال حنين ما سقوني لغنت

قال بعض العارفين العارف اذا تكلم اهلك غيره واذا سكت اهلك نفسه

واهلاك الغير اولى قلت هذا من الضيق الموجب للتمزيق وموجبه انفجار عيون
الفؤاد بغرائب الاسرار وعجائب الامداد ولولا تخلق العارف باسمه تعالى الواسع
لما ثبت نفساً لذلك ولعاد محوه صرفاً بتجلي المالكي واهلاك الغير لا يكون الا
بظروف حال غالب لا دافع له ولا مغالب والا فالكامل بالسعة الالهية موصوف
فلا هلاك عنده ولا اهلاك كما هو المعروف وقد انشد البكري الهمام مشيراً الى
حكمه على الاحوال الكرام قوله

ولو افرغوا كل المدم بباطني * ولم ابتغي سكر لما مسني سكر
ولو ابتغي سكراً وقالوا مدامة * رأيت فتى طاشت بسكرته الخمر

وعلى هذا يحمل حال من تكلم بالسكر من الاكابر لا لانها لغلبته عليه تكلم
بل التساكر فلا نكابر اه بحروفه . وكان سيدي محمد ابو المواهب الشاذلي رضي
الله عنه يقول اذا لم تجد ايها المريد صاحب الحال فعليك بصاحب القال (وان لم
يصبها وابل فطل) وإياك وصحبة من لا قال له ولا حال وكان هو رضي الله عنه
يغلب عليه سكر الحال فينزل من خلوته الى فوق سطح الجامع الازهر يمشي ويتمايل
في الجامع الازهر فيتكلم الناس فيه بحسب مافي اوعيتهم حسناً وقبحاً . وكان
اولاد ابي الوفا لا يقيمون له وزنا لانه حاكي دواوينهم وصار كلامه ينشد في
الموالد والاجتماعات والمساجد على رؤس العلماء والصالحين فيتمايلون طربا من الادب
والرقة والخدمة وامسكوه مرة وهو داخل يزور السادات فضربوه حتى ادموا
رأسه وهو يتبسم ويقول انتم اسيادي وانا عبدكم . ومن كلامه رضي الله عنه اذا
اردت ان تهجر اخوان السوء فاهجر قبل ان تهجرهم اخلاقك السوء فان نفسك
اقرب اليك والاقربون اولى بالمعروف . وكان رضي الله عنه يقول في تفاخر
الغنى والفقر فقال الغنى انا وصف الرب الكريم فمن انت ياحقير فقال له الفقر لولا

وصفي ما تميز وصفك ولولا تواضعي ما رفع قدرك وانا وصفي وسم بذل العبودية وانت وصفك نازع الربوبية . وكان يقول من علامة المرء اجابته عن نفسه اذا اضيف اليه نقص وتنقيص الصالحين من اهل زمانه اذا ذكروا . وكان يقول الفقراء يراؤون بالاحوال والفقهاء يراؤن بالاقوال. وكان يقول من طلب الشهرة بين الناس فمن لازمه ان يرضيهم بما يسخط الله تعالى وان يصحبهم لهواً لا لله تعالى . وكان يقول العارف كلما علا به المقام صغر في أعين العوام كالنجم يرى صغيراً وانما العيب من العيون . وقال رضي الله عنه في معنى قول بعضهم يصل الولي الى حد يسقط عنه التكاليف المراد به سقوط كلفة الاعمال ومشقتها من باب ارحنا بها يابلال . وقال في معنى قول سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه (وكل بلا ايوب بعض بليتي) اي لان بلاايوب عليه السلام بالجسد دون الروح وبلاء العارف فيهما معاً . وقال في معنى قول الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه

توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سر * ولا تتيمم بالصعيد وبالصخر
وقدم ما كنت انت امامه * وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذه صلاة العارفين بربهم * فان كنت منهم فانضح البر بالبحر

المراد بالوضوء طهارة اعضاء الصفات القلبيه من النجاسات المعنوية وماء الغيب هو خلوص التوحيد فان لم يخلص لك بالعيان فتطهره بصعيد البرهان وقدم اماماً كان امامك في يوم الخطاب ثم صرت انت امامه بعد سهل الحجاب وصل صلاة الفجر التي هي صلاة نهار كشف الشهود بعد حجاب ظلمة الوجود في اول العصر الذي هو أول زمان انفجار فجرك ولا تتأخر لآخر دورك لان الحكم للوقت والتأخير له مقت فهذه صلاة العارفين بربهم وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الاحكام الشرعية في جميع مشاهد الربوبية فان كنت منهم فانضح يعني

اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بر الشريعة . وكان يقول لما خلقت المرآة المحسوسة من جميع الالوان انطبقت فيها صور الاكوان وكذلك القلب اذا تفرغ من الطباع والاوهام اشرق فيه نور الشعاع فاحرق هشيم الشهوات وتراءت له المغيبات وابصر ما مضى وما هو آت . وكان يقول ما يبدوا لك من الاشراق انما هو نور ذكرك يشرق في مرآة قلبك . وكان يقول اهل الطبيعة هم الدهرية القائلون بان لاصانع للعالم الا وجود الطبيعة واهل العلة هم الفلاسفة القائلون بقدم العالم وكلهم في ظلمات بعضها فوق بعض . وكان يقول ليس في الوجود الا ما سبق به العلم واوجدته القدرة وخصصته الارادة ورتبته الحكمة فذرات الوجود ما خرجت عن حكم هذا الشهود فكيف يكون الغير حجاباً على الحق والغير منفي بهذا لاعتبار الله اكبر قد طلع النهار وأضاءت الانوار على رغم انف الكفار

اذا ماتجلى الحق من غيب ذاته * تلاشى وجود الغير حقاً بلاشك
وطاح حجاب الكون في كل مشهد * فنزه وجود الحق منك عن الشرك

وكان يقول اثبات المسألة بدليلها تحقيق واثباتها بدليل آخر تدقيق والتعبير عنها بغاية العبارة ترقيق ومراعاة علم المعاني والبيان في تركيبها تميق والسلامة من اعتراض الشرع فيها توفيق . وكان يقول اقسم الحي القدوس ان لايدخل حضرته احد من اصحاب النفوس . وكان يقول احذر ان تخرق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع واحذر ان تقول انا مطلق من الحدود لانى دخلت حضرة الشهود فان الذي دعاك هو الذي نهاك . وكان اهل الخصوصية مزهود فيهم ايام حياتهم ومتأسف عليهم بعد مماتهم وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم . وكان يقول لاصحابه عليكم بالتسليم للفقراء فيما ادعوه من المقامات والاحوال . وكان يقول الاعتماد على العمل اول عائق يقع

لاصحاب السلوك في بدايتهم وذلك من غلبة الوهم على وجودهم وتراكم الخيال على
مرأى عقولهم فلا يخرجون عن ذلك الا بنور الكشف بانه تعالى خالق لاعمالهم
وكان رضي الله عنه يقول قد ادعى اقوام محو آثار البشرية فاخطأوا الطريق
فان الاكابر من الصحابة والتابعين وصلوا الى محو الصفات البشرية وما تركوا
قط شيئاً من الواجبات الدينية علما منهم انها اختبارات الرب لهم ودعوته لهم حين
اذن بها ان يأتوه بها ومن كان بامر سيده كان بغير امر نفسه فافهم معنى الثنا
ياواقع في العنايا وما يعقلها الا العالمون الخ ما نقله عنه الامام الشعراني في لواقح
الانوار فانظره ان شئت . وكان سيدي ابو السعود الجارحي رضي الله عنه اذا
غلب عليه الحال نزع ثيابه وصار عريانا ليس في وسطه شيء . وكان يعامل اصحابه
بالامتحان فلا يكاد يقرب منهم احد الا بعد امتحانه سنة كاملة وكان يأتي حاله
على الفقير فيتمزق. قال في لواقح الانوار واخبرني عن الشيخ شمس الدين الابوصيري
رضي الله عنه اجل اصحابه قال لم يزل الشيخ يمتحني الى ان مات واراني ضرب المقارع
على اجنابه من الدعاوي التي كان يدعيها الناس عليه عند الحكام قال وكنت اعترف
عند الحاكم إيثاراً لجناب الشيخ ان يرد قوله فاذا قال هذا زنى بجاريتي اقول نعم
او يقول هذا اراد الليلة ان يقتلني اقول نعم او يقول هذا سرق مالى اقول نعم
واطال في ذلك الى ان قال وكان رضي الله عنه يقول ليس لي اصحاب قات وقال
لي يوماً من حين عملت شيخاً في مصر لي سبع وثلاثين سنة ما جاء لى قط احد
يطلب الطريق الى الله ولا يسأل عن حسرة ولا عن فترة ولا عن شيء يقربه الى
الله وانما يقول استاذي ظلي وامرأتي تناكدني جاريتي هربت جاري يؤذيني شريكي
خانني وكلت نفسي من ذلك وحننت الى الوحدة وما كان لي خيرة الا فيها فياليتني لم
اعرف احداً ولم يعرفني احد . وكان الشيخ على ابو خودة من ارباب الاحوال ومن

الملامتية وكان رضي الله عنه يتعاطى اسباب الانكار عليه قصداً فاذا انكر عليه احد
اعطبه . قال الشيخ رضي الله عنه واجتمعت به مرات عديدة وقال لي مرة احذر من
ان تنيكك امك فقلت لعبد من عبيده ما معنى كلام الشيخ قال يحذرك ان يدخل
حب الدنيا قلبك لان الدنيا هي امك انتهى . وكان ايضاً من ارباب الاحوال
والمكاشفات سيدي محمد الشربيني شيخ طائفة الفقراء بالشرقية . قال الشيخ
رضى الله عنه وكان رضي الله عنه يتكلم على سائر اقطار الارض كانه تربى فيها ورأيته
مرة وهو لابس بشتاً من ليف وعمامته ليف ولما ضعف ولده احمد واشرف على
الموت وحضر عزائيل لقبض روحه قال له الشيخ ارجع الى ربك فراجعه فان
الامر نسخ فرجع عزرائيل وشفي احمد من تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين عاماً
وكان رضي الله عنه يقول للعصا التي كانت معه كوني انساناً فتكون انساناً ويرسلها
تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت وكراماته كثيره انتهى المراد منه
ومن اكابر ارباب الاحوال سيدي ابراهيم ابن عصيفير رضي الله عنه وكانت
له كرامات وهو صغير منها انه كان ينام في الغيط ويأت البلد وهو راكب الذئب
والضبع ومنها انه كان يمشي على الماء لايحتاج الى مركب وكان بوله كاللبن الحليب
ابيض وكان يغلب عليه الحال فيخصم ذباب وجهه وكان يتشوش من قول المؤذن
الله اكبر فيرجمه ويقول عليك يا كلب نحن كفرنا يامسلمين حتى تكبر علينا . وله
كرامات اخر ذكرها الشيخ في لواقح الانوار فراجع ان اردت . وقال سيدي
على الخواص رضي الله عنه كما في الكتاب ارباب الاحوال يعرفون بصفرة
الوجوه مع سواد البشرة وسعة العيون وخفض الصوت وقلة الفهم لما يقال لهم قال
الشيخ وسمعته يقول مرة اخرى ارباب الاحوال كالسفن مسرعين سائرين بالهواء
ان سكن سكنوا وان سار ساروا والعارفون كالجبال . وكان رضي الله عنه يقول

اذا لازمت الاحوال صاحبها حتى غاب معها عن حسه فهو نقص وكلما خف الحال
وابطأ وجوده كان في حق صاحبه خيراً كثيراً واين الحاضر من الغائب واين
الموجود من المعدوم . وقد حكي ان الشبلي رضي الله عنه قال والحلاج مغلوب
سكرت انا والحلاج من اناء واحد فبلغ ذلك الحلاج فقال لو شرب كما شربت
لسكر كما سكرت فقدم الاشياخ كلام الشبلي لصحوه على كلام الحلاج . وكان
رضي الله عنه يقول لا يكمل لفقير حتى يحمل كله عن شيخه فان رمى اثقاله على
شيخه فهو سيء الادب مع انه اذا تعود ذلك ألفت نفسه ذلك فينقص استعداده
فاذا جاءته صدمة هدمت جداره وشيخه ليس بمقيم له اهـ . وقال سيدي الشيخ
احمد ابو الفضل رضي الله عنه اذا فجأك في حال الذكر شيء من حال او غيره
فلا تدفعه عن نفسك ولا تستجلب ذلك بجميع باطنك وتفعلك فان ذلك سوء
أدب . وكان يقول اياكم ان تظهروا لكم حالا او وصفاً دون ان يتولى الله ذلك
من غير اختياركم . وكان يقول اذا نقل اليكم أحد كلاماً في عرضكم من احد
فازجروه ولو كان من اعز اخوانكم فى العادة وقولوا له ان كنت تعتقد هذا
الامر فينا فانت ومن نقلت عنه سوائل انت اسوء حالاً لانه لم يسمعنا ذلك وانت
اسمعته لنا وان كنت تعتقد ان ذلك الامر باطل في حقنا وبعيد منا ان نقع في مثله
فما فائدة نقله لنا . قال الشيخ وسمعته رضي الله عنه يقول لا تتكادوا قط مع من فني
فى التوحيد وكاوه فانه مغلوب لمشيئة الله تعالى . وكان رضي الله عنه يقول لا يخلو
المنقص لاعراض الناس عن ثلاثة احوال إما ان يرى نفسه افضل منهم فهو
حينئذ اسوء حالا منهم كما وقع لابليس مع آدم عليه السلام وإما ان يرى نفسه
مثلهم فما انكر الا على حال نفسه حقيقه وإما ان يرى نفسه دونهم فلا يليق له
تنقيص من هو خير منه . قال الشيخ رضي الله عنه وسمعته مرة يقول هؤلاء

المنقصون لاعراضنا فلاحون لنا يزنون لنا الخراج فقلت له كيف فقال لانهم
ينقلون في صحائفنا جميع اعمالهم الصالحة الخالصة وثم ذنوب لا يكفرها الا كلام
الناس في عرض الانسان . وكان رضي الله عنه يقول ثم من تشتاق اليه الجنة كما
يشتاق اليها وهم المطيعون وثم من لا تشتاق اليهم الجنة وهم يشتاقون اليها وهم عصاة
المؤمنين وثم من تشتاق اليه الجنة وهو لا يشتاقها وهم ارباب الاحوال وثم من
لا تشتاق اليه الجنة ولا يشتاق هو اليها وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي
الجنة المحسوسة اعاذنا الله منهم بمنه وكرمه ثم انه لا يخفى على ذي بصيرة وايقان
ونور من ربه وبرهان ان ما اوردناه في هذا الفصل من غرائب نصوص النصوص
واودعناه فيه من بدائع جواهر المنصوص مؤذن بثبوت صادق الاحوال وشيوعه
وذيوعه بين خواص الرجال ومناد على المنكرين له بفضيحة الجهل وخيبة الامل
والحرمان بضغائن الحقد والحسد والخسران وقاض بانهم لم يذوقوا شيئاً من
مذاق اهل الطريق ولم يعرفوا منها مقاماً ولا حالا ولا قالا يؤثر عن لسان التحقيق
وانما حملهم الجهالة والبهتان على تنقيص انفسهم بتلك الفضائح وعلى حسد الناس على
ما آتاهم الله من فضله فتاهوا بتلك القبائح وخالفوا طرق الهدى وحالفوا سبيل
الردى وعميت منهم البصائر وغوت عقولهم حتى ضلت عن المشاعر قال سلطان
العاشقين سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

وبهم سبيلي واضح لمن اهتدى * ولكنها الاهواء عمت فاعمت

وقال غيره

ولو ان ليلا ابرزت حسن وجهها * لهام بها اللوام مثل هيامي
ولكنها أخفت محاسن وجهها * فضلوا جميعاً عن حضور مقامي

وقال غيره

ولما اجتلاك الفكر في خلوة الرضى * وغيبت قال الناس ضلت بك الاهوا
لعمرك ما ضل المحب وما غوى * ولكنهم لما عموا أخطأوا الفتوى

ومن العجب العجيب ان بعض هؤلاء المنكرين يزعم انه من السائرين في طريق اهل التمكين بل من السالكين فيها مع الواصلين معان هذا من المحال والدعاوي الكاذبة والضلال فانهم لو ساروا في هذه الطريق وقطعوا عقباتها وقاسوا حرارتها وتجرعوا مرارتها ووصلوا فيها الى البحر المحيط الذي لا يسمع لموجه اطيط لاقتطفوا من ثمار مياهها وشربوا من مياه بحارها وذاقوا حلاوة الترقي وهزة التلقي ولم ينكروا على اهل التوفيق ولم يشنوا الغارات على اهل التحقيق وانما التفتوا من خلفهم الى ورا ورجعوا على اعقابهم القهقرا ومن المعلوم انه لا يرجع من الطريق الا من لم يصل الى النعيم وحيث رجع فانه يرجع مصراً على دعاوي كاذبة واقوال لا يقصد بها الا المغالبة ويقنع بالقيل والقال وشقشقة اللسان وزخارف الاقوال مع الحظوظ النفسانية والاهواء الشيطانية وفي مثل هؤلاء قال سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه ونفعنا به آمين

تعرض قوم للغرام واعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم في الثرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبي في الحب لما استحبوا العـ * ـمى على الهدى حسداً من عند انفسهم ضلوا

(تنبيهات)

الاول ذكر الامام الشعراني ان اول من تكلم في علم الاحوال بكورة خراسان شقيق ابن ابراهيم البلخي رضي الله عنه وكان يقول اذا كان العالم طامعاً وللمال جامعاً فبمن يقتدي الجاهل واذا كان الفقير المشهور بالفقر راغباً في الدنيا

والتنعم بملابسها ومناكحها فبمن يقتدي الراغب حتى يخرج عن رغبته واذا كان الراعي هو الذئب فمن يرعى الغنم (الثاني) لما جل قدر الاحوال عند العارفين مدح علي ابن وهب بانه مات عن اربعين مريداً كلهم من ارباب الاحوال قال الامام الشعراني وحكي انه لما مات اجتمع هؤلاء المريدون في روضة تجاه زاويته فجعل كل منهم يأخذ من تلك الروضة قبضة من نباتها ويتنفس عليها فتزهر من جميع الازهار المختلفة الالوان من اصفر واخضر وازرق وابيض وغير ذلك حتى اقر بعضهم لبعض بالتمكين والتصريف (الثالث) نهى الشيخ ابو عمر عثمان ابن مرزوق القرشي عن محاكاة ارباب الاحوال فقال اياكم ومحاكاة اصحاب الاحوال قبل إحكام الطريق وتمكن الاقدام فانها تقطع بكم عن السير . وكان يقول من غلب حاله عليه لا يحضر مجلساً في السماع وكان هو من اصحاب الاحوال الفاخرة رضي الله عنه . وكان يقول من لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه الله بصحبة العبيد ومن انقطعت آماله الا من مولاه فهو العبد حقيقة . ووقع النهي من سيدي ابراهيم الدسوقي عن الانكار على احوال الفقراء فكان رضي الله عنه يقول لا تنكروا على فقير حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا على اي حال كان ولا على أي ثوب يلبس ولا انكار على أحد الا ان ارتكب محظوراً صرحت به الشريعة وذلك ان الانكار يورث الوحشة والوحشة سبب انقطاع العبد عن ربه عز وجل فان الناس خاص وخاص الخاص ومبتدى ومنتهي ومتشبه ومتحقق ويرحم الله تعالى البعض بالبعض والقوي ما يقدر ان يمشي مع الضعيف وعكسه والفقير غيث وهو سيف فاذا ضحك الفقير في وجه أحدكم فاحذروه ولا تخالطوه إلا بالأدب . وكان رضي الله عنه يقول ما كل من وقف يعرف لذة الوقوف ولا كل من خدم يعرف آداب الخدمة ولذلك قطع بكثير من الناس مع شدة اجتهادهم .

وكان رضي الله عنه يقول سألتكم بالله العظيم يا أولادي ان تكونوا خائفين من الله تعالى فانكم غنم السكين وكباش الفنا وحزاف العلف يامن تنور شواهم قد اوهج ويا من السكين لهم تحدّ وتجذب قوا انفسكم واهليكم ناراً (الرابع) ذكر الامام الشعراني فى الطبقات ان الشاذلي رضى الله عنه كان يقول من اعترض على احوال الرجال فلا بد ان يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر . موت بالذل وموت بالفقر وموت بالحاجة الى الناس ثم لايجد من يرحمه منهم اهـ . وحينئذ فينبغي للعاقل ان يجتنب الاعتراض على أرباب الاحوال حذراً من هذه الموتات وغيرها من الموبقات بل يسلم احوالهم لهم كما قال سيدي علي وفى رضي الله عنه بعد كلام طويل ولقد انصف من قال في اصحاب الاحوال انا نسلم لهم احوالهم حيث لم نجد ما يبطلها ولا مايصححها (الخامس) ذكر الامام الشعراني في لواقح الانوار ايضاً انه سمع سيدي علياً الخواص رضى الله عنه يقول اذا صادمكم أحد من أرباب الاحوال من اصحاب النوبة فلا تستعينوا عليه الا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فانهم يرجعون عنكم اجلالا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم والزموا الأدب معهم ظاهراً وباطناً ولا تخرجوا قط من سور بلدكم الى حاجة حتى تستأذنوهم بقلوبكم فانهم يحبون من يراعي الأدب معهم وربما صدموا من خرج غافلا عن مراعاتهم فيحل له الخراب في باطنه حتى يكاد ان يهلك لا يهتدي أحد من الاطباء الى دوائه كما جربنا ذلك . ثم قال الشيخ ايضاً بعد ذلك وسمعته اي الخواص رضي الله عنه يقول لأخي فضل الدين رحمه الله تعالى إياك ان ترق لمن أفقره الله تعالى من الدنيا بعد غناه فتعطيه شيئاً اكثر من قوت يومه فان الله تعالى ما أفقره الا لحكمة بالغة وربما عاقبك الحق تعالى بنظير ذلك الى آخر ما قال رضي الله عنه (السادس) ينبغي للعاقل الخائف على نفسه من الحرمان

وخيبة الأمل والخسران ان لايعترض على القوم ولا يكذبهم ولا يستهزئ بهم فان ذلك من علامة الخسران والحرمان لقول سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه عليكم بتصديق القوم في كل ما يدعون فقد افلح المصدقون وخاب المستهزؤن فان الله تعالى يقذف في سر خواص عباده مالا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا بدل ولا صديق ولا ولي ما أنا قلت هذا من عندي انما هو كلام أهل العلم بالله تعالى فما للعاقل الا التسليم والا فاتوه وفاتهم وحرم فوائدهم وخسر الدارين . وقال رضي الله عنه من شأن الفقير ان لا يكون عنده حسد ولا غيبة ولا بغي ولا مخادعة ولا مكابرة ولا مماراة ولا مماقتة ولا مكاذبة ولا كبر ولا عجب ولا ترف ولا افتخار ولا شطح ولا حظوظ نفس ولا تصدر في المجالس ولا رؤية نفس على اخيه ولا جدال ولا امتحان ولا تنقيص ولاسوء ظن باحد من أهل الطريق ولا ممن تزيق بالزيق ولايقدح قط في صاحب خرقة الا ان يخالف صريح الكتاب والسنه اختياراً . وكان يقول من شرط الفقير ان لا يكون عنده التفات الى مراعاة المخلوقين له فى الحرمة والجاه والقيام والقعود والاقبال والاعراض وغير ذلك من الاحوال الظاهرة لانه لا يراعي الله تعالى . وقال رضي الله عنه كان السلف يخافون من آفات الاجتماع فلذلك أثروا العزلة الا في صلاة الجمعة وحضور مجالس العلم التي لا رياء فيها ولا جدال ولا عجب ولا مداراة والسلامة من هذه الامور في زماننا هذا قل ان توجد فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك فانك يا ولدي في القرن السابع الذين اكثرهم يجعلون شرعة السالك قدحا في الشريعة وحقيقة المحبة بدعا في الطريقة كأنهم ماعلموا قط عطاء الله تعالى ومواهب مدد الله وخوارق عجائبه بل رؤوا من سوء حالهم ان باب العطاء قد غلق فمن اعتقد ذلك فانما هو معترض على الله

تعالى في فعله ونعوذ بالله من التعرض فانه لابد لاهل حضرته تعالى من التميز عن
المعرضين عنها لشتاق المعرضون اليها حين يرون الخوارق تقع على يد أوليائه فما
أجهل من جهل قدر الفقراء وما اعماه بشيء يقال في قوم كلهم طالبون الله تعالى
أينكر عليهم مسلم كلا والله اه المراد منه هنا وسيأتي لذلك تتمة ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الكلام على ما تثيره الاحوال من البكا والصياح والرقص وشق الثياب
وغير ذلك مما وقع به اعتراض المعترضين وانكار المنكرين الذين لا علم عندهم
باحوال الطريقة ولا خبرة لهم باقوال أهل الحقيقة كما سيتضح لك ذلك أتم إيضاح
فنقول ومن الله نستمد المأمول

قال العارف بالله تعالى سيدي احمد الدردير في تحفة المريدين بعد ان ذكر ما يتعلق
بالطريق من اصول وآداب وأوراد وغير ذلك هذا حاصل طريق القوم وهو
طريق مقوم كيف ومقصدهم تحصيل تقوى الله التي لا يدركها غيرهم كما مهدنا في ما تقدم
والتلبيس بالآداب المحمدية فلا عبرة باعتراض المعترضين عليهم بما هو من شأنهم
(ولا يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور) ومن الجهل المركب ان
الاعمى يعتقد انه بصير مع انه مكبل بشهواته يرى اعماله كلها حسنة وان سيئاته
مغفورة بهذه الاعمال الحسنة وقد أخطأ من وجوه لانه أعمى بخلاف القوم فانهم
لا يرون لهم أعمالاً حسنة ابداً ويعدوا على انفسهم فضول المباحات والمكروهات
فضلاً عن المحرمات فدائماً يرون انفسهم انها تستحق الخسف والمسخ والعذاب لولا
عفو الله وحلمه وكلما ترقى الانسان منهم انكشف له عن قبح نفسه ما لم ينكشف
له قبل حتى يصير احدهم عبداً ذليلاً مسكيناً حقيراً وكلما ترقى درجة كلما تذلل
وتواضع ورأى نفسه انه ليس بشيء فليحذر المتعرض عليهم من مقت الله فان الله

عند المنكسرة قلوبهم فهم أولياء الله والله لا يتركهم لغيره كما هو بين ولا يعيبهم
ذكر الله قياماً وقعوداً وهزهم في الذكر والانشاد الذي يقع منهم وليس هذا
بخفة كما يزعمه المنكرون فان للذكر حلاوة ومخامرة باطنية يعلمها اربابها فتقتضي
هذه الحالة شدة الذكر وشدة الهز كما اشار اليه الغوث سيدي مدين المغربي
بقوله رضي الله عنه

يا حادي العشاق قم وحد قائماً * ودندن لنا باسم الحبيب وروحنا
وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا * وان انكرت عيناك شيئاً فسامحنا
فانا اذا طبنا وطابت نفوسنا * وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

وقال سيدي ابراهيم الدسوقي كما في لواقح الانوار قيل للجنيد رضي الله عنه ان
قوماً يتواجدون ويتمايلون قال دعهم مع الله يفرحون ولا تنكر الا على العصيان المصرح
به في الشريعة أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق اكبادهم ومزق التعب والنصب
امعاءهم وضاقوا ذرعاً فلا حرج عليهم اذا تنفسوا مداواة لحالهم ولو ذقت يا أخي
مذاقهم لعذرتهم في صياحهم وشق ثيابهم فالله يلهم اولادي سلوك طريق الرشاد
انه سميع مجيب اه . وقيل لابي حفص النيسابوري ان فلاناً من اصحابك يدور
حول السماع فاذا سمع بكا وصاح ومزق ثيابه فقال ايش يعمل الغريق يتعلق بكل
شيء يظن فيه نجاته . وسئل الجنيد رضي الله عنه عن الانسان يكون هادياً فاذا
سمع السماع اضطرب فقال ان الله تعالى لما خاطب الذرية في الميثاق الاول بقوله
(ألست بربكم) استعذبت عذوبة سماع الكلام الارواح فاذا سمعوا السماع حركهم
ذكر ذلك وكان رضي الله عنه يقول تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند
السماع فانهم لا يسمعون الا من حق ولا يقومون الا عن وجد وعند اكل الطعام
فانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند مجارات العلم فانهم لا يذكرون الا احوال الاولياء

وقال خير النساج رضي الله عنه قص موسى عليه السلام يوماً على بني اسرائيل فزعق واحد من القوم فانتهره موسى عليه السلام فأوحى الله تعالى اليه ياموسى بطيبي ناحوا وبحبي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكر على عبادي اه . ولا يعارض هذا قول سيدي ابراهيم المارستانى بلغني ان موسى عليه السلام قص على بني اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فاوحى الله تعالي قل له مزق قلبك لا تمزق ثيابك لان الله تعالى علم من هذا الرجل ان قلبه متعلق بالشهوات مظالم برين المخالفات . سدلت عليه حجب الغفلات . وغشي بجلابيب أنواع الرعونات . وقد ادعى مع ذلك حالا لم يبلغه ومقاماً لم يصله حيث مزق ماعليه من القميص . ليرى عليه مخايل الحب وآثار التخصيص . فامر بذبح نفسه بسيوف المخالفات . وقتلها بانواع المجاهدات . وتطهيرها من الحظوظ والرعونات . حتى تزول عنها ظلم الاغيار وتمزق حجب الرين والاستار . فتكون حينئذ محلا للانوار . ومحملا للاسرار . حتى يحق لها التمزيق والتصفيق . والصياح والشهيق . كما سيأتي توضيحه

وعلى مثل حال هذا الرجل يحمل ماحكي عن رجل صاح في مجلس الشبلي فرمى به في دجلة وقال ان كان صادقاً نجاه الله تعالى كما نجا موسى عليه السلام وان كان كاذباً اغرقه الله كما اغرق فرعون هكذا ظهر لي في منع هذه المعارضة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولنرجع لما نحن بصدده فنقول

قال الامام الشعراني في بعض كتبه سئل رويم عن تواجد الصوفية فقال يسمعون عند السماع مايعزب عن غيرهم فتشير اليهم المعانى الينا الينا فيتنعمون بذلك من الفرح ثم انه يقع الحجاب عن شهود ذلك فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يمزق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكي كل انسان على قدر حاله. وقال ابو السعود الخراز رضي الله عنه من ادعى انه مغلوب فى السماع فعلامته الصيحة ان لا يبقى

في ذلك المجلس محق الا انس به ولا مبطل الا استوحش منه . وقال القشيري السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع الى العين يبكيها وما يقع الى اللسان يصيح به وما يقع الى اليد يمزق به الثياب ويلطم به الوجه ومايقع على الرجل يرقص به واجمعوا على ان كلما جمع القلوب الشاردة من حضرة الله تعالى فلا بأس به . وكان ابو عثمان المغربي يقول ان البكرة على البئر تقول في زعيقها دائما الله الله . وكان يقول ايضاً من ادعى السماع ولم يستمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدع . وقال الشيخ محيي الدين ابن العربي بعد كلام طويل يتعلق بالانشاد واذا ظهر للفقراء من القوال في اثناء المجلس سآمة او كسل اسكتوه واراحوا سره واشتغلوا بنفوسهم فان كان فى الجماعة من ينوب عنه والا اخذوا فى الذكر بصوت واحد وطريقة واحدة وهي احسن عند المحققين من قول القوال لان نتيجتها أعلا وأحسن لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد . ثم اذا اخذ القوال في شأنه وسرت الاحوال في نفوس السامعين وتحكم فيهم سلطان الوجد طلباً لوجود الحق وتحركت هذه الهياكل لتشوق روحانيتها الى الملأ الأعلى فما فوقه كل على قدر قوته ومقامه فلصاحب الحال بعد فراغه ان ينظر ما السبب الذي حركه فان كان حركه معنى اخذه من قول القوال وسقط منه شيء من ثيابه فهو للقوال خاصة فان من قتل قتيلا فله سلبه وان كان القوال من المؤلفة قلوبهم في الطريق فيجب على الجماعة ان يأخذوا الثوب منه بما يقترحه هو ويطلبه ولا يغيرون له قلباً ولا يسامحونه فيما يقترحه فانهم اهل جود وسماحة ثم اذا رضوا القوال تقاسموا الثوب فيما بينهم على وجه البركة وان كان حركة التواجد والسماع من معنى لم يأخذه المستمع من قول القوال فالثوب للجماعة والقوال من الجماعة . قال الشيخ محيي الدين وصاحب الحال مصدق فيما يدعيه

من الحركات ولا تنبغي ان يكذبه احد اذ التهمة بين القوم قد سقطت اهـ المراد
منه هنا وسيأتي لذلك تتمة في باب السماع انشاء الله تعالى . وسئل سيدي عبد القادر
الجيلي عن البكاء كما في لواقح الانوار فقال ابكي له وابكي منه وابكي عليه ولا حرج
وسئل رضى الله عنه عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك الى يدك فانها لا تضرك
وذكر فيها ايضاً عن الشيخ خليل المجذوب صاحب الكرامات الخارقة والكشوفات
الصادقة انه كان يطوف حول بلده طول النهار ويزغرت وتارة يصيح وتارة يصمت
رضي الله عنه . وأما سيدي علي وحيش فكان من ارباب الاحوال وكانت له
خوارق عجيبة وامور غريبة فانه كان يبيت بالمحلة في خان بنات الخطا وكان كل
من خرج يقول قف حتى اشفع فيك عند الله قبل ان تخرج فيشفع فيه وكان
يحبس بعضهم اليوم واليومين ولا يمكنه ان يخرج حتى يجاب في شفاعته . وقال
يوماً لبنات الخطا اخرجوا فان الخان رايح يطبق عليكم فما سمع منهن الا واحدة
فخرجت ووقع على الباقين فمتن كلهن . وكان اذا رأى شيخ بلد او غيره ينزله
من على الحمارة ويقول له امسك رأسها حتى افعل فيها فان ابى شيخ البلد يستمر
فى الارض لا يستطيع يمشي خطوة وان سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون
عليه وكان له احوال غريبة . قال الشيخ وقد اخبرني عنه سيدي محمد بن عنان
رضي الله عنه فقال هؤلاء يخيلون للناس هذه الافعال وليس لها حقيقة . وقال سيدي
علي وفى رضي الله عنه اذا صفت الارواح صارت لهم ان تنفذ من اقطار السماوات
والارض لتفارق حكم عالم الكثافة والغير الى حكم عالم اللطافة ومحض الخير
ويمانعها حكم كونها الترابي الجسمي فيحصل الرقص والتردد وربما صحب صاحبها
حسرة على عدم خلوه عن العوائق عن ذلك فيثور هنالك عويل ولطم وبكاء
وعنف فى الحركة وتمزيق فى الثياب والجلد وربما قوي حال النفس عليها ففارقت

بدنها لمعارف وحصل الموت فافهم يا طالب القرب من مولاك هذا الكلام
وشد يدك عليه ولا تقول الا في مطامح نظرك الا عليه فان فيه عبرة لكل معتبر
وعظة لكل مذكر ومزجراً للمنكرين وردعاً للمردة الضالين واحفظ جواهر
اقوال ساداتك وتوكل على الله (وقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله) ولا تغتر بما يقوله الجهلة البطالون الذين قست قلوبهم وفشت
عيوبهم وساءت منهم الظنون وكثرت جرائمهم وانحلت عزائمهم وبطل ما كانوا
يعملون وحكموا بما تهواه انفسهم من الزور والبهتان . وتشاغلوا بما لا يجدي لهم الا
الخزي والحرمان الا ساء ما به يحكمون كيف ينكرون على خالئة قوم قال فيهم
الشيخ عز الدين ابن عبد السلام المقدسي في الروض الانيق ان لله عباداً روّح
ارواحهم بنسيم انسه وسرح اسرارهم في رياض قدسه وادهش خواطرهم بجمال
كمال مشاهدته وحير افكارهم في تلاطم امواج عظمته ووله قلوبهم في ازاهير
رياض معرفته كلما هبت عليهم نسمات ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها زهت اغصان طلبهم على عيدان طربهم وتناثرت اوراق اشراقهم وتعاطرت
عبرات احتراقهم فسقت ارض قلوبهم الخاشعة بسحائب جفونهم الدامعة كلما
اسقاها ماء الحياة وشربت اهتزت وربت حتى بلغت اربا فتلك قلوب قد استودعت
اسرار وسعني قلب عبدي المؤمن فهي مثقلة بحمل ما حملت مشحونة بسر
ما استودعت لا تسع غيره ولا تحن الا اليه ولا تسر الا به فبوجوده نورها
وبشهوده بيان سرورها وبذكره طربها وبامرها طلبها فلو قيل لها ماطلبك قالت
الله وما علمك قالت الله وما تريدين قالت الله فصار نطقها بالله ووجودها مع الله
فلو قيل من انت قالت الله لغلبة امر الله عليها واستيلاء سلطان محبته عليها
واضمحلالها عند هجوم سلطان عظمته وتلاشيها فنيت رسوم حدوثها في بقاء

ديموميته (والله غالب على امره) وانشد رضي الله عنه في ذلك

راق الشراب لمن رقت حواشيه * فاشرب فما في الورى واش يحاشيه

ايا طالب الوصل قم للوصل مغتنماً * قد غاب عن طيب هذا الوقت واشيه

وطاب للسمع معنى ما ابوحُ به * ودق عن كل سر سر خافيه

فلذى الذوق ما يغنيهُ عن صفة * ترى وعن كلما تبدي معانيه

لا عاش في الناس يا سؤلي ويا أملي * من ليس يشرب كاسات انت ساقيه

ولا رعى الله قلباً لا يرنحه * هذا السماع وانت اليوم حاديه

تالله ما خاب عبدٌ انت ذاكرهُ * كلا ولا ضل ركب انت هاديه

يا مالك الملك والاحسان انت لمن * يشكو اليك أليم الهجر راقيه

رفقاً بصبٍ اصابتهُ اصابتهُ * في قلبه من رسيس الشوق ما فيه

اماته البعد عنكم والغرام بكم * والله يعلم ان الوصل يحييه

« تنبيهات » (الاول) قد وقع الانكار على طائفة من اكابر العارفين كذي النون المصري والتستري والجنيد رئيس الطائفة الصوفية واضرابهم . قال سيدي عبد الغفار القوصي رضي الله عنه ولما وشوا بذي النون المصري رضي الله عنه الى بعض الخلفاء وادعوا انه زنديق قال له الخليفة ماهذا الكلام الذي يقال فيك فقال ما هو فقالوا انك تقول كما يقول الحسين الحلاج فقال لا اعرف ذلك الا عند السماع فارسل خلفي قوال ينشد شيئاً حتى اريكم فانشد بين يديه فانتفخ ذي النون المصري حتى بقي كالفيل وقطرت كل شعرة منه الدم فقال الخليفة ماهذا عن باطل ثم اكرمه ورده الى مصر مكرماً وكان اذ ذاك مقيماً باخميم . وحكي ان سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال التوبة فرض على كل عبد في كل نفس فانكر عليه اهل بلده وكفروه حتى خرج من تستر الى البصرة ومات بها هذا

مع علم سهل واجتهاده وعلو شأنه . قال وكذلك شهدوا على الجنيد بالكفر مراراً حتى تستر بالفقه واختفى مع علمه ومعرفته وهذا من اعجب العجائب وتقدم جملة من ذلك في الباب الاول فراجعه ان اردت . وحكي عن الشيخ عبد الغفار المذكور انه اكل مع ولده يقطيناً فقال لولده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اليقطين فقال ماهذا الا قزارة فسل السيف وضرب عنق ولده وقدم غرض الشارع صلى الله عليه وسلم على ثمرة فؤاده ومن كلامه رضي الله عنه

فؤاد لا يقر لهُ قرار * واجفان مدامعها غزار * وليلٌ طال بالانكار حتى

اظننت لليل ليس له نهار * ولولا والتقى حلت عراه * وبان على بنيه الانكار

ليبك معي على الدين البواكي * فقد اضحت مواطنه قفار * وقد هدت قواعده اعتداء

وزال بذاكموا عنه الوقار * واصبح لا تقام له حدود * وامسى لا تبين له شعار

وعاد كما بدا فينا غريباً * هنالك ماله في الخلق جار * فقد نقضوا عهودهم جهارا

واسروا في العبارة ثم ساروا * اهـ من لواقح الانوار ومن حكم وقوع ما ذكر بهؤلاء السادة الاخيار ستر الله لهم في هذه الدار . ولذلك قال الشيخ داود الكبير رضي الله عنه والله لولا ان الله تعالى يريد ستر اوليائه في هذه الدار ماسلط عليهم احداً يؤذيهم . وكان يقول ان الله عز وجل ليغار على وليه ان يعرفه غيره . وكان يقول لا يعرف الولي حتى يعرف الله تعالى لانه عنده فلا يعرف الا بعد معرفته ولو عرف قبل معرفته لكان حجاباً عن الله تعالى . ونقل الشيخ الشعراني عنه في غير هذا الكتاب انه كان يقول إياك ايها المريد ان تطلب ان احداً لا يؤذيك فان الله تعالى لولا اراد ستر اوليائه ما سلط عليهم احداً يؤذيهم والا كان انتصر لهم وانتقم ممن أذاهم وهذه العبارة اتم من تلك والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (الثاني) قد وقع النهي والتحذير من اكمل العارفين عن مصاحبة اهل

المقال بلى عمل والجدال بلى حق لاضلالهم من يصاحبهم عن سبيل الله . قال العارف بالله تعالى سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنهُ يا ولد قلبي تجنب معاشرة اولي الاقوال والجدال ولا تتخذ احداً منهم صاحباً وجالس من جمع بين الشريعة والحقيقة فانهُ أعون لك على سلوكك . وكان رضي الله عنه يقول ان كنت ولدي حقاً ومتبعي صدقاً فاخلص الرق لله تعالى واجعل واعظاك من قلبك وكن عمالا ولا تلتمس لاحد درهماً فان هذه طريقي ومن احبني سلك معي فيها فان الفقير الصادق هو الذي يطعم ولا يطعم ويعطي ولا يعطى ولا يلتمس الدنيا ولا شيئاً من عروضها فان الرشا فى الطريق حرام وشيخكم قد بايع الله تعالى ان لا يأخذ لاحد فلساً ولا درهماً وانما امركم بذلك لله لا لغرض ولا لأمر دنيوي الى ان قال واعلموا يا جميع اولادي ان من استحسن في طريقي أخذ شئ حين لعب به هواه وسولت له نفسه فقد خرج عن طريق شيخه . يا أولادي اوساخ الدنيا تسود القلب وتوقف المطلوب وتكسبها الذنوب واني غير راضٍ عن من أخذ في اجازة فلساً واحداً ومن طلب الدنيا بالباس الفقراء الخرقة مقته الله تعالى ولو ذهب الى اعمال الدنيا واحترف لنفسه وعياله كان خيراً له . وطريقي انما هي طريق تحقيق وتصديق وتزيق وتدقيق واني ابرأ الى الله تعالى ممن يأخذ على الطريق عرضاً من الدنيا ويتلف طريقي من بعدى ويأكل الدنيا بالدين ويخالف ما كنت عليه انا واصحابي اللهم ان كان هؤلاء الاصحاب خلفي يفعلون خلاف طريقتي فلا تهلكني بذنوبهم ان الله لا يحب الفقير الذي يبيع سره أو يأكل عليه لقمة . وكان رضى الله عنهُ يقول يا أولادي الفقراء عندي كلهم ملاح فليكونوا عندكم كذلك فاحذروا الانكار . وكان رضي الله عنه يقول يا أولادى لا يدبر أحدكم سريرة سيئة فان الله تعالى سيظهر ما كنتم تكتمون وما كنتم تخونون وما كنتم

تستترون وينادى عليكم بالتصريح والتوبيخ فلان عمل كذا وكذا وكان يستتر من الناس ولا يستتر من الله تعالى فلان كان يرتكب المحارم والقبائح ويظهر للناس الصلاح زوراً وبهتاناً . فلان كان يطلق بصره الى النساء ويدعي انها نظرة فجأة وهو يعطف طرفه ويميل كانه لص سارق فيافضيحة من تزيا بزي الفقراء وخالف طريقهم فيا أولادي جميكم انما كلامي مواعظ وتذكير وتحذير وترغيب لمن يتأدب وكان رضي الله عنه يقول يا اولادي لا تصحبوا غير شيخكم واصبروا على جفاه فانه ربما امتحنكم ايريد بكم الخير وان تكونوا محلا للاسرار ومطلعاً لانواره ليرقيكم بذلك الى معرفة الله عز وجل فمن اشغل قلبه بمحبة شيخه رقاه الله عز وجل ولولا ان الشيخ سلم اترقية المريدين لمقت الله تعالى كل قلب وجد فيه محبة لسواه فان الله تعالى غيور اه كلامه هنا وسيأتي له تتمة ان شاء الله تعالى . وقال سيدي محمد ابن حمزة رضي الله عنه ثلاثة لا يفلحون فى الغالب ابن الشيخ وزوجته وخادمه أما ابنه فانه يفتح عينه على تقبيل المريدين يده وحمله على اعناقهم والتبرك به ويطيعونه في كل ما يطلبه فتكبر نفسه ويرضع من حب الرياسة من صغره فتتوالى عليه الصفات المظامة فلا يؤثر فيه وعظ واعظ ويتجرأ على الاكابر وينفي مشيختهم عليه فان جاء صالحاً فاق والده وانتفع بوالده اكثر من كل احد . واما الزوجة فانها ترى الشيخ بعين الازواج لا بعين الولاية فتعتقد انه محتاج اليها في الشهوة فان نور الله تعالى بصرها ورأته بعين الولاية انتفعت به قبل كل احد لملاصقتها له ليلاً ونهاراً . وأما الخادم فلتكرار رؤية الشيخ واطلاعه على احواله من المأكل والمشرب والمنام ولذلك قالوا لا ينبغي للشيخ ان يأكل مع المريد ولا يجالسه الا عند ضرورة خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه فيحرم بركة الصحبة فان نظر الخادم الى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك وافلح اكثر من غيره (الثالث)

قال سيدي محمد ابو المواهب رضي الله عنه احذروا من قولكم ذهب الاكابر والصادقون من الفقراء فانهم ماذهبوا حقيقة وانما هم ككنز صاحب الجدار ولقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما أحجبه عن اهل العصر الاول فان الله تعالي قد اعطى سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم مالم يعط الانبياء قبله ثم قدمه صلى الله عليه وسلم في المدح عليهم ويالله العجب من كثير من المتفقهة ينكرون ما أجمع عليه الاولياء ويصدقون بما وصل اليهم على لسان فقيه واحد وربما يكون استناده في ذلك القول الى دليل قياسي ضعيف او الى شذوذ من القول ما ذاك والله الا لغلبة الحرمان ثم مع انكاره اذا اصابه هم او مصيبة يأتي قبورهم فيحملهم الحملة دون الفقيه الذي صدق قوله وقدمه عليهم وكان الامر بالعكس فاياك يا اخي ان تحرم احترام اصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت فان من انكر على أهل زمانه حرم بركة اوانه . ودخل على ابي يزيد البسطامي عالم بلده وفقيهها يوماً فقال يا أبا يزيد علمك هذا عن من و من من و من اين فقال ابو يزيد علمي من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم فسكت الفقيه . وسئل ابو علي رضي الله عنه عن الالفاظ التي تحكى عن ابي يزيد فقال رحمه الله تعالى ابو يزيد نسلم له حاله ولعله بها تكلم على حد غلبة أو حال سكر ومن اراد ان يرتقي الى مقام ابو يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد ابو يزيد فهناك يفهم كلام ابو يزيد . وقال ابو عبد الله الحرث رضي الله عنه عملت كتاباً في المعرفة واعجبت فيه فبينما انا ذات يوم انظر فيه مستحسناً له اذ دخل علي شاب عليه ثياب رثة فسلم علي وقال يا أبا عبد الله المعرفة حق للحق على الخلق او حق للخلق على الحق فقلت له حق للخالق على الحق فقال هو اولى ان يكشفها لمستحقيها فقلت بل حق للخلق على الحق فقال هو اعدل من ان يظلمهم ثم سلم علي وخرج

قال الحرث فاخذت الكتاب وحرقته وقلت لاعدت اتكلم في المعرفة بعد ذلك

(الرابع) قال سيدي ابو بكر احمد بن محمد بن سعدان رضي الله عنه خلقت الارواح من النور سكنت الهياكل فاذا قوى الروح جانس العقل وتواترت الانوار وزالت ظلم الهياكل وصارت الهياكل روحانية بانوار الروح والعقل وانقادت ولزمت طريقها ورجعت الارواح الى معدنها من الغيب تطالع مجاري الاقدار وترضى بموارد القضاء والقدر . وكان الشيخ عزاز البطائحي رضي الله عنه يقول الارواح تلطفت بالاشواق فتعلقت عند دعاة الحقيقة باذيال المشاهدة فلم تر غير الحق تعالى معبوداً وايقنت ان المحدث لا يدرك القديم بصفات معلولة فصفات الحق تعالى واصلة اليه فهو الذي اوصله ولم يصل هو بنفسه . وكان رضي الله عنه يقول اذا مازجت المحبة الارواح طارت واذا خالطت العقول ادهشت واذا لابست الافكار حارت

(الخامس) وقع النهي والتحذير من اكابر العارفين عن الدعاوي الكاذبة التي لايشهد لها كتاب ولا سنة . قال سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه إياكم والدعاوي الكاذبة فانها تسود الوجه وتعمي البصيرة وإياكم ومواخاة النساء واطلاق البصر في رؤيتهن والقول بالشاهد والمشي مع الاحداث في الطرقات فان هذا كله نفوس وشهوات ومن احدث في طريق القوم ماليس فيها فليس هو منا ولا فينا قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) اه . واعلم ان اهل الدعاوي الكاذبة والرعونات النفسانية والاهواء الشيطانية والافعال الفاسدة والاحوال الكاسدة التي لا يشهد لها عقل ولا نقل هم الذين عينتهم بجميع ما ذكرته في الزواجر مما يقع بينهم من القبائح والرذائل وكذب الاحوال وسوء الافعال التي تخالف الشريعة السنية والطريقة المحمدية والحقيقة الربانية وأما ما هو فهو في أرباب الاحوال الصحيحة الشريفة

والمقامات العالية المنيفة والافعال المحررة المرضية والنفوس المطمئنة والبصائر النيرة الزكية فلا يقع في وهمك المخالفة بين الكلامين ولا يخطر ببالك اتحاد المشربين لئلا تحرم بركة ما في هذين الكتابين أو تزاد عن الشرب من صافي شراب الكاسين فترجع ظمآنا صفر اليدين خاسر الصفقتين فانه لابد لكل مقام مقال ولكل مجال رجال (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) . وكان سيدي ابراهيم الدسوقي رضى الله عنهُ يقول ايضاً ياولدي عليك بالتخلق باخلاق الاولياء لتنال السعادة وأما اذا أخذت ورقه الاجازة وصار كل من نازعك تقول هذه إجازتي بالمشيخة دون التخلق فان ذلك لاشيء انما هو حظ نفس لكن اقرأ الاجازة واعمل بما فيها من الوصايا وهناك تحصل على الفائدة ويحصل لك الاصطفا وهذه طريق مدارج الاولياء قرناً بعد قرن وجيلا بعد جيل الى آخر الدنيا . وكان رضي الله عنه يقول يا ولدي احذر ان تقول أنا فان الله يعجز المدعين ولو كنت على عمل الثقلين هبطت أو صاحب منزلة سقطت . وكان يقول والله لو وجدنا الى الخلوة سبيلا أو وجدنا الى الانقطاع من أعين الناس من سبيل لفعلنا فان القلب في هذا الزمان متعوب والكبد كل وقت يذوب فاين الملجأ وأين المفر من اهل هذا الزمان زمان كثر فيه القال والقيل ولكن الذي بلانا باهله يدبرنا ويعيننا بحوله وقوته . وكان يقول ما ابتلى الله عز وجل الفقير بامر الا وهو يريد ان يرقيه الى منازل الرجال فان صبر وكظم الغيظ وحلم وعفى وتكرم رقاه الله الى الدرجات والا أوقفه وطرده وكان رضي الله عنه يقول لايعصي احدكم ربه عز وجل ويمر على الهوام الضعيفة الا وتود ان الله تعالى يعطيها قوة لتبطش به غيرة على جناب الحق تعالى ولا يمر على الطيور والوحوش الا ويستعيذون بالله تعالي من رؤيته ولا يرد ماء الا ويود ان لا يشربه ولا يمر فى الهوى الا ويود ان لا يكون مر به . وكان يقول

اذا صدق الفقير فى الاقبال على الله تعالى انقلبت له الاضداد فعاد من كان يبغضه يحبه ومن كان يقاطعه يواصله ومن كان لا يشتهيه يثني عليه ولا يصير يكرهه الا محرم أو منافق . وكان يقول ماقطع مريد ورده يوماً الا قطع الله عنه الامداد ذلك اليوم . واعلم ياولدى ان طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق وجهد وعمل وتنزه وغض بصر وطهارة يد وفرج ولسان فمن خالف شيئاً من افعالها رفضته الطريق طوعاً أو كرهاً . وكان يقول اذا كان المقتدي بالشرائع والكتاب واقفاً بين الامر والنهي كان فتحه حقيقياً حتى يفك به كل مشكل ويحل به كل طلسم ويعرف به كل مبهم وأما اذا كان فتحه حفظ كلام وترتيب وصف مقامات فذلك ليس بفتح انما هو حجاب له عن ادراك الادراك وعن مشاهدة علوم الحق وليس من وصف كمن عرف وعمل ونطق بلسان العرفان وكم من حملته العناية حتى شاهد ومع ذلك فلو سئل عن وصف المقامات ماوصفها ومقصودي لجميع أولادي ان يكونوا ذا يقين لا واصفين وان يأخذوا العلوم من معادنها الربانية لا من السطور والطروس فان القوم انما تكلموا لما ذاقوا وقلوبهم كانت ملآنة بعطاء الله تعالى ومواهبه ففاضت منها قطرات ماء الحياة التي فيها فانفجرت علومهم عن عين عين عن حاصل ماء الحياة وأما الوصاف فانما هو حاك عن حال غيره وعند التخلق والفائدة لايجد نقطة ولا ذرة من ذوق القوم وتنادي عليه هذا الذي قنع بالقشور في دار الغرور ولقد ادركنا رجالا واحدهم يستحي ان يذكر مقاماً لم يصل اليه ولو نشر بالمناشير ما وصفه . فيا جميع اولادي اذا سألكم احد عن التصوف مثلاً أو عن المعرفة والمحبة فلا تجيبوهُ قط بلسان قالكم حتى يبرز لكم من صدق معاملتكم مايبرز للقوم فيكون كلامكم عن حاصل وعن محصول فاذا أقام احدكم بالاوامر الدينية وصدق فى العمل ترجم لسانه بالفوائد التي أثمرت من صدقه وكل من ادعى

الصدق والاخلاص ولم يحصل عنده ثمرة الأدب والتواضع فهو كاذب وعمله رياء وسمعه لا يثمر له الا الكبر والعجب والنفاق وسوء الاخلاق شاء ام ابى

(السادس) قال سيدي ابراهيم المذكور رضي الله عنه الغيبة فاكهة القراء وضيافة الفساق وبستان الملوك ومراتع النسوان ومزابل الاتقياء . وكان رضي الله عنه يقول لا يكون الفقير فقيراً حتى يكون حمالا للاذى من جميع الخلائق اكراماً لمن هم عبيده سبحانه وتعالى فلا يؤذي من يؤذيه ولا يتحدث فيما لا يعنيه ولا يشمت بمصيبة ولا يذكر احداً بغيبة ورعا عن المحرمات ، موقوفاً عن الشبهات اذا بلي صبر واذا قدر غفر غضيض الطرف يعمر الارض بجسده والسماء بقلبه طريقه الكظم والبذل والايثار والعفو والصفح والاحتمال لكل من تحدث فيه بما لا يرضيه . وكان يقول واغوثاه من اهل هذا الزمان والله لو كان فى العمر مهلة لسكنت في اكم الجبال وبطون اودية الوحوش فان الرجل الآن بين هؤلاء الناس في اشد جهاد قلوب شاردة واحوال مائلة وشهوات غالبة قد عدموا الصدق فى الاحوال وكيف يقدر الضعيف على صون الروح من عشرتهم والود لهم وغض بصره عن رؤية عوراتهم ليلاً ونهاراً او يصبر معهم على كل فتنة وشهوة وأذى من غير ان يقابلهم بمثله هذا لا يطيقه الا الصالحون . وكان رضي الله عنه يقول كم من واقف فى الماء وهو عطشان لهفان اعني اذا لم يحصل له الصدق في طلب مولاه بل عبد ربه على علة فاعملوا بالاخلاص لترووا من ظمأ العطش فان طريق الله تعالى لا تنال الا بقتل الانفس وذبحها بسيف المجاهدة والمخالفة . وكان يقول ليس الزهد خروج العبد عن الشيء انما الزهد ان يكون داخلاً في امارته وصنعته وقلبه خارج حائل ذاكر فاكر حائر مجاهد مرابط محمول الذكر مشتغلا بذكر الله عز وجل . يا أولادي الدنيا كحلقة بين اعين اهل التمكين قوم يمشون الى الاقطاب

وقوم تأتي اليهم الاقطاب لا احب من اولادى الا من أراه يترقى في كل ساعة من مقام الى مقام فهناك تقر عيني وهناك يصير ينتفع به . وكان رضي الله عنه يقول لا تفيد الخلوة الا ان كانت باشارة شيخ والا ففسادها اكثر من صلاحها . وكان رضي الله عنه يقول خاص الخاص من اهل الخصوصية جعلوا زواياهم قلوبهم ولبسهم تقواهم وخوفهم من ربهم ومولاهم قد رفضوا الكرامات ولم يرضوا بها وخرجوا عنها لعلمهم انها من ثمرة اعمالهم فلم يطيروا فى الهواء ولم يمشوا على ماء ولم تسخر لهم الهوام ولم تبصص لهم تبصص الاسود ولم يضربوا ارجلهم بالارض فتنفجر ماء ولا مسوا اجزم ولا ابرص فبرء ولا غير ذلك فخرجوا من الدنيا واجورهم موفورة رضي الله عنهم اجمعين .وكان رضي الله عنه يقول يا أولادي كأنكم بالساهرة وقد مدت وبالجبال وقد دكت وبالحجاره وقد صاخت وبالحصى وهو يقطر دماً فبادروا واعملوا ولا تسوفوا تندموا هذه وصيتي لكم وهديتي اليكم . وكان يقول انما قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين لان المقرب يراعي الخطرات واللحظات ويعد ذلك من الهفوات ويفتش على هواجس النفوس ويراقب خروج انفاسه ويخاف من حسناته كما يخاف المذنب من سيئاته والابرار لا يقدرون على هذا الحال وايضاً فالمقرب لا يقول عن شرابه اوّاه ولا ما احلاه ولا يصفق بكف ولا يصرخ ولا يشق ولا يضرب برأسه الحجر ولا يهيم ولا يمشي على الماء ولا يقفز فى الهواء فلما لم يقع منه شيء من ذلك أثبته اهل الطريق ونفوا من فعل ذلك لقلة ثبوته على الواردات مع انهم يسلموا له حاله لغلبته عليه وجعلوا حسناته سيئات مع ان المقربين ليس لهم سيئات انما هي محاسبات عاليات نفسيات . وكان رضي الله عنه يقول ياولد قلبي كن على حذر من الدخلاء والدخيل السوء وان عاينت من أخيك عنفاً أو حسداً فعاشره بالمعروف واحفظ نفسك

عنه وأما صديقك فان صدقك فاحفظه وما للمرء ياولدي الا ان يكون على حذر
من جميع الشر فانا في آخر زمان وقد قل النصح حتى لا تكاد تنظر ناصحاً وعاد من
تواليه سروراً يواليك نكداً وشروراً ومن ترفعه يسعى ان يضعك ومن لم تحسن
يسيء اليك بل ثم من تحسن اليه يسيء اليك ومن تشتاق عليه يود لو على الرماح
رماك وعلى الشوك داسك ومن تنعمه يضرك ومن توليه معروفاً يوليك جفاً
ومن تواصله يقطعك ومن تستطعمه يحرمك ومن تقدمه ان استطاع اخرك ومن
تربيه يقول انا الذي ربيتك ومن تخلص له يغشك ومن تهش له يكش فياعجباً
للدنيا ولاهلها واذا كان النفاق داخلاً في زمن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف
يخلو في القرن السابع فاستعمل يا ولدى الوحدة عن اهل السوء والكسب من
اهل الخير وان استطعت ان لا تصحب من تتعب في صحبته فافعل فانك ان صحبته
ندمت على صحبته وقد نصحتك يا ولدى واما اهل التمكين في هذا الزمان فقد
تركوا اخلاق الاراذل من الناس وغفروا لهم افعالهم وغضوا ابصارهم عن نقائصهم
وصموا آذانهم عن سماع اقوالهم وتركوا الكل لله وطلبوا من الله تعالى لاهل
هذا الزمان عفواً شاملاً وقابلوا سيئاتهم بالحسنات ومضراتهم بالمسرات والمبرات
وكان رضي الله عنه يقول المريد مع شيخه على صورة الميت لا حركة له ولا كلام
ولا يقدر ان يتحدث بين يديه الا باذنه ولا يعمل شيئاً الا باذنه من زواج اوسفر
اوخروج او دخول او عزلة او مخالطة او اشتغال بعلم اوقرآن او ذكر او خدمة في
الزاوية او غير ذلك هكذا كانت طريق السلف والخلف مع اشياخهم فان الشيخ
هو والد السر ويجب على الولد عدم العقوق لوالده ولا نعرف للعقوق ضابطاً
نضبطه به انما الامر عام في سائر الاحوال وما جعلوه الا كالميت بين يدى الغاسل
فعليك ياولدي بطاعة والدك وقدمه على والد الجسم فان والد السر انفع من والد

الظهر لانه يأخذ الولد قطعة حديد جامد فيسبكه ويذيبه ويقطره ويلقي عليه من
سر الصنعة سراً فيجعله ذهباً ابريزاً فاسمع ياولدي تنتفع وكثير من الفقراء صحبوا
اشياخهم حتى ماتوا لم ينتفعوا لعدم الادب وبعضهم مقتوا آه من حدود الرجال
ومن صحبة الاضداد ومن سماع المريد المحال اهـ (السابع) قد وقع هنا لسيدي
ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه كلام لا يناسب الا رفيع حاله وعلو مقامه او حال
من كان من امثاله حيث قال كما في لواقح الانوار أنا موسى عليه السلام في مناجاته
أنا علي رضي الله عنه في حملاته انا كل وليّ في الارض خلعته بيدي البس منهم
من شئت . انا في السماء شاهدت ربي وعلى الكرسي خاطبته . انا بيدي ابواب
النار غلقتها وبيدي جنة الفردس فتحتها من زارني اسكنته جنة الفروس . واعلم
ياولدي ان اولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون متصلون بالله وما
كان وليّ متصل بالله تعالى الا وهو يناجي ربه كما كان موسى عليه السلام يناجي
ربه . ومامن وليّ الا ويحمل على الكفار كما كان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
يحمل وقد كنت انا واولياء الله تعالى اشياخا في الازل بين يدي قديم الازل وبين
يدي رسول صلى الله عليه وسلم وان الله عز وجل خلقني من نور رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامرني ان اخلع على جميع الاولياء بيدي فخلعت عليهم بيدي
وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابراهيم انت نقيب عليهم فكنت انا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم واخي عبد القادر خلفي وابن الرفاعي خلف عبدالقادر
ثم التفت اليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابراهيم سر الى مالك وقل له
يغلق النيران وسر الى رضوان وقل له يفتح الجنان ففعل مالك ما امر به ورضوان
ما امر به واطال في معاني هذا الكلام ثم قال رضي الله عنه ومايعلم ماقلته الا من
انخلع من كثافة حجبه وصار مروحناً كالملائكة اهـ . قال الشيخ رضي الله عنه

قلت وهذا الكلام من مقام الاستطالة تعطي الرتبة صاحبها ان ينطق بما ينطق وقد سبقه الى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وغيره فلا ينبغي مخالفته الا بنص صريح والسلام . ومن نظمه رضي الله عنه

سقاني محبوبي بكاس المحبة * فتهت عن العشاق سكراً بخلوتي

ولاح لنا نور الجلالة لو اضاء * لصم الجبال الراسيات لدكت

وكنت انا الساقي لمن كان حاضراً * اطوف عليهم كرة بعد كرة

ونادمني سراً بسر وحكمة * وان رسول الله شيخي وقدوتي

وعاهدني عهداً حفظت لعهده * وعشت وثيقاً صادقاً بمحبتي

وحكمني في سائر الارض كلها * وفي الجن والاشباح والمردية

وفي ارض صين الصين والشرق كلها * لاقصى بلاد الله صحت ولايتي

انا الحرف لا اقرأ لكل مناظر * وكل الورى من امر ربي رعيتي

وكم عالم قد جاءنا وهو منكر * فصار بفضل الله من اهل خرقتي

وما قلت هذا القول فخراً وانما * اتى الاذن كي لا يجهلون طريقتي

وله ايضاً

تجلى لي المحبوب في كل وجهة * فشاهدته في كل معنى وصورتي

وخاطبني مني بكشف سرائري * فقال اتدري من انا قلت منيتي

فأنت مناي بل أنا انت دائماً * اذا كنت انت اليوم عين حقيقتي

فقال كذاك الامر لكنهُ اذا * تعينت الاشياء كنت كنسختي

فاوصلت ذاتي باتحادي بذاته * بغير حلول بل بتحقيق نسبتي

فصرت فناء في بقاء مؤبداً * لذات بديمومية سرمدية

وغيبني عني فأصبحت سائلا * لذاتي عن ذاتي لشغلي بغيبتي

وانظر في مرآة ذاتي مشاهداً * لذاتي بذاتي وهي غاية بغيتي

فاغدوا اوامرى بين امرين واقف * علومي تحوني ووهمي مثبتي

خبأت لهُ في جنة القلب منزلاً * ترفع عن دعد وهند وعلوتي

انا ذلك القطب المبارك امره * فان مدار الكل من حول ذروتي

انا شمس اشراق العقول ولم افل * ولا غبت الا عن قلوب عمية

يروني في المرآة وهي صدية * وليس يروني بالمرآة الصقيلة

وبي قامت الانباء في كل امة * بمختلف الاراء والكل امتي

ولا جامعُ الا ولي فيه منبر * وفي حضرة المختار فزت ببغيتي

وما شاهدت عيني سوى عين ذاتها * وان سواها لا يلم بفكرتي

بذاتي تقومُ الذات في كل ذروة * اجدد فيها حلة بعد حلة

فليلي وهندٌ والرباب وزينب * وعلوى وسلمى بعدها وبثينة

عبارات اسماء بغير حقيقة * وما لوحوا بالقصد الا لصورتي

نعم نشأتي في الحب من قبل آدم * وسري في الاكوان من قبل نشأتي

انا كنت في العلياء مع نور احمد * على الدرة البيضاء في خلوتي

انا كنت في رؤيا الذبيح فداؤه * بلطف عنايات وعين حقيقة

انا كنت مع ادريس لما اتى العلا * واسكن في الفردوس انعم بقعة

انا كنت مع عيسى على المهد ناطقاً * واعطيت داود حلاوة نغمة

انا كنت مع نوح بما شهد الورى * بحاراً وطوفاناً على كف قدرتي

انا القطب شيخ الوقت في كل حالة * انا العبد ابراهيم شيخ الطريقة

وقال الشيخ رضي الله عنه قلت وجميع ما فيه استطالة من هذه الابيات انما هو بلسان الارواح ولا يعرفه الا من شهد صور الارواح من اين جاءت والى اين

تذهب وكونها كالعضو الواحد من المؤمن اذا اشتبك فيه الماء تداعى له سائر الجسد وذلك خاص بالكامل المحمدي لا يعرفه غيره . وقد كان سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه يقول اعرف تلامذتي من يوم الست بربكم واعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني ومن كان عن شمالي ولم ازل اربي من ذلك اليوم تلامذتي وهم في الاصلاب لم يحجبوا عني الى وقتي هذا نقله بن العربي رضي الله عنه فى الفتوحات . وكان رضي الله عنه يقول اشهدني الله تعالى ما في العلا وانا ابن ست سنين ونظرت فى اللوح المحفوظ وانا ابن ثمان سنين وفكيت الطلسم السمائي وانا ابن تسع سنين ورأيت فى السبع المثاني حرفاً معجما حار فيه الجن والانس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته وحركت ماسكن وسكنت ماتحرك باذن الله تعالى وانا ابن اربع عشرة سنة والحمد لله رب العالمين اه من لواقح الانوار وسيأتي لذلك تتمة ان شاء الله تعالى (الثامن) قال سيدي الشيخ داود الكبير بن باخلا رضي الله عنه المؤمن الذي يجاهد نفسه يختم الله له بالاسلام اكثر من مائة الف مرة لتكرار موته في ذات الله تعالى بسيوف المجاهدة . وكان رضي الله عنه يقول سيرك قدماً واحداً على اثر قدم عارف احسن من مائة الف فرسخ تسيرها بهواك وكان يقول خدمة استاذك مقدمة على خدمة ابيك لان اباك كدرك واستاذك صفاك واباك سفلك واستاذك علاك واباك مزجك بالماء والطين واستاذك رقاك الى اعلى عليين . وكان يقول من دخل الدنيا ولم يصادف رجلا كاملا يربيه خرج منها وهو متلوث ولو كان على عبادة الثقلين . وقال سيدي علي وفا رضي الله عنهُ ليس ابوك حقيقة الا من تولدت صورة نفسك عن كشفه وبيانه حتى صارت عقلا بالفعل واما ابو جسمك فهو ابوك مجازاً لانك ما انت هذا الجسم بل روحه فمتى اغفلك ابو جسمك عن ابي روحك وجب عليك البراءة من ابي

جسمك ولا يحل لك ان تدعي غير ابيك الحقيقي فان ذلك كفر بفاعله فافهم . وكان رضي الله عنه يقول ما دام المريد تحت حكم استاذه فترقيته دائمة فان خرج عن حكمه اتكالا على ماحصل منه قولا وفعلا فهو كالحجر المرفوع الى السماء مادامت تلك القوة الرافعة مصاحبة له فهو متعال ومتى فتر انحط الى الارض فكن تحت حكم استاذك تغنم . وكان يقول مرشدك الذي يهديك الله به لما هو الاولى بك عند ربك هو خضرة ربك به تقول وبه تفعل ومهادنتك نفسك اليه فلا تعجل به قبل معرفة رضاه به ومهما دعاك اليه فبادر اليه ولا تتوانا فيه حتى ترضى به نفسك فان فوزك بامتثال امره لا في شهوتك فافهم . وكان يقول من ليس له استاذ ليس له مولى ومن ليس له مولى فالشيطان به اولى . وكان يقول من تجمل بصحبة المعرضين عن ربه فقد نادى على نفسه بانه ممن اهانه الله (ومن يهن الله فما له من مكرم) . وكان يقول الرجال للمنن القدسية والنساء للزين الحسية فايما امرأة تعلقت همتها بالمنن صارت رجلا وايما رجل تعلقت همته بالزين صار امرأة وكان يقول من صدق العلماء والعارفين فهو الرجل وان كان انثى ومن كذبهم فهو من النساء وان كان ذكراً وذلك لان العارفين بالله تعالى كلمة تامة صادقة والعلماء لله كتب جامعة فافهم . وكان سيدي ابو المواهب رضي الله عنه يقول قال علماؤنا لا تصلح العزلة الا لمن تفقه في دينه . وقد كان السلف يشتغلون اولا بالعلم الى سن الاربعين ثم يعتزلون للاستعانة بالعزلة على العمل بما عملوا فافهم . وكان رضي الله عنه يقول دليلنا في القول بالخلوة ماصح انه صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حرا حتى جاءه الوحي فدل على ان الخلوة حكم مرتب عليه الوحي وزريعة لمجيئ الحق وظهور نور الله . وكان يقول من شرط الخلوة الطي وله تأثير كبير واختار القوم الاربعين لان الاربعين يكون فيها نتاج النطفة علقة ثم مضغة ثم

صورة وهي مدة الدر في صدفه وعدد ايام توبة داود عليه السلام . وكان رضي الله عنه يقول مارقي احد الى مركز عال الا قلت اشكاله المعنوية وجلت نفائس دقائقه على غالب الافهام وهذا ٠وجب قلة الاتباع والاصحاب لكمل العارفين . وكان يقول الادب ان يقول العبد فلان من اصحابي الا ان كان دونه بدرجات فان كان مساويه او فوقه فليقل انا خادمه او مريده هكذا درج السلف . وكان يقول ينبغي لمن خدم كبيراً كاملاً ثم فقد ان لا يخدم من دونه الا اذا كان اكمل منه والا جعل صحبته مع الله تعالى . وكان يقول ماثقل على الاشياخ خدمة احد من الفقراء لهم الا لعلة في قلب الخادم كتمها عنهم وهذه علة لايسلم منها الا من اتى الله بقلب سليم ولو ان الخادم كان اظهر لهم تلك العلة لربما وصفوا له دواؤها او شفعوا له فمحاها الله تعالى عنه من اللوح او سألوا النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة فيه فيشفع الا اذا كان قضاء مبرماً لا مرد له . وقد رأى السيد عبد القادر الجيلي لمريده انه لابد له ان يزني بامرأة تسعين مرة فقال يا رب اجعلها في النوم فكان كذلك . وكان رضى الله عنه يقول مما اخترته من آداب المصاحبة والمجالسة انك اذا جالست اهل الدنيا فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تعظيم الآخرة واذا جالست اهل الآخرة فحاضرهم بوعظ الكتاب وآداب السنة وتعظيم دار البقاء واذا جالست الملوك فحاضرهم بسيرة اهل العدل وسياسة العقلاء مع حفظ الادب معهم والعفاف عما بأيديهم واذا جالست العلماء فحاضرهم بالروايات الصحيحة والاقوال المشهورة فى المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الانصات لهم في القول والفهم المبتكر اذا وافق الصواب مع عدم الجدال والمراء المظهر لحب العلو عليهم واذا جالست الصوفية فحاضرهم بما يشهد لاحوالهم الحقانية ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع آداب الباطن قبل الظاهر واذا جالست العارفين فحاضرهم بما شئت

فان لكل شيء عندهم وجهاً من المعرفة لكن بشرط طيب الكلام وحفظ الحرمة والادب فان حضرتهم صباغة فالمعنى الذي تدخل عليهم به يخرج منهم ما يكسوك مشهدك فيهم ويلبسك ما توجت به اليهم ان خيراً فخير وان شراً فشر . وكان يقول عليكم بتكثير سواد القوم فان من كثر سواد قوم فهو منهم . وكان يقول سمعت ابا عثمان المغربي رضى الله عنه يقول اذا زار انسان قبر الولي فان ذلك الولي يعرفه واذا سلم عليه رد عليه السلام واذا ذكر الله على قبره ذكر معه لا سيما ان ذكر لا إله الا الله فانه يقوم ويجلس متربعاً ويذكر معه الى ان قال ومن العباد من تولى الله تربيته بنفسه بغير واسطة ومنهم من تولاه بواسطة بعض اوليائه ولو ميتاً في قبره فيربي مريده وهو في قبره ويسمع مريده صوته من القبر ولله عباد يتولى تربيتهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه من غير واسطة بكثرة صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم . وكان رضي الله عنه يقول سمعت شيخنا ابا عثمان رضي الله عنه يقول بالدرس على رؤس الاشهاد لعن الله من انكر على هذا الطريق ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل لعنة الله عليه . وكان يقول من اعترض على هذا الطريق لا يفلح ابداً . وكان رضي الله عنه يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على سطح الجامع الازهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة فوضع يده على قلبي وقال يا ولدي الغيبة حرام ألم تسمع قول الله عزوجل (ولا يغتب بعضكم بعضاً) وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس ثم قال لي صلى الله عليه وسلم فان كان ولابد من سماعك غيبة الناس فاقرأ سورة الاخلاص والمعوذتين واهد ثوبهما للمغتاب فان الغيبة والثواب يتوارثان ويتوافقان ان شاء الله تعالى . وكان رضي الله عنه يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي قل عند النوم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمساً وبسم الله الرحمن الرحيم خمساً ثم قل اللهم بحق محمد ارني وجه محمد حالا ومآلا

فاذا قلتها عند النوم فاني آتي اليك ولا اتخلف عنك اصلا ثم قال وما أحسنها من
رقية ومن معنى لمن آمن به . قال الشيخ رضي الله عنه هذا منقول من لفظه
رضي الله عنه اهـ (فائدة حسنة) نقل الشيخ في لواقح الانوار عن سيدي
ابي بكر محمد ابن علي بن جعفر الكتاني رضي الله عنه انه قال النقبا ثلاثمائة والنجبا
سبعون والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن
النقبا المغرب والنجبا مصر والابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد
في زوايا الارض والغوث مسكنه بمكة فاذا عرض حاجة من امر العامة ابتهل
فيها النقبا ثم النجبا ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد ثم الغوث فلا يتم الغوث مسئلة
حتى تجاب دعوته اللهم استجب دعانا واشف مرضانا وارحم موتانا ولا تخيب فيك
رجانا واختم لنا ولاخواننا والمسلمين بخاتمة السعادة يا ارحم الراحمين بحرمة سيدنا
محمد سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث

في الكلام على لسان الحال وفي من تكلم به من الرجال وفي الرد من الصديقين
والابطال على من انكره من المتمردين الحسدة الفجرة الجاهلين الذين كذبوا بما
لم يحيطوا به علما وخاضوا فيما لا يعنيهم طغياناً وظلما وخلطوا الحق بالباطل وباؤا
بحرمانه يقيناً لا شكا ولا وهما (وعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتسائلون) حتى
جاء الصدق ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . ولعمري ان مايذكر في هذا الفصل هو
محط القصد ومركز النظر من هذا الكتاب اذ به يتضح الحق اليقين ويظهر الصواب
ويقوم به حجج أولي النهى والرسوخ المتمكنين وتدحض به حجج ذوي الدهى
والمكر وتستبين سبيل المجرمين وتنادي قواطع دلائل يقينه وسواطع براهينه
مفهوماً ومنطوقاً الا يامحب الله فافرح وعن باب المحبوب لاتبرح فقد جاء الحق

وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً وصاح عليهم الحال لسان في الحال معلناً بالافصاح
وماذا عليهم لو آمنوا واتقوا واذعنوا واهتدوا وسلموا من هذا الافتضاح ان هذا
لعجب عجاب وامر مستغرب غاية الاستغراب لكن الله تعالى يهدي من يشاء
فيوفقه بفضله ويضل من يشاء فيخذله بعدله ويحكم سبحانه وتعالى ولا معقب
لحكمه ولا يخرج مثقال ذرة عن علمه فالامر منه واليه جل وعلا . ثم ان هؤلاء
الاقوام الضالين الحسدة الفجرة المردة الجهلة المحرومين المنكرين على المتكلمين
بلسان الحال الذين هبت عليهم نسمات القرب والوصال واختطفتهم ايدي الجذب
لحضرة الكبير المتعال قالوا ان هذا شيء ليس مستند في الكتاب والسنة ولا في كلام
الائمة بل هو محرم وضلال او جنون او مجون او اختلاق او خبال وهذا منهم ضلال
مبين وقبح متين سولت لهم انفسهم تلك القبائح وما دروا لجهلهم انها فضائح وهو
لا يرد عليهم بما يزيل شبههم ويدحض حججهم فيقال لهم هذا اللسان الذي انكرتموه
وحكمتم فيه بالحرمة ونحوها هو لسان اعجمي يشمل السرياني واليوناني والعبراني
والفارسي والحبشي والزنجي والبربري والرومي والتركي وغير ذلك من انواع
الالسنة المختلفة فبينوا لنا من اي الانواع هو حتى يصح حكمكم عليه بما ذكرتم
فان الحكم على الشيء فرع عن تصوره ومن المعلوم ان تصور المجهول محال فان لم
يردوا الجواب وحادوا عن الصواب فقد اراحنا الله منهم بجهلهم وطردوا عن
المجالس واقيموا من المجامع لمحنتهم وارتكابهم الباطل وخوضهم فيما لا يعنيهم بالجهل
والرذائل وجدالهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وان اجابوا فرضاً عن
هذا اللسان وبينوا حقيقة لفظه عند اهل العرفان ونسبوه الى نوعه المعين من انواع
اللسان بان قالوا هو سرياني مثلا . وكان ذا القول نصاً صريحاً لا يقتضي احتمالا ولا
تأويلا ولا توضيحاً . قيل لهم كما بينتم اللفظ عينوا لنا المعنى المراد من ذلك اللفظ

لنفهمه ونعلم حكم الله فيه شرعا من إباحة أو غيرها حتى يصح حكمكم عليه بما ذكرتم من الحرمة وغيرها فان الحكم على ما يجهل محال فان لم يبينوا ولم يعينوا قيل لهم مالكم قد غابت علومكم وضلت فهومكم ووقف حماركم فى العقبة ووقعتم في اوحال تأخذ للرقبة وحملتم على ظهوركم مالا تطيقون من الاوزار وصرتم لامثل لكم الا مثل حمر الاسفار فقوموا من هذا النادي بل وارتحلوا عن ذلك الوادي فانه لم يحملكم على ما ادعيتم الا مردة الشياطين الذين زعموا العلوم من غير برهان ولا يقين وانما مثلهم كما قال ابن الخباز

زوامل للاسفار لا علم عندهم * بجيزها الا كعلم الاباعر

لعمرك مايدري البعير اذا غدا * باحماله او راح ما في الغرائر

وان اجابوا عن ذلك على سبيل الفرض والتقدير وحاشاهم ان يجيبوا بل يعمهم العجز على كل تقدير من التقادير فيقال لهم هل هذا اللسان الذي يتكلمون به واقع منهم بمحض الاختيار او هم مغلوبون عليه من حضرة الواحد القهار فان قالوا بالثاني وهو انهم مغلوب عليهم بأمر رباني بأن كان ذلك بحال من الله غالب لادافع له ولا مغالب . قلنا حيث كانوا كذلك فلا كلام لاحد معهم لزوال تكليفهم حال اصطلامهم بسلطان جبروته وسطوته ودهشت عقولهم في انوار جلاله وعظمته وغيبتهم عن حسهم بشربهم من كاس صافي شراب الله ومحبته فصارت كلماتهم وحركاتهم كحركات المرتعش لا قدرة لهم على امساك نفوسهم ولا على ارسالها ولا على ضبط عقولهم او فكها من عقالها وزال عنهم الطوع والاختيار لسكرهم بما يشاهدون من انوار عظمة الجبار فحينئذ لا يخاطبون بالاحكام ولا يقال لهم في تلك الحالة هذا حلال وهذا حرام ولذا قال بعضهم

ولا تلم السكران في حال سكره * فقد ارتفع التكليف في سكرنا عنا

واخر الشبلي رضي الله عنه مرة العصر حتى دنت الشمس الى الغروب فقام وصلى وانشد مداعياً وهو يضحك ويقول ما أحسن ما قال بعضهم

نسيت اليوم من عشقي صلاتي * فلا ادري عشائي من غداتى

فمالك ولقوم هم في غالب احوالهم داهشون سكارى باهتون حيارى مطلقون اسارى قد وردوا عين القرب وشربوا كاس الحب فسكروا بما شربوا وطربوا حين قربوا كلما زادت حيرتهم نادوا بلسان تحيرهم يادليل المتحيرين زدنا فيك تحيراً وتلذذاً بتلك الحيرة كما قال بعضهم

زدني بفرط الحب فيك تحيراً * وارحم حشا بلظا هواك تسعرا

كيف وهم قوم دخلوا في بحر لا يدرك له قرار ولا يعرف لتياره استقرار وانخلعت منهم الارواح عن مراكز الاشباح فتكلموا بما شاهدوا فى المقام الانسي ونطقوا بما عاينوا باللسان القدسي حتى قال قائلهم كما فى الروض الانيق

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * في حبه لما خلعت عذاري

او كنت تعلم ما الم بمهجتي * قصرت عن لومي وعن انكاري

فى القلب نيران تشب وقودها * ولهيبها من ماء عيني جاري

واذا الحداة ترنمت بحديث من * اهوى خلعت عليه ثوب وقارى

فانهض وقل طاب السماع ولا تدع * وقتاً يفوت ببادر الاعذاري

واشرب فقد راق الشراب فلا تكن * محروم حضرة حانة الخماري

او ما ترى انوارها قد اشرقت * وبها اهتدى الركب المجد الساري

مولى رضيت بفضحتي في حبه * وعلى هواه تهتكت استاري

واذا حضرت بحضرة من قربه * ابصرت مايخفى عن الحضاري

وطربت من وجدي بطيب حديثه * وغدوت فيه ممزقاً اطماري

ورضيت عاري في هواه تخلني ✻ كم بين كاس في هواه وعاري

وقال ايضاً خذ حديثي فقيه معنى ✻ يفهمه من كان معنا

غمز ورمز وفيه كنز ✻ من حمله نال ما تمنى

حروفه العجم ليس تقرى ✻ لمن اراد السلو عنا

ومن سقاه الحبيب صرفاً ✻ ابصر ما نحن عنه غبنا

ومن تجلى له جهاراً ✻ شاهد ما لم نكن شهدنا

يا معشر العاشقين طيبوا ✻ فمطرب الحب قد تغنا

وخمرة في الكؤس تجلى ✻ طوبى لعبد بها تهنى

فما لساق المدام ذنبٌ ✻ وقد اديرت عليه مثنى

صرح بذكر الحبيب جهراً ✻ ومن سماع المدام دعنا

هذا الحبيب الذي تجلى ✻ كقاب قوسين وهو ادنى

قد رفع الحجب ثم نادى ✻ لا تحسبوا اننا حجبنا

نحن اليكم اذا بعدتم ✻ اقرب منكم فما بعدنا

عودوا الى وصلنا وكونوا ✻ لنا كما كنتم وكنا

وما مضى لا يعود يوماً ✻ فقد انقضى الهجر واصطلحنا

وقال ايضاً

فيك معانٍ تحار فيها ✻ افكار الباب ذوي المعاني

حروفها العجم ليس تقرى ✻ الا لمعرب القلب والبيان

جلالة للقلوب تجلى ✻ وليس تخفى عن العيان

فهي مثالٌ لكل شيءٍ ✻ من كل قاصٍ وكل دانِ

نفسك لاهوت لكل باقٍ ✻ وانت ناسوتٌ لكل فاني

كم جمعت فيك من معاني ✻ يا نسخة الكون والزماني

فانت امّ الكتاب فيها ✻ جميع ما كان في المكاني

ففي سماء القلوب تبدوا ✻ انوار اقمارها الحساني

شمس علم وبدر فهم ✻ في فلك العقل يجريانِ

وانجمُ الفكر ثاقبات ✻ تخترق الحجب والمباني

الى ان قال تجرّب النفس وامتحنها ✻ فانت ادرى بما تعاني

وادخل الى بيت حان ذكري ✻ واطرب اذا غنت المغاني

فمن رآني رأى حبيبي ✻ يا طيب وقت الذي رآني

شربت صرفاً بكاس حبي ✻ فغبت عني وعن عياني

ودام سكري بغير حد ✻ وكان شربي بلا دناني

إياك يثنيك عنه ثانٍ ✻ يا قلب ما في الوجود ثاني

يا ليت علمي باي كأس ✻ خمار خمر الهوى سقاني

واي سهمٍ به رماني ✻ واي داعٍ به دعاني

فاشرب كؤس الغرام جهراً ✻ وخل في الناس من لحاني

ولا تكن في هواك صنواً ✻ الى فلانٍ ولا فلانِ

وقال ايضاً رضي الله عنه وهو كالصريح فيما نحن بصدده

ان كنت عارفاً بشرح حالي ✻ هات حدث عن سكرتي ومدامي

يا فقيهاً ان كنت تفقه قولي ✻ هات قلي ما سر من كلامي

أنا قد قرأت في المحبة حرفاً ✻ معرباً معجماً على الأفهام

هو حرف ما سطرته دروس ✻ في طروس تخط بالاقلام

هو معنى وليس كل معنى ✻ يناله بصلاةٍ ولا بصيام

هو سر وانت عنه حجاباً * هو نورٌ مسترٌ بظلام
فانتزع منك وانخلع عنك تشهد * ثم معنى اعني جميع الانام
وتجرد عن الوجود وجاهد * كي تشاهد سرائر الاحكام
قل لمن اغرى بتنكير حالي * يلحاني من مشيتي ومقامي
ثم فردد في الحان الحان ذكري * فسماع الالحان غير حرام
واسقني من مدامة الحب صرفا * تمحي عني كبائر الآثام
واصطبح واعتبق وتهتك * وتمزق تيهاً عن اللوام
واذا قيل من اباحك هذا * قل بفتوا الفقيه عبد السلام

فافهموا ايها المنكرون ماذكرته لكم تصريحا وتلويحا ورمزاً واشارة من جواهر الاقوال والا كنتم من الرعاع واغمار الناس الذين على قلوبهم لاقفال والزموا مع ساداتكم الادب والا يحل بكم ماحل بامثالكم من العطب هذا كله اذا قالوا بالثاني واما اذا قالوا بالاول وهو ان اهل هـذا اللسان الاعجمي يتكلمون به اختياراً وليسوا مغلوبين عليه قلنا لهم حينئذ لزمتكم الحجة واخطأتم بجهلكم المحجة وبانت فتنكم الباغية وشرذمتكم الطاغية فان التكلم بغير العربي جائز قطعا وواقع طبقا للوجود في الكتاب والسنة . اما الكتاب المعظم ففيه كلمات من غير العربي كالقسطاس والمشكاة ومتكئا واستبرق ونحو ذلك وفيه جملة من اسماء الانبياء والرسل والملائكة وهي غير عربية فقد نصوا على ان اسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلها اعجمية وكذا الملائكة الاربعة من كل جمعها بعضهم في قوله

هودٌ شعيبٌ صالحٌ ومحمد * اوضاعها في العجم ليست توجد
رضوان مالك نكير منكر * امثالها في حكم ما قد ذكروا

والمراد بالعجمة كل ما كان خارجاً عن لسان العرب كالسرياني ونحوه مما سبق

ومن المعلوم ضرورة ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقرأ القرآن ويعلمه اصحابه وصارت قراءته سنة متبعة يتعبد بها الى وقتنا هذا . وقد كانت بقية الكتب السماوية المنزلة على بقية الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلاة بغير العربي كالعبراني والسرياني فقد كان الانجيل بالعبراني وقيل التوراة والانجيل كانا سريانياً كما في شراح حديث بدء الوحي وكانوا يقرؤنها على اممهم ويعلمونهم اياها ولا يشكل على ماسبق من ان القرآن وقعت فيه الفاظ غير عربية كما هو المروي عن ابن عباس وجماعة مافي آيات كثيرة من القرآن من انه عربي كقوله تعالى (انا انزلناه قرآناعربيا . انا جعلناه قرآنا عربيا غير ذي عوج) الى غير ذلك من الايات لان المراد والله اعلم انه عربي النظم والتأليف والاسلوب وهذا لاينافي انه قد وقع فيه كلمات غير عربية أو ان هذه الالفاظ وان كانت من غير العربي الا انها لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة فهي وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لغة كما في حاشية الجمل وغيرها في اوائل سورة يوسف ويجاب ايضا كما في الاتقان للسيوطي بان الكلمات اليسيرة بغير العربية لاتخرجه عن كونه عربياً والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية . ثم قال بعد ذلك واقوى ما رأيته للوقوع وهو اختياري ما اخرجه ابن جرير بسند صحيح عن ابي ميسرة التابعي الجليل قال في القرآن من كل لسان وروى مثله عن سعيد ابن جبير ووهب بن منبه فهذه اشارة الى ان حكمة وقوع هذه الالفاظ في القرآن انه حوى علوم الاولين والاخرين ونبأ كل شيء فلا بد ان تقع فيه الاشارة الى انواع اللغات والالسن ليتم احاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة اعذبها واخفها واكثرها استعمالاً للعرب . ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة انها نزلت بلغة

القوم الذين انزلت عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وانزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير اه وايضا النبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى كل امة وقد قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) فلا بد وان يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وان كان اصله بلغة قومه هو اه المراد منه هنا . ثم انه بعد ذلك سرد الفاظ من المعرب الواقع فى القرآن ولنذكر لك جملة مما ذكره باختصار تتميما للفائدة فنقول . منها أباريق جمع إبريق وهو فارسي معرب ومعناه طريق الماء وصب الماء على هينة ومنها اب وهو الحشيش بلغة اهل المغرب . ومنها ابلعي ماءك ومعناه بالحبشية ازدرديه وبالهندية اشربي . ومنها اخلد ومعناه بالعربية ركن الى الارض . ومنها الارائك وهي بالحبشية السرر واستبرق وهو بلغة العجم الديباج الغليظ والاسفار وهى الكتب بالسريانية وقيل بالنبطية واصري ومعناه بالنبطية عهدي والاكواب ومعناها بالنبطية الاكواز وقيل انها بهذه اللغة جرار ليست لها عري واليم وهو الموجع بالزنجية وقيل بالعبرانيه واناه في قوله جل وعلا (غير ناظرين إناه) معناه نضجه بلسان اهل المغرب وقيل بلغة البربر وآن في قوله تعالى (حميم آن) معناه الذي انتهى حره بلغة البربر وآنية في قوله تعالى (من عين آنية) بمعنى حارة بلغة البربر ايضاً والاواه وهو الموقن بلسان الحبشة وقيل معناه الرحيم بلسان الحبشة وقيل معناه الدعاء بالعربية والاواب وهو المسبح بلسان الحبشة واوبى معناه بلسان الحبشة تسبيحي وبطائنها في قوله تعالى (بطائنها من استبرق) بمعنى ظواهرها بالقبطية وبعير في قوله تعالى (كيل بعير) بمعنى كيل حمار وعن مقاتل ان البعير كلما يحمل عليه بالعبرانية والبيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسين معربين والتنور فارسي معرب وتحتها في قوله تعالى (فناداها من تحتها) بمعنى بطنها بالقبطية

والجبت وهو بلسان الحبشة الشيطان وقيل معناه الساحر بلسان الحبشة وجهنم قيل عجمية وقيل فارسية وقيل عبرانية اصلها كهنام وحصب في قوله تعالى (حصب جهنم) هو حطب جهنم بالزنجية وحطة معناه بلغتهم قولوا صوابا وحواريون وهم الغسالون بالنبطية واصله هواري وحوبا اثما بلغة الحبشة ودارست ومعناه قارأت بلغة اليهود ودري ومعناه المضيء بالحبشية ودينار وهو فارسي وراعنا وهو سب بلسان اليهود وربانيون سريانية وقيل عبرانية وربيون سريانية والرحمن وهو عبراني كما ذهب اليه المبرد وثعلب واصله بالخاء المعجمة والرس وهو اعجمي ومعناه البئر والرقيم قيل انه اللوح بالرومية وقيل هو الكتاب بها وقيل هو الدواة بها ورهواً اي سهلا دمثاً بلغة النبط وقيل ساكناً بالسريانية والروم وهو اعجمي اسم لهذا الجيل من الناس وزنجبيل وهو فارسي والسجل بلغة الحبشة الرجل وقيل الكتاب وقيل هو فارسي معرب وسجيل بالفارسية اولها حجارة وآخرها طين وسجين ذكر ابو حاتم في كتاب الزينة انه غير عربي وسرادق فارسي معرب واصله سرادر وهو الدهليز وقيل الصواب انه بالفارسية سرايرده اي ستر الدر وسرياً في قوله تعالى (سرياً) اي نهراً بالسريانية وقيل بالنبطية وقيل انه باليونانية وسفره بالنبطية القراء وسقر اعجمية وسجداً في قوله تعالى (وادخلوا الباب سجداً) اي مقنعي الرؤس بالسريانية وسكراً روي عن ابن عباس انه قال السكر بلسان الحبشية الخل وسلسبيل وهو اعجمي وسندس وهو رقيق الديباج بالفارسية وقيل بالهندية وسيدها من قوله تعالى (والفيا سيدها لدى الباب) هو زوجها بلسان القبط . قال ابو عمرو ولا اعرفها في لغة العرب وسينين وهو الحسن بلسان الحبشية وسيناء وهو بالنبطية الحسن وشطر المسجد الحرام تلقاء بلسان الحبش وشهر ذكر بعض اهل اللغة انه بالسريانية والصراط وهو الطريق بلغة الروم وصرهن

نبطية اي فشققهن وقيل رومية اي فقطعهن وصلوات وهى بالعبرانية كنائس اليهود
وطه كقولك يا محمد بلسان الحبش وقيل طه بالنبطية بمنى يارجل وقيل طه بمعنى
ياوجل بلسان الحبشة والطاغوت وهو الكاهن بالحبشية وطوبى اسم الجنة
بالحبشية وقيل بالهندية وطور وهو الجبل بالسريانية وقيل انه بالنبطية وطوى
قيل هو معرب معناه ليلا وقيل هو رجل بالعبرانية وغساق وهو البارد المنتن
بلسان الترك وقيل هو المنتن بالطارية وغيض نقص بلغة الحبشة وفردوس وهو
البستان بالرومية والكرم بالنبطية واصله فرداساً وفوم وهو الحنطة بالعبرية
والقسط وهو العدل بالرومية والقسطاس العدل بالرومية وقيل الميزان بلغة الروم
وقسورة وهو الاسد بالحبشية كما لابن عباس وقطناً قال ابو القاسم معناه كتابنا
بالنبطية والقيوم وهو الذي لاينام بالسريانية وكافور فارسي معرب وكفر عنا امح
عنا بالنبطية او بالعبرانية وكفلين ضعفين بالحبشية كما روي عن ابي موسى الاشعري
وقيل انه فارسي معرب وكورت غورت بالفارسية ومتكأ بلسان الحبش يسمون
الترنج متكأ ومجون ومرجان اعجميان ومسك فارسي ومشكاة وهي الكوة بلغة
الحبشة ومقاليد وهو مفاتيح بالفارسية ومرقوم وهو مكتوب بالعبرانية ومزجاة
قابلة بلسان العجم وقيل بلسان القبط وملكوت وهو ملك بلسان النبط ومناص
ومعناه فرار بالنبطية والمنساة وهى العصاي بلسان الحبشة والمهل وهو عكر الزيت
بلسان اهل المغرب وقيل بلغة البربر وناشئة الليل قيام الليل بالحبشية وهدنا
وهو تبنا بالعبرانية وهيت لك هلم اليك بالقبطية وبالسريانية كذلك وبالحورانية
كذلك وقيل بالعبرانية واصله هيتلح اي تعاله ووراء ومعناه امام بالنبطية
وياقوت وهو فارسي ويحور وهو يرجع بلغة الحبشة وياسين وهواصله يا انسان
بالحبشية وقيل معناه بهذه اللغة يارجل واليهود وهو اعجمي معرب منسوبون الى

يهوذا ابن يعقوب فعرب باهمال الدال واليم وهو البحر بالقبطية وقيل بالسريانية
وقيل بالعبرانية هذا ملخص ماذكره صاحب الاتقان في النوع الثامن والثلاثين
الذي ذكر فيه ما وقع فى القرآن بغير لغة العرب فانظره فاني اغفلت فيه ذكر
الرواة وذكر بعض كلمات من هذه اللغات بالاختصار وفيما ذكرناه دلالة على
جواز التكلم بغير العربي اختياراً لوجوده فى القرآن كما اسلفنا وكيف لا وقد قال
تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم) اي
لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما فانه سبحانه وتعالى جعل اختلاف اللغات دليلا
لعباده على كمال قدرته كخلق السموات والارض فكيف يحرم عليهم التكلم بما
جعله لهم دليلا عليه هذا مجون لايقول به عاقل فضلا عن فاضل . واما السنة فقد
ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف جميع اللغات فلذا كان يخاطب كل قوم
بلغتهم لعموم بعثته لجميع الخلق على اختلاف انواعهم والسنتهم قال تعالى (وما
ارسلناك الا كافة للناس) وقال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه)
فتكلم صلى الله عليه وسلم بجميع الالسن حتى بالرطانة كما في صحيح البخاري قدس
الله روحه ونور ضريحه ونصه في الجزء الثاني منه

(باب) من تكلم بالفارسية والرطانة وقوله تعالى (واختلاف السنتكم
والوانكم . وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) حدثنا عمرو بن علي حدثنا
ابو عاصم اخبرنا حنظلة بن ابي سفيان اخبرنا سعيد بن ميناء قال سمعت جابر
بن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا
من شعير فتعالى انت ونفر فصاح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اهل الخندق
ان جابراً قد صنع سؤراً فحيهلا بكم . حدثنا حبان بن موسى اخبرنا عبد الله عن
خالد بن سعيد عن ابيه عن ام خالد بنت خالد بن سعيد قالت اتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم مع ابي وعليّ قميص اصفر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنه سنه قال عبد الله وهي بالحبشيه حسنه قالت فذهبت العب بخاتم النبوة
فزبرني ابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي قال عبد الله فبقيت حتى
دكن . حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان الحسن بن علي اخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية كخ كخ اما تعرف انا لا نأكل الصدقة
اه . وقوله بالفارسية اي باللغة الفارسية والرطانة بفتح الراء ويجوز كسرها وهي
التكلم بلسان العجم وقوله (واختلاف السنتكم) اي ومن آيات الله تعالى اختلاف
لغاتكم ومينا بكسر الميم وسكون التحتية ممدوداً ويقصر وبهيه بضم الموحدة
وفتح الهاء مصغراً وسؤراً بضم السين المهملة واسكان الواو من غير همزة وقيل بهمزة
ساكنه بين السين والراء وهي لفظة فارسية معناها الطعام الذي يدعى اليه وقوله
فحيهلا بتخفيف اللام منونة وحبان بكسر الحاء المهملة وتشديد الموحدة وسنه سنه
بفتح السين المهملة وكسرها وسكون الهاء فيها وقوله فزبرني بفتح الفا والزاي
والموحدة والراء نهرني وقوله دعها اتركها وقوله ثم ابلي واخلقي الخ ثلاثاً وفي رواية
اخلفي بالفاء في الثلاث لا القاف وقوله حتى دكن اي الثوب بدال مهملة وكاف
مفتوحة وتكسر ونون اي الاسود لونه من كثرة ما لبس من الدكنه وهي غبرة
كدرة وقوله كخ كخ بفتح الكاف وكسرها وسكون الخاء المعجمة وكسرها
منونة فيهما كلمه يزجر بها الصبيان عن المستقذرات يقال له كخ اي اتركها وارم بها
وهي كلمه اعجمية عربت ولذا ادخلها المؤلف في هذا الباب قاله الدار وردي ونص
البخاري ايضاً في الجزء الثاني قبيل كتاب بدء الخلق باب اذا قالوا صبأنا ولم

يحسنوا اسلمنا وقال ابن عمر فجعل خالد يقتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابرأ
اليك مما صنع خالد وقال عمر اذا قال مترس فقد امنه ان الله يعلم الالسنة كلها
وقال تكلم لا بأس انتهى . وقوله مترس بفتح الميم وسكون الفوقيه وبعد الراء
المفتوحة سين مهملة وضبط ايضاً بغير ذلك انظر الشارح. وحكى سيدي عبد الوهاب
الشعراني في لواقح الانوار انه رأى سيدي امين الدين امام جامع الغمري بعد
موته بسنتين فروى له حديثاً سنده بالسرياني ومتنه بالعربي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من ادمن النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب
وفي رواية ابتلاه الله في جنبه بالبعج انتهى . ونقل عن ابي حنيفه في احد قوليه
جواز القراءة بالفارسية في الصلاة محتجاً بقوله تعالى (وانه . اي القرآن تنزيل رب
العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين . وانه اي القرآن
لفي زبر الاولين) كالتوراة والانجيل والاحتجاج بهذه الآية لكونه سمي ما في
زبر الاولين قرآناً كما في حاشية الجمل على الجلالين فانظره . ونقل عن البلقيني انه
افتى بان سؤال الملكين في القبر بالسرياني وهو نسبة الى ارض سريانه وهي جزيرة كان
بها نوح وقومه قبل الغرق والسريانية هي لغة آدم كما في حاشية الاستاذ الامير
على عبد السلام . واستظهر بعض اهل مذهبنا صحة صلاة من كبر للاحرام من
الاعاجم بلغته حيث لم يقدر على التكبير بالعربية وغاية ما في الباب انهم ذكروا
كراهة الدعاء في الصلاة بالعجمية للقادر على العربية فان كان في غير الصلاة او
فيها وهو عاجز عن العربية لم يكره له ذلك بل يجوز وهو حلال زلال سائغ
للشاربين فاذا تأملت هذه النصوص . وفهمت ما فيها من جواهر المنصوص .
ظهر لك ظهور شمس العيان . ووضح لك بساطع البرهان . بطلان ما قاله الجهلة
المنكرون من ان هذا اللسان شيء ليس له مستند في الكتاب والسنة ولا في كلام

الأئمة وهم مع هذا الجهل المتين والضلال المبين لا يريدون بذلك الا ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نور ولو كره المشركون ثم اني اردفت ماقدمته من هذه الجواهر بما يزيدها وضوحاً من اقوال ارباب البصائر فقلت وعلى الله توكلت . اعلم انه تقدم ان هذا اللسان يسمى باللسان القدسي ويسمى ايضاً بلسان المحبة ويسمى بغير ذلك وهو من كلام الارواح لا الاشباح ولذا قال سيدي ابو سعيد الخراز كما في لواقح الانوار ان الله تعالى عجل لارواح الاولياء التلذذ بذكره والوصول الى قربه وعجل لابدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم فعيش ابدانهم عيش الجسمانيين وعيش قلوبهم عيش الروحانيين ولهم لسان ظاهر وباطن فلسان الظاهر يكلم اجسامهم ولسان الباطن يناجي ارواحهم. وقال ايضاً العارفون خزائن الله أودع فيها تعالى علوماً غريبة واخبارات عجيبة يتكلمون فيها بلسان الابدية ويعبرون عنها بعبارات ازلية . وكان سيدي احمد ابن الرفاعي رضي الله عنه يقول لسان الورع يدعو الى ترك الآفات ولسان التعبد يدعو الى دوام الاجتهاد ولسان المحبة يدعو الى الذوبان والهيمان ولسان المعرفة يدعو الى الفناء والمحو ولسان التوحيد يدعو الى الاثبات والحضور ومن اعرض عن الاعراض ادباً فهو الحكيم المتأدب . وكان سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش

وكتب رضي الله عنه الى بعض مريديه . بعد السلام واني احب الولد وباطني خلي من الحقد والحسد ولا بباطني شظا ولا حريق لظى ولا لوى لظى ولا جوى من مضى ولا مضض غضا ولا نكص نضا ولا سقط نطا ولا نطب غظا ولا عطل حظا ولا شنب سرى ولا سلب سبا ولا عتب نجا ولا سمداد صدا ولا بدع رضا ولا شطف جوا ولا حتف حرا ولا خمش خبش ولا حفص عفس ولا خفض خنس ولا

ولد كنس ولا عنس كنس ولا عسعس خدس ولا حيقل حندس ولا سطاريس ولا عطافيس ولا هطامرش ولا سطاريش ولا شوش اريش ولا ركاش قوش ولا سملادنوس ولا كتباسمطلول الروس ولا بوس عكموس ولا فنداق افاد ولا قمداد انكاد ولا بهداد ولا شهداد ولا بد من العون ولا لعب فعل الا الخير والنوال اه

وكتب الى بعض مريديه . سلام على العرائس المحشورة في ظل وابل الرحمة . (وبعد) فان شجرة القلوب اذا اهتزت فاح منها شذا يغذي الروح فيستنشق من لا عنده زكم فتبدو له انوار وعلوم مختلفة مانعة محجوبة معلومة لا معلومة معروفة لا معروفة غريبة عجيبة سهلة نشطة فائقة طعم ورائحة وشم ميم محل جميل جهدواب علوب نفط بنوط هربط مهبط حرموا غميط غلب عمن عسب غلب عرمادعلمود على عروس علماس مسرد قدقد فرسم صباع صبع صبوغ نبوت جهمل جمائد حربوعس قنبود سماع بناع سرنوع ختلوف كداف كروب كتونى شهدا سهنديل ختلولف ختوف رمص مامن قمن قرفنيود سعى طبوطاطا كمط كهرجه جهدبيد قيلوادات كهلودات كيكل كاوب فافهم مبرم واقرم منعم واخبر سهدم سوس سقيوس كلافيد لا تهترعن عنيلاسعد منبح تزيد ولا تتكوكم زند حدام هدام سكهيدل. وقد سطرنا لك يا ولدي تحفة سنية ودرة مضية ربانية سريانية شمسية قمرية كواكب درية وانجم خفية علوية وانما تفصح المبهم المغلق المغرب الذي سره مغطى بالرموز اه

وكتب رضي الله عنه الى بعض مريديه ايضاً سلام ان هب الجنوب المفتق أو الصبا المعبق او الضحى المرونق او الشمس المتحنة او الاضحية المقرنة فى الابرجة الموثقة والمجبرة المحوثقة والميسرة المحتوطة واللطيفات المختلفة المستوجنة والارابح والارباح المتلولجة المستودجة فالشهار والانهار المستوطح والصفو المزرورق او

المتوجد والفتوع والسنبابول والسربايور والنوشاند والشربوسامع واليرتواشاند
تفهم يا ولدي فان الكلام المغرب لا يشا كل المعرب وما ليس من لغة العرب
لا يفهمه الا من له قلب او فهمه الرب ولا انكار على علماء الحقيقة وهم يتكلمون
بكل لسان ولهم لسن عجام

وكتب رضي الله عنه سلاماً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسله مع
الحجاج . سلام على امير حي الحيا جميل المغنى سخي المراشف ارخى المعاطف كريم
الخلق سني الصدق عرفوط الوقت ودرساني الفهم ثاقب المرحب محبول الرحب
قطابة النقل قيدوح النماطة ليدوح النباطه سرسامع الوحب بهدياني الوعب بهبساني
الحداقة سهبري النساقة نو والرموز غموز النهوز سلاحات افق فردقانيه امق شوامق
البرامق حيد وفرقيد وفرغاط الاسباط ومبيط البساط الكرقوليه والقددالقيلولية
ان حدول شنرل وان عرذل خردل السبل للسبل بيط العقود النماحة النياحة
جاجويبنا كلكوي سبا مقاطعات حم ومحكمات حكيم بدائع لوائع ان شدت
انشدت عنيقبات رسمانية ناتوتية نابهنية بابلية ارس ارسون كمين كبيوت ناقوت
نون وجيم ونقطة عين تنعيم ازمح همدج تسبيح هبح دهبر رعبوب قيداف قيدوف
عرائس مجليات شعشعانية على قطط النبط لا النمط . والبصب لا الشطط . فلاق
القندم خلاق الزيدم وابقى الهندم ان طأطأ فطاوطا وان تعاطى فاستبزق يسمع
عنين النبك وعنين النبك من ارباح فوائد وادراح قلائد ليس من لفظ قسر
الايادي ولا له بها ايادي نهدبانية البها سهبانية الرباقل تشيقات بالنباهة ابباو تعطرفت
بالسباهة عيباً طرائقا عجنبا عرائفها جباً ان تمادي تمدي وان بعد اعدد لفظة بارق
لحظة حادق ان ينشد فردقونية قد اعتدت بالرشطاط من قروربان وحرموزان
كروم المرتبلاه ولا اشباه ألم تك ولدتك ولدتك والرتك اه

وكان رضي الله عنه يقول اذا كمل العارف في مقام العرفان اورثه الله علما بلا
واسطة واخذ العلوم المكتوبة في الواح المعاني ففهم رموزها وعرف كنوزها
وفك طلسماتها وعلم اسمها ورسمها واطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط
ولولا خوف الانكار لنطقوا بما يبهر العقول وكذلك لهم من اشارات العبارات
عبارات معجمة وألسن مختلفة وكذلك لهم في معاني الحروف والقطع والوصل
والهمز والشكل والنصب والرفع ما لا يحصر ولا يطلع عليه الا هم وكذلك لهم
الاطلاع على ماهو مكتوب على اوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر
وما هو مكتوب على صفحة قبه خيمة السماء ومافي جباه الانس والجن مما يقع لهم
في الدنيا والآخرة وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة من جميع
مافوق الفوق وماتحت التحت ولا عجب من حكيم يتاتى علما من حكيم عليم فان
مواهب السر اللدني قد ظهر بعضها في قصة موسى والخضر عليهما السلام . وكان
رضي الله عنه يقول من الاولياء من لا يدري الخطاب ولا الجواب فهو كالحجارة
مودعة اسراراً ناطقة بلسان حال صامتة عن الكلام مودعة من غوامض الاسرار
والعطاء مفرق . فمنهم عارف ومحب ومشغوف وذاكر ومذكر ومعتبر وناطق
وصامت ومستغرق وصائم وقائم وهائم ومفطر وصائم صائن وصائم ثم صائم وقائم
دائم ونائم واصل وواصل سهران وواقف ذاهل وداهش واهن وواهم وباك
باسم ومقبوض وضاحك وخائف ومختلط ومختبط ومولہ ومتوله وصائح ونائح
ومجموع بجميعه وجمعه ان خرج عن اياهما انتفع . ومنهم من مزق الثياب حين حقق
وتاب وغاب عليه الحال ويرحم الله البعض بالبعض . وكان رضي الله عنه يقول
يا أولادي اذا لم يحسن احدكم ان يعامل مولاه فلا يقع في احوال لا يدريها فان
القوم تارة يتكلمون بلسان التمزيق وتارة بلسان التحقيق بحسب الحضرات التي

يدخلونها وانت ياولدي لم تذق حالهم ولا تمزقت ولا دخلت حضراتهم فمن اين
لك انهم على الضلال اقتعوم يا ولدي البحر ولست بعوام ثم اذا غرقت فقد مت
ميتة جاهلية لانك ألقيت نفسك للمهالك والحق قد حرم عليك ذلك بل الواجب
عليك ياولدي ان تطلب دعاء القوم وتلتمس بركاتهم هذا اذا لم تجد قدرة على عملهم
فان وجدت قدرة على ذلك سعدت ابد الآبدين . واعلم ياولدي ان ألسن القوم
اذا دخلوا الحضرات مختلفة ومن اشاراتهم وكلماتهم مايفهم ومنها مالايفهم وكذلك
من احوالهم ما يعبر عنه ومنها مالا يعبر وكذلك في اسرارهم ما لا يصل اليه مؤول
ولا معبر ولا مطلع ولا مفسر لان اسرارهم موضع سر الله تعالى فقد عجز القوم
عن معرفة اسرار الله تعالى فى انفسهم فكيف في غيرهم فيجب عليك يا ولدي
التسليم لله في امر القوم وحسن الظن بهم لاغير فاني ناصح لك ياولدي فاذا رميت
من يحبه الله تعالى بالبهتان والزور وتجرأت على من قربه الله تعالى ابغضك الله تعالى
ومقتك فلا تفلح بعد ذلك ابداً ولو كنت على عبادة الثقلين . وكان رضي الله عنه
يقول ولد القلب خير من ولد الصلب فولد الصلب له ارث الظاهر من الميراث
وولد القاب له ارث الباطن من السر . وكان رضي الله عنه يقول شراب القوم
لايشربه من في قلبه عكر دنس ولا بقايا غلس ولا حظوظ نفسانية ولا دعاوي
شيطانية ولا كبر ترف ولانفس تايره . وكان يقول اتقوا فراسة المؤمن ان ينظر
بواطنكم بنور الله تعالى فيجد فيها مايسخط الله تعالى فان احببت ياولدي ان تسمع
وتبصر وتعقل فعي في باطنك الفوائد ولا تقنع ببوس اليد ولا بالرئاسة ولا يكمل
الفقير الا ان تكلم بمعانى الحقيقة ذوقا لا نقلا وفعلا لا قولا وتحلى في باطنه بحلية
الاصطفا بالسر والمعنى فتمعنى وتكلم بالحكم ونطق بالمعجم وبالسر المكتم واطلع
وحقق فما ينطق الا صدقاً ولا يتكلم الا حقاً وعند ذلك يصح له ان يدعوا الخلق

الى الله . وكان يقول الناس حول صاحب الكلام الرباني كالعجم حول الفصيح
فلا يشترط معرفتهم لذلك اه من لواقح الانوار . ونقل فيها ايضاً عن سيدي
احمد ابي العباس المرسي رضي الله عنه انه كان يقول اذا كمل الرجل نطق بجميع
اللغات وعرف جميع الالسن إلهاماً من الله عز وجل . وكان رضي الله عنه يقول
لاتطالبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل طالبوا انفسكم ان يكون الشيخ في
خاطركم فعلى مقدار مايكون عندكم تكونوا عنده . وكان يقول علامة حب الدنيا
خوف المذمة وحب الثناء فلو زهد لما خاف ولا أحب اه . وكان سيدي علي وفا
رضي الله عنه يقول الواحد لا يظهر في كل الاواحد وان كانوا اكثر من واحد
في الصورة فهم واحد فى السريرة كعيسي ويحيي وموسى وهارون مثلا فهما اثنان
حساً وهما فى الحقيقة واحد (فقولا انا رسول رب العالمين) كما اذا شئت أن تعبر عن
اسم الذات الاقدس بالعربية تقول الله جل جلاله وبالعبرانية الوهيم وبالفارسية
خداي وبالتركية تكرى وبالرومية نيبوس وبالقبطية ليصا في كل لغة بلفظ وانظر
الى جبريل في حال تمثله في صورة البشر لم يخرج عن كونه جبريلا ذا الاجنحة
والرؤس المتعددة بل هو عينه فى كلتا الصورتين واحد لم يتعدد . وكان رضي الله
عنه يقول ألسنة المحبة اعجمية على غير اهلها وهي لاهلها لسان عربي مبين فافهم .
وقال سيدي داوود الكبير رضي الله عنه من الكلم كلمة تحتها الف كلمة وان من
الكلم كلمة تحتها مائة الف كلمة وان من الكلم كلمة تحتها بحار لايحاط بقطراتها ولا
يدرك عظيم غاياتها . وكان رضي الله يقول كلمة الحكمة عروس كريمة فان لم تجد
كفؤاً رجعت الى بيت ابيها . وكان سيدي محمد السروري المشهور بابي الحمائل
يغلب عليه الحال فيتكلم بالعبرانية والسريانية والعجمية وتارة يزغرت في
الافراح والاعراس كما تزغرت النساء . وكان اذا قال قولا ينفذه الله له . وشكى

له اهل بلده من الفار وكثرته في مقات البطيخ فقال لصاحب المقات رح ونادي في الغيط حسب مارسم محمد ابو الحمايل انكم ترحلون اجمعون فنادى الرجل لهم كما قال الشيخ فلم ير بعد ذلك اليوم منهم ولا فاراً واحداً فسمعت البلاد بذلك فجاؤا اليه فقال لهم يا أولادي الاصل الاذن من الله ولم يرد عنهم الفار . وكان مبتلياً بزوجته يخاف منها اشد الخوف حتى كان يخلي الفقير في الخلوة فتخرجه من الخلوة بلا اذن من الشيخ فلا يقدر يتكلم . قال الشيخ واخبرتني قبل موتها انه كان كثيراً يكون جالساً عندها فتمر عليه الفقراء في الهواء فينادونه فيجيبهم ويطير معهم فلا تنظره الى الصباح وذكر الشيخ في مناقبه انه كان اذا اشتد عليه الحال في مجلس الذكر ينهض قائما ويأخذ الرجلين ويضرب بهما الحائط . واخبرني الشيخ يوسف الحريثي قال رأيت الشيخ محمد السروري وقد حصل له حال في جامع فارسكور فحمل تامور الماء وفيه نحو الثلاثة قناطير من الماء على يدٍ واحدة وصار يجري به في الجامع . وكان يكره للمريدين قراءة حزب الشاذلية واحزاب غيرهم ويقول مارأينا قط احداً وصل الى الله بمجرد قراءة الاحزاب والاوراد . وكان يقول نحن مانعرف الا لا إله الا الله بعزم وهمة . وكان يقول مثال ارباب الاحزاب مثال شخص من اسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلا ونهاراً ان الله تعالى يزوجه بنت السلطان . وكان يقول لجماعة الشيخ ابي المواهب على وجه التوبيخ بلسان حالهم اجعل لي واعمل لي واصطفيني ولا تخل احداً فوقي واحدكم نائم بطول الليل ومهما وجد من الحرام والشبه يلف ماهكذا درج السلف . وكان رضي الله عنه يغير على اصحابه ان يجتمعوا بأحد من اهل عصره ويقول الذي ابنيه تهدونه عند غيري . وكان سيدى عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه من اكابر الاولياء اهل الاحوال وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه في اوئل جذبه وكان جالساً على الرمل صيفاً وشتاء واذا جاع او عطش يقول

اطعموه اسقوه وكان ثلاثة اشهر يتكلم وثلاثة اشهر يسكت وكان يتكلم بالسرياني قاله الشيخ في لواقح الانوار فانظر ذلك كله وتعجب من هؤلاء عمي البصائر الذين انكروا على اهل هذا اللسان اى انكار مع شيوعه بين العارفين وظهوره ظهور الشمس في رابعة النهار

لكنها قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

هذا وقد قال نجم العرفان الحافظ سيدي احمد ابن المبارك في كتابه الذهب الابريز الذي تلقاه عن الحسيب النسيب قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدباغ سمعته رضي الله عنه يقول ان لغة اهل الديوان رضي الله عنهم هى السريانية لاختصارها وجمعها المعاني الكثيرة ولان الديوان يحضره الارواح والملائكة والسريانية هى من لغتهم ولا يتكلمون بالعربية الا اذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم ادباً معه . وسمعته رضي الله عنه يقول ليس كل من يحضر الديوان من الاولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه اليه ببصيرته ولا يعرف مافيه ومنهم من لا يتوجه اليه لعلمه بانه ليس من اهل النظر قال رضي الله عنه كالهلال فان رؤية الناس اليه مختلفة . وسمعته رضي الله عنه يقول اذا اجتمع الاولياء في الديوان رضي الله عنهم امد بعضهم بعضاً فترى الانوار تخرج وتدخل وتنفذ فيما بينهم كالنشاب ولا يتفرقون الا على زيادة عظيمة وسمعته رضي الله عنه يقول ان الصغير من الاولياء يحضره بذاته واما الكبير فلا تحجير عليه يشير رضي الله عنه الى ان الصغير اذا حضره غاب عن مجلسه وداره فلا يوجد في بلدته اصلا لانه يذهب اليه بذاته واما الكبير فانه يديره على رأيه فيحضره ولا يغيب عن داره لان الكبير يقدر على التصور على ماشاء من الصور انتهى المراد منه هنا . وقال قبيل ذلك سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول الديوان

بغار حرا الذي كان يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة قال رضي الله
عنه فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الايمن والمدينة امام ركبته اليسرى
واربعة اقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب مالك ابن انس رضي الله عنه
وثلاث اقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة والوكيل
امامه ويسمى قاضي الديوان وهو في هذا الوقت مالكي ايضاً ومع الوكيل يتكلم
الغوث ولذلك يسمى وكيلا لانه ينوب في الكلام عن جميع من فى الديوان قال
والتصرف للاقطاب السبعه على امر الغوث وكل واحد من الاقطاب السبعة
تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته والصفوف ستة من وراء الوكيل وتكون
دائرتها من القطب الرابع الى الذي على اليسار من الاقطاب الثلاثة فالاقطاب
السبعة هم اطراف الدائرة وهذا هو الصف الاول وخلفه الثاني على صفته وعلى
دائرته وهكذا الثالث الى ان يكوا السادس آخرها قال ويحضرها النساء وعددهن
قليل وصفوفهن ثلاثة وذلك في جهة الاقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة
الصف الاول في فسحة هناك بين الغوث والاقطاب الثلاثة . قال رضي الله عنه
ويحضره بعض الكمل من الاموات ويكونون في الصفوف مع الاحياء ويتميزون
بثلاثة امور (احدها) ان زيهم لايتبدل بخلاف زي الحي وهيئته فمرة يحلق
شعره ومرة يجدد ثوبه وهكذا وأما الموتى فلا تتبدل حالتهم فاذا رأيت في الديوان
رجلا على زي لايتبدل فاعلم انه من الموتى كأن تراه محلوق الشعر لاينبت له شعر
فاعلم انه على تلك الحالة مات وان رأيت الشعر على رأسه على حالة لا يزيد ولا
ينقص ولا يحلق فاعلم ايضاً انه ميت وانه مات على تلك الحالة (ثانيها) انه
لاتقع بينهم مشاورة في أمور الاحياء لانه لا تصرف لهم فيها وقد انتقلوا الى عالم
آخر في غاية المباينة لعالم الاحياء وانما تقع معهم المشاورة في امور عالم الاموات . قال

رضي الله عنه ومن آداب زائر القبور اذا اراد ان يدعو لصاحب قبر ويتوسل
الى الله تعالى بولي من اوليائه في اجابة دعوته ان يتوسل اليه تعالى بولي ميت فانه
انجح لمقصوده واقرب لاجابة دعوته (ثالثها) ان ذات الميت لاظل لها فاذا
وقف الميت بينك وبين الشمس فانك لا ترى له ظلا وسره ان يحضر بذات
روحه لا بذاته الفانية الترابية وذات الروح خفيفة لاثقيلة وشفافة لا كثيفة . قال
لي رضي الله عنه وكم مرة اذهب الى الديوان او الى مجمع من مجامع الاولياء وقد
طلعت الشمس فاذا رآني من بعيد استقبلوني فتراهم بعين رأسي متميزين هذا
بظله وهذا لاظل له . قال رضي الله عنه والاموات الحاضرون في الديوان ينزلون
اليه من البرازخ يطيرون طيراً بطيران الروح فاذا قربوا من موضع الديوان بنحو
مسافة نزلوا الى الارض ومشوا على ارجلهم الى ان يصلوا الى الديوان ادباً مع
الاحياء وخوفاً منهم . قال وكذا رجال الغيب اذا زار بعضهم بعضاً فانهُ يجيء
بسر روحه فاذا قرب من موضعه تأدب ومشي مشي ذاته الثقيلة تأدباً وخوفاً
قال وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف ويحضره ايضاً الجن الكامل وهم
الروحانيون وهم من وراء الجميع وهم لايبلغون صفاً كاملا . قال رضي الله عنه وفائدة
حضور الملائكة والجن ان الاولياء يتصرفون في امور تطيق ذواتهم الوصول
اليها وفي امور اخرى لاتطيق ذواتهم الوصول اليها فيستعينون بالملائكة وبالجن
في الامور التي لاتطيق ذواتهم الوصول اليها . قال وفي بعض الاحيان يحضره
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا حضره عليه الصلاة والسلام جلس في موضع الغوث
وجلس الغوث في موضع الوكيل وتأخر الوكيل للصف واذا جاء النبي صلى الله
عليه وسلم جاءت معه الانوار التي لاتطاق وانما هي انوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها
وهي انوار المهابة والجلالة والعظمة حتى انا لوفرضنا اربعين رجلا بلغوا في الشجاعة

مبلغاً لا مزيد عليه ثم فجئوا بهذه الانوار فانهم يصعقون لحينهم الا ان الله تعالى يرزق اولياءه القوة على تلقيها ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط الامور التي صدرت في ساعة حضوره صلى الله عليه وسلم قال وكلامه صلى الله عليه وسلم مع الغوث قال وكذلك الغوث اذا غاب النبي صلى الله عليه وسلم تكون له انوار خارقة حتى لا يستطيع اهل الديوان ان يقربوا منه بل يجلسون منه على بعد فالامر الذي ينزل من عند الله تعالى لا تطيقه ذات الا ذات النبي صلى الله عليه سلم واذا خرج من عنده صلى الله عليه وسلم فلا تطيقه ذات الا ذات الغوث ومن ذات الغوث يتفرق على الاقطاب السبعة ومن الاقطاب السبعة يتفرق على اهل الديوان . واما ساعة الديوان فهي الساعة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي ساعة الاجابة من الثلث الاخير اه من الابريز ببعض تصرف واختصار ثم قال بعد ذلك قال رضي الله عنه واذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم في الديوان وجاءت معه الانوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع اهل الديوان ودخلوا في نوره صلى الله عليه وسلم فما دام النبي صلى الله عليه وسلم في الديوان لا يظهر منهم ملك فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الديوان رجع الملائكة الى مراكزهم والله اعلم اه . ولنرجع لما نحن بصدده فنقول والله المستعان

قال سيدي احمد ابن المبارك رضي الله عنه في مدح سيدي عبد العزيز المذكور رضي الله عنه وما رأيت من يعرف السريانية وجميع اللغات التي لبني آدم وللجن والملائكة والحيوانات مثله فسألته رضي الله عنه عن اسم سيدنا عيسى مشيخاً هل هو بالخاء المعجمة او المهملة فقال هو بالمعجمة وهو لفظ سرياني ومعناه بلغتهم الكبير . وسألته رضي الله عنه عن معنى الانجيل فقال هو لفظ سرياني ومعناه بلغتهم نور العين . وسألته عن التوراة فقال هو لفظ عبراني ومعناه بلغتهم الشريعة

والكلام الحق . وسألته رضي الله عنه عن اسم نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مشفح هل هو بالفاء او بالقاف فان العلماء اختلفوا فيه فقال هو بالفاء من الشفح بمعنى الحمد وهو لفظ سرياني . وسألته رضي الله عنه عن اسمه صلى الله عليه وسلم المنحمنا فان العلماء اختلفوا في ضبطه فان منهم من يقول بضم الميم الاولى وكسر الثانية ومنهم من يقول انه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية فقال رضي الله عنه هو بفتح الميمين معاً الاولى والثانية وهما كلمتان لا كلمة واحدة فالمن بفتح الميم واسكان النون كلمة وحمنا بفتح الحاء والميم وشد النون كلمة اخرى ومعنى الكلمة الاولى النعمة التي لها نفع ظاهر ونفع باطن فالنفع الظاهر هو ما كان للذوات في عالم الاشباح والنفع الباطن هو ما كان للارواح في عالم الارواح فهي نعمة سقي منها جميع المخلوقات وجميع العوالم ولاشك انه صلى الله عليه وسلم كذلك ومعنى الكلمة الثانية وهي كالصفة للاولى ان النعمة السائغة بلغت الى الغاية وارتفعت الى النهاية فكأنه يقول في النبي صلى الله عليه وسلم أنه النعمة التي بلغت الغاية ولم يدركه سابق ولا لاحق وهو لفظ سرياني . وقدم علينا بعض اصحابنا من اخيار اهل تلمسان فاخبرني انه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول انه زار قبر سيدي ابراهيم الدسوقي نفعنا الله به فوقف عليه الشيخ سيدي ابراهيم الدسوقي نفعنا الله به وعلمه دعاء وهو هذا (بسم الاله الخالق الاكبر وهو حرز مانع مما اخاف واحذر لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق يلجمه بلجام قدرته احمى حميثا اطمى طميثا وكان الله قوياً عزيزاً حمعسق حمايتنا كهيعص كفايتنا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فقال له سيدي ابراهيم ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شئ فقال لى صاحبنا التلمساني وهو الحاج الابر التاجر الاظهر سيدي عبد الرحمن بن ابراهيم من أولاد بن ابراهيم القاطنين

بتلمسان ان اخي الحاج محمد بن ابراهيم لما لم يعرف معنى هاتين الكلمتين وهما احمى
حميثا واطمى طميثا امتنع من هذا الدعاء وقال لا أدري ما معناها ولعل ان يكون
فيهما ما اكره فسألني عن معنى الكلمتين فسألت شيخنا رضي الله عنه عن معناها
فقال رضي الله عنه لا يتكلم احد اليوم على وجه الارض بهاتين الكلمتين فمن اين
لك بهما فحكيت الحكاية فقال رضي الله عنه نعم سيدي ابراهيم الدسوقي من
اكابر الصالحين ومن اهل الفتح الكبير هو وامثاله الذين يتكلمون بهاتين الكلمتين
ثم قال رضي الله عنه هما كلمتان بلغة السريانية أما احمى فمعناه يا مالك وفي سره
يا مالك الملك العظيم الاعظم الحي القيوم وحميثا إشارة الى مملكته فهو بمنزلة من يقول
يا مالك الاسرار يا مالك الانوار يا مالك الليل والنهار يا مالك السحاب المدرار يا مالك
الشموس والاقمار يا مالك العطا والمنع يا مالك الخفض والرفع يا مالك كل حي يا مالك
كل شيء . وفي هذا الاسم سر عجيب لا يطيق القلم ولا العبارة تبليغه أبداً . وأما
قوله اطمى فهو بمنزلة من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد
في ذلك كله وكأنه يقول يا عالم كل شيء يا قادراً على كل شيء يا مريد كل شيء يا مدبر
كل شيء ويا قاهر كل شيء ويا من لا يطرق اليه عجز ولا يتوهم في تصرفه نقص
وطميثا اشارة الاشياء التي يتصرف فيها والى الممكنات التي يفعل فيها ما يشاء ويحكم
ما يريد سبحانه لا إله الا هو وفي هذا الاسم سر عجيب لا يطيق القلم تبليغه ابداً
والله أعلم . وسمعته رضي الله عنه يقول ان اللغة السريانية هي لغة الارواح وبها
تخاطب الاولياء من اهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي
لا يمكن اداؤها بتلك الفاظها في لغة اخرى فقلت وهل تبلغها في ذلك لغة العرب
فقال رضي الله عنه لا يبلغها الا ما في القرآن العزيز فان لغة العرب اذا جمعت
المعاني التي في السريانية وكانت بلفظ العرب كانت أعذب وأحسن من السريانية

والله اعلم . وسمعته رضي الله عنه يقول اللغات كلها مطنبة بالنسبة للسريانية لان
الكلام في لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية وفي السريانية
يتركب من الحروف الهجائية فكل حرف هجائي في السريانية يدل على معنى
مفيد فاذا جمع الى حرف آخر حصلت منهما فائدة الكلام ومن عرف لاي معنى
وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يحب وارتقى
بذلك الى معرفة اسرار الحروف وفي ذلك علم عظيم حجبه الله عن العقول رحمة
بالناس لئلا يطلعوا على الحكمة مع الظلام الذي في ذواتهم فيهلكون نسأل الله
السلامة والله اعلم . وسمعته رضي الله عنه يقول ان اللغة السريانية سارية في جميع
اللغات سريان الماء في العود لان حروف الهجاء في كل كلمة من كل لغة فسرت
في السريانية ووضعت فيها لمعانيها الخاصه التي سبقت اليها الاشارة مثاله احمد يدل
في لغة العرب اذا كان علما على الذات المسماة به وفي لغة السريانيه تدل الهمزة
المفتوحه التي في اوله على معنى والحاء المسكنه على معنى والميم المفتوحة على معنى
والدال ان كانت مضمومة على معنى وان كانت مفتوحة على معنى آخر وهكذا محمد
يدل في لغة العرب على الذات المسماة به وفي السريانيه تدل الميم على معنى والحاء
المفتوحه على معنى والميم المشددة على معنى والدال التي في آخره على معنى
وهكذا زيد وعمرو ورجل وامرأة وغير ذلك مما لا ينحصر في لغة العرب فكل
حروفها الهجائيه لها معان خاصة في اللغه السريانيه وكذا حكم كل لغه فالبارقليط
وضع في لغة العبرانيه علما على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي السريانيه الهمزة
التي في اوله تدل على معنى واللام المسكنه تدل على معنى والباء على معنى الى آخر
حروفه فالسريانيه هي اصل اللغات باسرها واللغات طارئة عليها وسبب طرؤها عليها
الجهل الذي عم بني آدم وذلك لان مبني وضع السريانيه واصل التخاطب بها

المعرفة الصافية التي لا جهل معها حتى تكون المعاني عند المتكلمين بها معروفة قبل التكلم فتكفي اشارة ما فى إحضارها فى ذهن السامع فاتفقوا على ان اشاروا الى المعاني بالحروف الهجائية تقريباً وقصداً الى الاختصار لان غرضهم الخوض فى المعاني لا فيما يدل عليها حتى انه لو امكنهم إحضارها بلا تلك الحروف ماوضعوها اصلا ولهذا لايقدر على التكلم بها الا اهل الكشف الكبير ومن فى معناهم من الارواح التي خلقت عرافة دراكة والملائكة الذين جبلوا على المعرفة فاذا رأيتهم يتكلمون بها رأيتهم يشيرون بحروف او بحرفين او بكلمة او بكلمتين الى ما يشير اليه غيرهم بكراسة او كراستين اذا عرفت هذا علمت انه لما عم بني آدم الجهل كان ذلك سبباً في نقل الحروف من معانيها التي وضعت لها اولا وجعلها مهملة فاحتيج في اداء المعاني الى ضم بعضها الى بعض حتى يحصل منها مجموع يسمى كلمة فيدل على معنى من المعاني الدائرة عند اهل ذلك الوضع فضاع بسبب جهل معاني الحروف ومعرفة اسرارها علم عظيم ومع ذلك فان اخذت تلك الكلمة التي في تلك اللغة وأردت ان تفسر حروفها بما كانت عليه قبل النقل وجدت فى الغالب حرفاً منها يدل على المعنى الذي نقلت اليه لاتفاقه مع المنقول عنه ووجدت باقي حروف تلك الكلمة تدل على معنى آخر يعرفها السريانيون ويجهلها غيرهم فالحائط مثلا وضع في لغة العرب للسور المحيط بدار ونحوها والحاء التي في اوله تدل على ذلك في لغة السريانية والماء مثلا وضع في لغة العرب للعنصر المعروف والهمزة التي في آخره تدل على ذلك والسماء وضعت للجرم المعلوم والسين التي في اوله تشير الى ذلك وهكذا من تأمل في غالب الاسماء وجدها على هذا النمط ووجد غالب حروف الكلمه ضائعة بلا فائدة والله اعلم . وسمعته رضي الله عنه يقول ان سيدنا آدم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لما نزل الى الارض كان يتكلم

بالسريانية مع زوجته واولاده لقربهم بالعهد فكانت معرفتهم بالمعاني صافية فبقيت السريانية في اولاده على اصلها من غير تبديل ولا تغيير الى ان ذهب سيدنا ادريس على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فدخلها التبديل والتغيير وجعل الناس ينقلونها من اصلها ويستنبطون منها لغاتهم فاول لغة استنبطت منها لغة الهند فهي اقرب شيء الى السريانية . قال وانما كان سيدنا آدم عليه السلام يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنة لانها كلام اهل الجنة فكان يتكلم بها فى الجنه فنزل بها الى الارض فقلت فقد ذكر المفسرون في قوله تعالى (خلق الانسان علمه البيان) ان المراد بالانسان آدم والمراد بالبيان النطق بسبعمائة لغه افضلها لغة القرآن فقال رضي الله عنه ان ذلك التعليم الذي وقع لآدم صحيح وهو كذلك يعرف تلك اللغات ومن دونه من الاولياء يعرفها ولكن لاينطق الاباللغة التي نشأ عليها وآدم انما نشأ على لغة اهل الجنه وهي السريانيه والله اعلم . قلت وهذا الكلام في غاية الحسن ولا يرد عليه حديث ابن عباس مرفوعاً (احبوا العرب لثلاث فاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي) فان العقيلي قال لااصل له وعده ابن الجوزي فى الموضوعات . وسألت عنه الشيخ رضي الله عنه فقال ليس بحديث ولم يقله النبي صلى الله عليه سلم . وسمعته رضي الله عنه يقول من تأمل كلام الصبيان الصغار وجد السريانيه كثيراً في كلامهم وسبب ذلك ان تعليم الشيء فى الصغر كالنقش فى الحجر فكان آدم يحدث اولاده فى الصغر ويكلمهم بها ويسمي لهم انواع المأكل والمشرب فشبوا عليها وعلموها اولادهم وهلم جرا . فلما وقع التبديل فيها وتنوسيت لم يبق منها عند الكبار شيء في كلامهم وبقي عند الصغار منها ما بقي وسر آخر وهو ان الصبي ما دام فى حال الرضاع فان روحه متعلقة بالملأ الأعلى وفى ذلك الوقت يرى الصبي الرضيع منامات لو رآها الكبير لذاب لغلبة حكم

الروح فى ذلك الوقت وغلبة حكم الذات على الكبير وقد سبق ان لغات الارواح
هى السريانيه وكما ان ذات الصبي ترى المنامات السابقه والحكم للروح فكذلك
تنطق بالفاظ سريانيه والحكم للروح . قال رضي الله عنه فمن اسمائه تعالى لفظه اغ
التى ينطق بها الصبي الرضيع وهو اسم يدل على الرفعه والعلو واللاطف والحنانة فهو
بمنزلة من يقول يا علي يارفيع ياحنان يالطيف وترى الصبي اذا فطموه يسمون له
مثل الفول والحمص بلفظة (بوبو) وهو موضوع في السريانيه للحلو المأكول ولذا
يسمي له الثدي الذي يرضع منه بهذا الاسم ايضاً واذا اراد الصبي ان يتغوط اعلم امه
وقال (مع) وهو موضوع فى السريانيه لاخراج خبث الذات والصبي يسمى له صبي
آخر اصغر منه (مومو) وهو موضوع فى السريانيه للشيء القليل الحجم العزيز
ولذلك سمي انسان العين باللفظه السابقه وتضاف الى العين فيقال مومو العين
اي الشيء القليل فيها العزيز وتتبع بقية الفاظ السريانيه التي فى كلام الصبيان يطول
والله اعلم انتهى المراد منه فانه نقل عنه فى هذا المعنى المتعلق بالسريانيه ما يخرجنا
ذكره عن الاختصار ويفهم الذكي من المثال الواحد مالايفهمه الغبي بالف شاهد

(تنبيه) قال استاذنا مصطفى البكري رضي الله عنه فى ميمية ورد سحر
« بمن يتجلى القرب يا حبيبى اعجمي » فقال شارحه سيدي عبد الله الشرقاوي
رضي الله عنه اعجمي اي بضم الهمزة اي ابنهم حاله ولم يفهم مقاله من اعجمت
الكتاب خلاف قولك اعربته او بفتحها . أما على انه فعل ماض من اعجم فلان
الكلام ذهب به الى العجمه وذلك لستره اقواله واحواله غيرة على الاسرار ان
تذاع أو على انه مفعول لفعل محذوف وهو صار والمعنى اسألك بمن صار بسبب
تجلي القرب اعجم اي فى لسانه عجمه والاعجم هو الذي لا يفصح عما فى ضميره وان
كان من العرب او من فى لسانه عجمه وان افصح بالعجمه كذا فى التهذيب فالعارف هو

الذي كل لسانه فلم يفصح عما حواه جنانه . قيل لابي يزيد قدس الله سره ما بالنا
لانفهم كثيراً مما تقول فقال ان الاخرس لا يفهم كلامه الا ابوه . وكما انبهمت
أقوال العارفين انبهمت أحوالهم فاحوالهم معجمة على من لم يذقها فان فيهم الاعلى
والعالي وحال الاول منعجم على الثاني فاذا حدث بامر ذاقه او شاهده انكره
عليه ومنهم من اراد الله ستره عن الكون واهله فاذا اجتمع عليه احد من اهل
الخصوص لم ير فيه شيئاً يدل على قربه فاذا سئل عنه اخبر بانه ليس من اهل الله . ثم قال
بعد نحو ما سبق وهؤلاء الرجال هم الذين سترهم الحق عن أعين الخلق فى الدنيا
والآخرة فلا يعرفون وربما ستر حالهم عن انفسهم عناية بهم . ومنهم الملامتية
الذين ابهم حالهم فصاروا لافرق بينهم وبين العوام مع انهم اعلا الفرق الاسلامية
انتهى منه ببعض تصرف واختصار كثير . وقال البكري ايضاً فى المنهجه (وادر
كاس الاسرار ودعني اصير به من ذي الهمج) فقال شارحه المذكور قال فى المصباح
الهمج ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الدواب الواحدة همجه مثل قصب
وقصبه وقيل هو دود يتفقأ عن ذباب وبعوض وقيل للرعاع همج على التشبيه اه
اي شبه من لامعرفة له من الناس بهذا الذباب بجامع الجهل في كل قال في
المنفرجه وخيار الناس هداتهم وسواهم من همج الهمج والمراد بهم هنا من لامعرفة
له بحسب ما عند الناس وان كانوا هم العارفون حقيقة فان الغالب على من شرب
هذا الكاس ان يتكلم بكلام معجم عند غير اهله فينسبه السامع الى الجنون او
الجهل فان من لم يمارس احوال القوم لايفهم كلامهم اه المراد منه

(خاتمة) نسأل الله حسنها . ذكر صاحب الابريز عن شيخه عبد العزيز انه
سمعه يقول ان في كل مدينة من المدن عدداً كثيراً من الملائكة مثل السبعين ملكا
أو أقل أو أكثر يكونون موجودين عوناً لاهل التصرف من الاولياء فيما

لاتطيقه ذات الولي . قال رضي الله عنه وهؤلاء الملائكة الذين يكونون في المدن
صونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقاك على صورة خواجه ومنهم من يلقاك في
يكورة فقير ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير وهم منغمسون في الناس ولكن
الناس لايشعرون . وحكى لنا رضي الله عنه في هذا الباب حكايات فيها من الاسرار
مالا يكيف ولا يطاق وسبب ذكره رضي الله عنه لهذا الكلام انه سمعني أقول
لبعض من حضر انهم ذكروا ان من اخذ اسفرا من سيدي البخاري وذهب به الى ضريح
وليّ وفتحه وتوسل برجال سنده وبذلك الوليّ الى الله تعالى فان حاجته تقضى ولا
سيما ان كان هو السفر الاخير . ثم استفهمته رضي الله عنه عن صحة ما ذكر فقال
رضي الله عنه ان في كل مدينة عدداً من الملائكة فاذا راأوا العبد طلب من الله شيئاً فان
رأوا القدر سبق به سددوه وكانوا معه فيحضره التوفيق ويزول الشيطان من
الطريق وان رأوا خلاف ذلك تركوه فحضره الشيطان وحـ فاذا راوا من اخذ
سفراً من سيدي البخاري ذاهباً به الى ضريح وراوا حاجته مقضية سددوه والقوا
في قلبه الالحاح والتلهف على طلبته وذهبوا به الى الضريح هو حامل لجرم السفر وهم
حاملون لاسراره فاذا دعى أمنوا على دعائه فتقضى حاجته وان راوا الحاجة غير
مقضية اخذوا اسرار الكتاب وذهب هو بالجرم فقط ويعرض له الشيطان في
الطريق بالوسوسة وتشتيت الفكر حتى لا تبقى لهُ حلاوة في الدعاء فقلت فما
السر الزائد على جرم الكتاب الذي يأخذونه فقال رضي الله عنه فما السر الذي
امتاز به جرم العسل عن جرم القطران قلت الحلاوة قال وهي معنى زائد على
جرمه قلت نعم فقال كذلك كل كتاب فيه سر زائد عليه وكما ان العسل اذا زالت
حلاوته لاينفع في بابه كذلك الكتاب اذا اخذ سره . قال رضي الله عنه وكم من
ورقة وكاغد مكتوب فيه اسماؤه تعالى يوجد في الارض ساقطاً ويطأه الناس

بارجلهم ولولا ان الملائكة يأخذون اسرار تلك الاسماء لهلك جل الناس والحمد
لله على فضله ومنته والله اعلم

الباب الثالث

﴿ في السماع وما يتعلق به ﴾

اعلم ان السماع المعروف بين القوم لهُ أصل وهو ما روي ان الله تعالى لما
خاطب الذر في الميثاق الاول بقوله (ألست بربكم) استعذبت عذوبة ذلك
الكلام الارواح فهي كلما سمعت امراً مطرباً حركها ذلك الى السماع الاول وقد
تقدم ذلك عن الجنيد رضي الله عنه . قال سهل بن عبد الله معنى السماع علم
استأثر الله به لايعلمه الا هو والعبارة عنه قاصرة . وسئل ذو النون المصري عن
الصوت الحسن فقال مخاطبات واشارات اودعها الله في كل طيب وطيبة . وسئل
مرة اخرى عن السماع فقال هو وارد حق يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى
اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق قاله الامام الشعراني . وفي حاشية
استاذنا المحقق الامير على عبد الباقي ان السماع حقيقة ربانية ولطيفة روحانية تسري
الى الاسرار بلطائف التحف والانوار واما الانزعاج الذي يلحق المتواجد فمن
ضعفه عن تحمل الوارد ويستريح الى الصرخة والشهقة واكثر ما يكون ذلك لاهل
البدايات واما اهل النهايات فالغالب عليهم السكوت والثبوت لانشراح صدورهم
واتساع سرائرهم للوارد عليهم فهم في سكوتهم متحركون وفي ثبوتهم متقلبون كما قيل
لابي القاسم الجنيد مالنا لانراك تتحرك عند السماع فقال (وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب) اه . وكان سهل بن عبد الله التستري يسمع القرآن
والذكر وغير ذلك ولا يتغير فلما كان في آخر عمره صار يتواجد ويقول ضعفنا والله
عن التحمل وصار واردنا اقوى منا . وسئل الخواص عن الانسان يتحرك عند

سماع غير القرآن ويجد مالا يجد في سماع القرآن فقال لأن سماع القرآن صدمة لايمكن احد ان يتحرك فيه لشدة ثقله وغلبته وسماع القول ترويح للنفوس لاتكايف فيه . وكان ابو علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم مستحب لاصحابنا لحياة نفوسهم . وسئل الشبلي عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له سماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقالوا لا يصلح السماع الا لمن ذبح نفسه بسيوف المجاهدات واحيي قلبه بنور الموافقات وهو لاهل المعرفة غذاء لارواحهم وسئل ابو علي الروزباري عن السماع فقال ليتنا تخلص منه رأساً برأس . وكان ابو عثمان الحيري يقول السماع على ثلاثة اوجه فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الاحوال الشريفة ولكن يخشى عليهم من ذلك الفتنة والرياء . والثانى للصادقين يطلبون به الزيادة في احوالهم ويسمعون من ذلك مايوافق اوقاتهم . والثالث لاهل الاستقامة من العارفين وحركاتهم وسكونهم سواء عندهم . وقيل مرة للجنيد رضي الله عنه ما بال اصحابك يأكلون كثيراً فقال لانهم يجوعون كثيراً قيل له ما بالهم لاتهيجهم قوة شهوة فقال لانهم لم يذوقوا طعم الزنا ويأكلون الحلال قيل له فما لهم اذا سمعوا القرآن لا يطربون قال واي شيء فى القرآن يطرب فى الدنيا القرآن حق نزل من عند حق لا يليق بصفات الخلق عند كل حرف منه على الخلق واجب لايخرجهم منه الا الوفاء لله عز وجل به فاذا سمعوه فى الآخرة من قائله اطربهم قيل له فما بالهم يسمعون القصائد والاشعار والغناء فيطربون فقال لانها مما عملت ايديهم ولانه كلام المحبين قيل له فما بالهم محرومين من اموال الناس فقال لان الله تعالى لايرضى لهم مافي ايدي الناس لئلا يميلوا الى الخلق فيقطعوا عن الحق تعالى فافرد القصد منهم اليه اعتناء بهم . وكان رضي الله

عنه يقول اذا سمعت المريد يميل الى السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة . وقال ابن سراج مررت على قصر حسن على الدجلة فرأيت رجلاً بهي المنظر وبين يديه جارية تغني وتقول

في سبيل الله ود كان مني لك يبذل * كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل

فسمعها شاب عليه مرقعة تحت القصر فقال لها عيدي فاعادت فقال الشاب هذا والله صورة تلوني مع الحق ثم شهق شهقة خرجت روحه فكفناه ودفناه فقام صاحب القصر وقال اشهدكم ان كل شيء املكه في سبيل الله وكل مماليكي احرار ثم آتزر بازار وتردى برداء وخرج فلم يعرف له بعد ذلك خبر . وقال ابو سعيد الخراز رأيت علياً بن الموافق فى السماع وهو يقول اقيموني فاقاموه فقام وتواجد . وقام الدقي ليلة الى الصباح بهذا البيت والناس قيام يبكون

اردد وا فؤاد مكتئب * ليس له من حبيبه خلف

وكان عون بن عبد الله له جارية حسنة الصوت فكان يامرها بالغناء فتغني له بصوت حزين حتى تبكي القوم . وكان ابو سليمان الداراني يقول كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوي كما يداوى الصبي اذا ارادت امه ان تنومه . وكان يقول ايضاً الصوت الحسن لايدخل فى القلب شيئاً وانما يحرك ما كان كامناً في القلب افاده الامام الشعراني في بعض مؤلفاته كالطبقات وغيرها . واعلم ان مبحث السماع طويل الذيل وفيه خلاف منتشر بين العلماء قديماً وحديثاً والمشهور فيه بين اهل العلم حرمة الآلات للهو وقد وضحنا ذلك في رسالتنا (الزواجر القطعيه) اتم ايضاح . وقال بعضهم يكره السماع للآلة في عرس وغيره لكن استدل القرافي وغيره على حرمة الملاهي بحديث (كل لهو يلهو به المؤمن باطل الاملاعبة الرجل امرأته وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه) . وقال الفاكهاني لا اعلم في كتاب

الله آية صريحة ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً صريحاً في تحريم الملاهي وانما هي ظواهر وعمومات توهم الحرمة لا ادلة قطعية . وجوّز بعضهم سماع الآلات وممن اجاز سماعها مطلقا الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري قال وجميع ما فيها من احاديث التحريم موضوع لكن لم يوافق على ذلك كما في شيخ الاسلام على ألفية المصطلح . وجوز الماوردي من أئمة الشافعية سماع العود لتسلية الاحزان . وكان الاستاذ الشيخ محمد البكري رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود . وفي مفاتيح الكنوز وحل الرموز ما نصه (فصل اعلم انه تحتم هاهنا) ووجب ذكر السماع وما هو محظور وما هو مباح وما هو مستحب ومستحسن فان كثيراً من المتعمقين المتقشفين كرهوه وانكروه اصلا وفرعا وحقيقة وشرعا وهذا غلط منهم لان ذلك يقضي الى تخطئة كثير من اولياء الله وتفسيق كثير من العلماء اذ لا خلاف انهم سمعوا الغناء وتواجدوا وافضى بهم الى الصراخ والغشية والصعق فكيف ينسب اليهم نقص وهم سالكون اتم الاحوال وانما يحتاج ذلك الى تفصيل ونظر في اهل السماع واختلاف طبقاتهم فمن صح فهمه وحسن قصده وصقلت الرياضة مرآة قلبه وحلت نسمات العزيمة فضا سره فصفى من تصاعد اكدار ارض طبعه وبخار بشريته وخيالات وساوسته وعرى عن حظوظ الشهوات وتطهر من دنس الشبهات فلا نقول ان سماعه حرام وفعله ذلك خطأ . قال ابو طالب المكي رضي الله عنه ان طعنا على السماع فقد طعنا على سبعين صديقاً فان من المعلوم ان السماع مهيج ما في القلوب محرك ما فيها فلما كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله صافيه من كدر الشهوات محترقة بحب الله ليس فيها سوى الله فالشوق والوجد والهيجان كامن في قلوبهم كمون النار في الزناد فلا تظهر الا بمصادفة ما يشاكلها فمراد القوم فيما يسمعونه انما هو مصادفة ما في قلوبهم بضرم طروقه وقوة

سلطانه فتعجز القلوب عن الثبوت عند اصطلامه فتبعث الجوارح بالحركات والصرخات والصعقات لتوازن ما في القلوب فتراهم يهيجون من وجدهم وينطقون من حيث قصدهم ويتواجدن من كامنات سرائرهم لا من حيث مراد الشاعر وقول القائل ولا يلتفتون الى الالفاظ لان الفهم يسبق الى ما يتخيله الذهن وشاهده ما حكي ان ابا سليمان الصوفي سمع بياعاً ينادي ويقول سعتر بري فسقط وغشي عليه فلما افاق قيل له في ذلك قال سمعته يقول اسع ترى بري . وسمع بعض الشيوخ قائلا يقول الخيار عشرة بحبه فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيار عشرة بحبه فما قيمة الاشرار . ومر الشبلي بفقاعي فسمعه يقول ما بقي الا واحد فصاح وقال هل كان الا واحد . فالمحترق بحب الله لا تمنعه الالفاظ الكثيفة عن فهم المعاني اللطيفة" افاده المحقق الامير في حاشيته على عبد الباقي في مبحث الوليمة وفيها ايضاً عن صاحب مفاتيح الكنوز ان السماع ثلاثة اقسام حرام محض وهو لاكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليهم شهواتهم وتكدرت بواطنهم وفسدت مقاصدهم فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من صفاتهم المذمومة سيما في زماننا هذا وتكدر احوالنا وفساد اعمالنا . وقد روي عن الجنيد رضي الله عنه انه ترك السماع في آخر عمره فقيل له كنت تسمع افلا تسمع فقال مع من فقيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن فالسماع لا يحسن الا مع اهله من اهله فاذا انعدم اهله واندرس محله فيجب على العارف تركه . والقسم الثاني مباح وهو لمن لا حظ لهُ منه الا السرور بالصوت الحسن واستدعاء الفرح او يتذكر به غائبا او ميتاً فيتروح بما يسمعه . والقسم الثالث منه مندوب وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق اليه فلا يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق الى الله واستدعاء الاحوال الشريفة والمواهب الالهية . وقال ابو المواهب سيدي محمد

ابن احمد المالكي رضي الله عنه فى رسالته بعد كلام طويل قال الامام عز الدين بن
عبد السلام فى القواعد من كان عنده هوى من مباح كعشق زوجته وامته فسماعه
لا باس به ومن قال لا اجد في نفسي شيئا فالسماع في حقه ليس بمحرم . وقال
النهر وردي المنكر للسماع إما جاهل بالسنة والآثار وإما مفتر بما حرمه من احوال
الاخيار وإما جامد الطبع لاذوق له فيصر على الانكار . قال بعض العارفين
السماع لما سمع له كماء زمزم لما شرب له قال رسول صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ مانوى) واما الغناء المقارن للشبابة وهى القصبة المثقبة
التي قال فيها اصحاب الموسيقات انها آلة وافية بجميع النغمات فقد اختلف فيها العلماء
فذهبت طائفة الى التحريم وذهبت طائفة الى الاباحة وهو مذهب طائفة من
الشافعية واختاره الغزالي والرافعي والامام عز الدين بن عبد السلام وابن دقيق
العيد وابن جماعه . وقال الغزالي ان نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان
يضرب بها في غنمه وروى عن الصحابة الترخيص فى الراعي قالوا والشبابة تجري
الدمع وترقق القلب وتحث على السير وتجمع البهائم اذا سرحت ولم تزل اهل
الصلاح والمعارف والعلم يحضرون السماع بالشبابة وتجري على ايديهم الكرامات
الظاهرة وتحصل لهم الاحوال السنية ومرتكب المحرم لاسيما اذا اصر عليه يفسق
وقد صرح امام الحرمين وغيره من الائمة بامتناع جريان الكرامة على يد الفاسق
واما سماع الغنا بالاوتار وسائر المزامير .وأما العود المسمى بالطنبور ويقال ان
اول من صنعه مالك ابن آدم ابي البشر عليه الصلاة والسلام لما مات ولده فقد
اختلف العلماء فيه وفيما جرى مجراه من الآلات المعروفه ذوات الاوتار . والمشهوره
من المذاهب الاربعة ان الضرب به وسماعه حرام . وذهبت طائفة الى جواز
ونقلوا سماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء وبعض المحدثين . وذكر

الامام ابن عرفه في مختصره الفقهي عن ابراهيم بن سعدان إباحة الغناء بالعود .
ونقل الامام المازري المالكي عن عبد بن عبد الحكم انه مكروه . وحكي عن
الامام عز الدين بن عبد السلام انه مباح . واما الرقص فاختلف فيه الفقهاء فذهبت
طائفة منهم القفال الى الكراهة وذهبت طائفة الى الاباحة . قال صاحب العمدة
من الشافعية الغناء مباح اصله وكذا ضرب القصب والرقص وما اشبه ذلك قال
امام الحرمين الرقص ليس بمحرم فانه حركات على استقامة او اعوجاج ولكن
كثيره يحرم بالمرؤة . وقيد بعضهم كالحليمي والنووي إباحته اذا لم يكن بتثني
وتكسر كهيئة المخنث والامر فيه يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال والاماكن
وذهبت طائفة الى التفرقة بين ارباب الاحوال وغيرهم فيجوز لارباب الاحوال
ويكره لغيرهم وهذا القول هو المرتضى وعليه اكثر الفقهاء المسوغين لسماع الغناء
وهو مذهب الصوفيه رضي الله عنهم اجمعين . والمشهور عن الامام عز الدين
ابن عبد السلام انه كان يرقص فى السماع ذكره عنه غير واحد من الثقاة كالاسنوي
والسبكي وتاج الدين بن عطاء بل ذكر الاستاذ ابو المواهب انه ممن حضر السماع
بالدف والشبابه وانه سئل عن الآلات كلها فقال مباح . وحضر السماع بالدف
والشبابة الشيخ تاج الدين الغزاري وابن دقيق العيد ولما حضره بن دقيق العيد
والفقهاء والعدول حاضرون والفقراء يرقصون قيل له ماتقول في هذا الامر فقال
لم يرد حديث صحيح على عدم جوازه وهي مسئلة اجتهادية فمن اداه اجتهاده الى
التحريم قال به ومن اداه اجتهاده الى الجواز قال به . وحضر هذا السماع الذي
حضره الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد الاستاذ علي الكردي نفعنا الله به وحصل
للجماعة حال طيبة وغيبة عظيمه . وسأل الشيخ شهاب الدين الدشناوي الشيخ تقي
الدين وهو يومئذ قاضي القضاة ما تقول فى السماع قال هو مباح قلت بالشبابة

والدف قال اياه اعني وعدد الاستاذ ابو المواهب جماعة من الائمة حضروا ذلك منهم
ابن عبد السلام وابن هارون شارحاً ابن الحاجب . قال وسمعت من غير واحد
عن الشيخ الامام قاضي القضاة شمس الدين البساطي رحمة الله تعالى عليه انه كان
يرقص بالدفوف والشبابة واخبرني من شاهده وهو معتنق مع ولي الله الكبير
الشهير سيدي علي وفا رضي الله عنه يرقصان على الدف والشبابة وعمل سماعا بالشام
ايام وفود الناس بها وحضره كل عالم ومفت كان بها حتى قيل لو وقع عليهم سقفهم
لم يبق بها عالم ولا مفتي ومن له اتساع علي وذوق ومشروب ورقة طبع اكلام.
معنى السماع ومن حرم ذلك فهو محروم هالك وما يعقلها الا العالمون . هذادرك
الاستاذ ابى المواهب المالكي الشاذلي رضي الله عنه على ان الذاهبين للحرمة
اختلفوا فيها هل هي كبيرة او صغيرة والاصح الثاني وارتكاب الصغيرة لا يقدح
في الولاية واذا تكررت ورفعت الى الحكام لا يعذرون لانهم اولى من سترت
عورته واقيلت عثرته . قال الامام عز الدين بن عبد السلام من ارتكب امراً
فيه خلاف لا يعذر عليه لقوله صلى الله عليه وسلم (ادرؤا الحدود بالشبهات) . قال
الامام الشافعي رضي الله عنه لا يعذر على امر اختلف العلماء فيه واختلاف المذاهب
رحمة في هذه الامة . قال الامام ابن عبد السلام ان الله تبارك وتعالى لم يوجب
على احد ان يكون حنيفياً ولا مالكياً ولا شافعياً ولا حنبلياً والواجب عليهم اتباع
الكتاب المنزل والنبي المرسل ومن اقتدى بقول عالم فقد سقط عنه الملام والسلام
فلا تلتفت الى السفلة الاصاغر وما هم عليه من عصبية الانكار على الاولياء الكبار
حتى ان احدهم يصفه بالمقال ولم يدر حقيقة ماقال وما مثل هؤلاء في تنظفهم في
الغسل والوضوء ووقوعهم بالاغراض في الاعراض الاكما قال بعض الاكابر
ورع هؤلاء يسمى الورع الكلبي يرفع رجله عند البول ويرتع بفمه في الميتة ولم

نزل الاشراف مبتلين بالاطراف سنة الله فيمن تقدم فيمن تأخر . وذكر الاستاذ
الامير في الحاشية المذكورة بعد نحو ماقدمنا ان ممن كان يتواجد في السماع
ويقوم ويرقص العارف بالله تعالى السيد عبد الرحمن العيدروسي رضي الله عنه
وكان يقول السماع كالمطر اذا نزل على ارض طيبة انبت طيباً والذي خبث لايخرج
الا نكداً قد علم كل اناس مشربهم وربما قال بعد السماع سمعنا واطعنا . وكان يقول
يبلغ السماع عندنا الى حد الوجوب يعني كالتداوي والتواصل واتفق لي قديماً في
ابيات من قصيدة

علاني بذكره علاني * انا ان لم اكن اراه يراني
واطرباني في كل معنى فاني * بهواه اهوى الظبي والغواني
يا نديم الحداة غني وزدني * فكلانا يجيد ذوق المعاني
وتواجدوا اطرب ولاتخش لوماً * ان شرع الهوى يبيح المغاني
يا فقيه الزمان قل لي قل لي * عن صلاحي يا شيخنا تنهاني
انت مفتي فتوى بغير لزوم * فلما ذا بشدة تلحاني
خل فتواك يا فقيه لغيري * ان قلبي بضدها افتاني
افتي من يستفتيك ثم دعني * وهواي ولو يكون هواني
انا ادرى بما تقول ولو ذق * ت مذاقي سلمت لي كل شاني
خل ذا القول يانديم وزدني * من مثان خضتها بالمثاني

(تنبيهات) الاول . قد تقدم ان المشهور عند السادة الفقهاء من المذاهب
الاربعة حرمة الآلات ذوات الاوتار كالعود وسائر المزامير فيحرم ضربها وسماعها
واياهم تبعت وعلى مذهبهم عولت في الزواجر القطعية لغلبة الجهل والفساد وسد
الذرائع في هذه الازمنة التي ساءت فيها الاعمال وخبثت المقاصد وفسدت النيات

واتسع الخرق على الراقع وليس للمنكر منكر ولا رادع كما هو مشاهد . وأما ما ذكرته هنا من الجواز فقد جاريت به مذهب طائفة من الفقهاء وكثير من الصوفية كما سبق ضبطاً لاقوالهم وتبييناً لمراسيهم وحسن مقاصدهم وحفظاً لعهودهم ووقوفاً على حدودهم الا ان هذا لايناسب الا احوالهم وما كانوا عليه في ازمانهم من سلامة صدورهم وحسن مقاصدهم وجلا مرآي قلوبهم ونور بصائرهم فلا تؤثر فيهم هذه الآلات ولا غيرها شيئاً من المخالفات والعيان شاهد صدق على ماقلناه وقاضي حق على ماتلوناه فالسلامة والاحتياط والورع في هذا الزمان التنزه عن كل مالا يجوز من ذلك باتفاق الجميع فان السادة المجيزين لذلك لو عاينوا مايحصل في زماننا هذا من المفاسد لم يسعهم ان يقولوا الا بما قاله الائمة الفقهاء من المنع الا لمغلوب عليه في حب الله تعالى فالخلاف بين الفريقين لفظي على ان من الورع مراعاة الخلاف صوناً للدين والعرض والله الموفق (الثاني) نقل الاستاذ الشعراني عن الشيخ محيي الدين رضي الله عنه انه قال كل من قام للسماع عن غلبة فللجماعة ان يقوموا لقيامه وليس لهم ان يقوموا لمن بقيت فيه فضلة من الاحساس والشعور وحرام عليه هو القيام وهو عاص بذلك منافق لظهوره بصورة الصادقين لا بمعناهم الا ان يقوم متواجداً معترفا للجماعة بتواجده مقراً على نفسه بذلك يطالب به تحصيل الوجد فللجماعة ان يقوموا لقيامه فان مذهبهم المساعدة والموافقة وهو صادق في دعواه والاولى به وبكل قائم في السماع ان لا يقوم الا بحالة فناء وغلبة (الثالث) قال الشيخ محيي الدين ايضاً ومن شروط اصحاب القلوب والاحوال وهم الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال ان لا يقعد معهم في مجلس سماعهم ومذاكراتهم منكر ولا شيء من تعلقات منكر من نعل أو ثوب أو كوز لا قليل ولا كثير فان ذلك ظلمة لهم وتغيير لوقتهم وقد وجد ابو يزيد الاكبر في وقت حاله وحشة

فقال اني اجد في نفسي وحشة فاطلبوا عن ذلك ففتشوا فوجدا نعل رجل قد تبدل في المسجد مع صاحب من اصحاب ابي يزيد فطلبوا صاحب النعل حتى وجدوه فاذا هو من المنكرين عليهم (خاتمة) ينبغي للقوال ان يقف عن يمين الشيخ فمهما أشار عليه الشيخ بانشاده انشده الا ان يكون المنشد عالماً بما يحرك بواطن المريدين لارتباطه بالشيخ باطنا فله ان يقف حيث شاء ولا ينبغي ان ينشد في مجالس اهل الله الا الشعر الذي قصد به قائله ذكر الله بلسان التغزل أو غيره فانه من الكلام الذي اهل به لله فهو حلال قولا وسماعا وهو مما ذكر اسم الله عليه فافهم فعلم انه لاينبغي ان ينشد في حق الله شعراً قصد به قائله في أول وضعه غير الله ولو مدحاً فانه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قربة الى الله فان القول في الحدث حدث بلا شك والشعر في غير الله مما هو اهل لغير الله به والنية لها أثر في الاشياء والشاعر مانوى الا التغزل في محبوبه والمدح في من ليس له باهل نقله الامام الشعراني عن سيدي محيي الدين في الفتوحات . ثم قال الشعراني رضي الله عنه قالوا واذا سقطت عمامة الشيخ عن رأسه أو وضعها اختياراً لثقلها اولشدة حر ونحو ذلك فمن الادب الموافقة في ذلك فلهم ان يوافقوه بصدق وليحذر المريد ان يرمي بخرقته للقوال من غير ان يشير الشيخ عليه بذلك فانه ترك للادب واذا وقع من واحد من الفقراء خرقة أو عمامة فيستحب للنقيب رفعها عن مواقع الاقدام إكراماً لها وان كانت عمامة الشيخ رفعها وصار قائماً بها الى ان يطلبها الشيخ بالقرينة أو بالاشارة فيضعها على رأسه بعد ان يقبلها والله أعلم

الباب الرابع

﴿ في المحبة والشوق والعشق والجذب وما يتعلق بذلك وفيه اربعة فصول ﴾

الفصل الاول

في المحبة التي هي اصل لكل خير . إعلم ان المحبة هي ان تهيء بكلك لمن تحبه فلا يبقى لك
منك شيء لغيره وقيل ان تحب الله تعالى بكليتك فلا يبقى شيء لغيره قاله الاستاذ ابو الفضل
ابن الحميد رضي الله عنه وقال بعضهم المحبة هي ميل الطبع البشري الى الشيء لكونه لذيذاً
ومحبة السالكين ميل قلوبهم الى جمال الحضرة الالهية وقال ابو الحسن سمنون بن حمزة
الخواص رضي الله عنه لا يعبر عن شيء الا بما هو ارق منه ولا شيء ارق من المحبة فبم يعبر
عنها . وقال سيدي علي وفا نفعنا الله به قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
المحبة قطب والخيرات كلها دائرة عليها قاله في لواقح الانوار . وقال سيدي ابو
الفضل المتقدم ذكره ولا تحصل حقيقة المحبة الا بعد سلامة القلب من جميع
كدورات النفس فاذا استقرت محبة الله في القلب خرجت محبة غيره لان المحبة
صفة محرقة تحرق غير جنسها كما قيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى المحبوب

لقد لسعت حية الهوى كبدي * فلا طبيب لها ولا راقي
الا الحبيب الذي شغفت به * فعنده رقيتي وترياقي

قال الجنيد قدس الله روحه المحبة دخول صفة المحبوب على البدل من صفات
المحب وقيل علامة المحبة قطع شهوات الدنيا ومراداتها (شعر)

كانت لقلبي اهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك النفس اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

وانشدت رابعة العدوية قدس الله سرها

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * وابحت جسمي من اراد جلاسي
فالجسم مني للجليس مؤانسي * وحبيب قلبي في الفؤاد اناسي

وقال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه صبر المحبين اشد من صبر الزاهدين وعجبت
كيف يدعي احد محبة الله من غير اجتناب محارمه . وعن بعض الصالحين رحمه
الله من ادعى محبة الله من غير اجتناب محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من
غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى نجاة من النار ولم ينته عن الذنوب فهو كذاب
ومن ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حب الفقراء فهو كذاب
قالت رابعة العدوية قدس الله سرها

تعصى الآله وانت تظهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك خالصاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وقيل ظاهر المحبة طلب رضى المحبوب وباطنها اعطاء القلب الى المحبوب بحيث
لا يبقى فيه بقية لغيره

احبك لا ارجو بذلك جنة * ولا اتقي ناراً وانت مراد
اذا كنت لي مولى فاية جنة * واية ناراً تتقى وتراد

انتهى كلام ابو الفضل رضي الله عنه . وقال الحسن البصري رضي الله عنه المحب
سكران لا يفيق الا عند مشاهدة محبوبه . وكان يقول شر الناس للميت اهله
يبكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه . وكان يقول اذا اراد الله بعبد خيراً امات
عياله وخلاه للعبادة . وكان يقول الطمع يشين العالم وكان رضي الله عنه يقول ذم
الرجل نفسه في العلانية مدح لها قاله في لواقح الانوار وكان الشبلي المالكي رضي
الله عنه يقول المحب اذا لم يكن يتكلم هلك والعارف اذا تكلم هلك وكان يقول
العارف اذا تكلم اهلك غيره واذا سكت اهلك نفسه فنجاة نفسه اولى وكان
رضي الله عنه يقول قيل لمجنون ليلى بني عامر اتحب ليلى قال لا قيل ولم قال لان
المحبة ذريعة للوصلة وقد سقطت الذريعة فليلى انا وانا ليلى وكان الشبلي رضي

الله عنه اذا دخل عليه فقير يقول له أعندك خبر أو عندك أثر ثم ينشد

أسائل عن ليلى فهل من مخبر * يخبرنا علما بها اين تنزل

وكان يقول من طلب الحق بالمجاهدات فهو بعيد عن وصوله الى مطلوبه ومن طلبه به تعالى وصل اليه ثم انشد

ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يجتمعان
هي شامية اذا ما استهلت * وسهيل اذا استهل يماني

وقيل له مرة كيف الدنيا فقال قدر يغلي وكنيف يملى . وكان يقول في مناجاته احبك الخلق لنعمائك وانا احبك لبلائك . وكان رضي الله عنه يقول رفع الله قدر الوسائط بعلو هممهم فلو اجرى على الاولياء ذرة مما كشف للانبياء عليهم الصلاة والسلام لبطلوا وانقطعوا واخر مرة العصر حتى دنت الشمس الى الغروب فقام وصلى وانشد مداعياً وهو يضحك ويقول ما أحسن ما قال بعضهم

نسيت اليوم من عشقي صلاتي * فلا ادري عشائي من غداتي

وكان يقول كل صديق لا يكون له معجزة فهو كذاب فلما دخل البيمارستان دخل الوزير فقال اين قولك كل صديق بلا معجزة فهو كذاب فاين معجزتك انت فقال معجزتي موافقة الله تعالى في اوامره ونواهيه . وكان ابو على الحسين ابن احمد الكاتب رضي الله عنه يقول روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم وان اخفوها وتدل عليهم وان ستروها . وكان يقول ان الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره فان فرح به وشكره آنسه بقربه وان قصر فى الشكر اجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته . وكان ابو عبد الله احمد بن عطاء رضي الله عنه يقول اهل الغيبة اذا شربوا طاشوا واهل الحضور اذا شربوا عاشوا . وكان رضي الله عنه يقول من خدم الاولياء بلا أدب هلك . وكان يقول ليس كل من

يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة وليس كل من يصلح للمؤانسة يؤتمن على الاسرار فانه لا يؤتمن على الاسرار الا الامناء والسلام . وكان ابو محمد عبد الله بن محمد الراسبي رضي الله عنه يقول المحبة اذا ظهرت افتضح بها المحب واذا كتمت قتلت المحب . وكان رضي الله عنه يقول اذا امتحن القلب بالتقوى ترحل عنه حب الدنيا وحب الشهوات واطلع على المغيبات ومن لم يمتحن قلبه بالتقوى لا يبرح عن حب الدنيا ولم يزل محجوباً عن المغيبات . قال الشيخ رضي الله عنه قلت ولذلك استعمل النصابون الرياضات لاستخدام الجان ليخبروهم بالمغيبات حين عدموا الصدق فى الزهد فى الدنيا فاخطؤا ومقتوا نسأل الله السلامة لنا ولاخواننا المسلمين فيما بقي من العمر انه سميع مجيب . وكان الشيخ عزاز بن مستودع البطائحي رضي الله عنه يقول اذا مازجت المحبة الارواح طارت واذا خالطت العقول ادهشت واذا لابست الافكار حارت . وكان الشيخ منصور البطائحي خال احمد بن الرفاعي رضي الله عنهما يقول سمعت خالي رضي الله عنه يقول المحب لم يزل سكرانا في خماره حيرانا في شرابه لا يخرج من سكره الى حيرة ولا من حيرة الى سكرة وقال العالم الرباني الحسين بن منصور الحلاج رضي الله عنه من اسكرته انوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد بل من اسكرته انوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد لان السكران هو الذي ينطق بكل مكنون وسئل رضي الله عنه عن التصوف وهو مصلوب فقال أهونه ماترى وكان يقول لا يجوز لمن يرى غير الله اويذكر غير الله ان يقول عرفت الله الاحد الذي ظهرت منه الآحاد وسئل عن الصوفي فقال هو وحداني الذات لا يقبله احد وهو المشير عن الله تعالى والى الله وسئل عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال بدى لموسى من الحق باد فلم يبق لموسى ثم أثر فني عن موسى ولم يكن لموسى خبر عن موسى ثم كلم فقال المكلم هو المتكلم

بحصول موسى في حال الجمع وفنائه عنه ومتى كان موسى يطيق حمل الخطاب او يأباه ولكن بالله قام وبه سمع وقال ابو العباس الرازي كان اخي خادماً للحسين بن منصور قال فسمعته يقول لما كانت الليلة التي وعد من الغد بقتله قلت ياسيدي اوصني قال عليك بنفسك ان لم تشغلها شغلتك فلما كان من الغد واخرج للقتل قال حسب الواحد افراد الواحد له ثم خرج يتبختر في قيده ويقول

نديمي غير منسوب * الى شئ من الحيف * سقاني مثل مايشرب
كفعل الضيف للضيف * فلما دارت الكاسات * دعى بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح * مع التنين بالصيف

ثم قال (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق) ثم مانطق بعد ذلك بشئ حتى فعل به مافعل وقتل في خلافة جعفر بن المعتضد وقطعت يداه ورجلاه اولا ثم رأسه وأحرق بالنار رحمه الله وقال بن خلكان واما سبب قتله فلم يكن عن امر موجب للقتل انما عمل عليه الوزير حين احضره الى مجالس الحكم مرات ولم يظهر منه ما يخالف الشريعة فقال لجماعة هل له مصنفات فقالوا نعم فذكروا انهم وجدوا له كتاباً فيه ان الانسان اذا عجز عن الحج فليعمد الى غرفة من بيته فيطهرها ويطيبها ويطوف بها ويكون كمن حج البيت والله اعلم ان كان هذا القول عنه صحيحاً فطالبه القاضي فقال هذا الكتاب تصنيفك فقال نعم فقال له اخذته عن من فقال عن الحسن البصري ولا يعلم الحلاج ما دسوه عليه فقال له القاضي كذبت يامراق الدم ليس في كتب الحسن البصري شئ من ذلك فلما قال القاضي له يامراق الدم مسك الوزير هذه الكلمة على القاضي قال هذا فرع عن حكمك بكفره وقال للقاضي اكتب خطك بالتكفير فامتنع القاضي فالزمه الوزير بذلك فكتب فقامت العامة على الوزير فخاف الوزير على نفسه فكلم الخليفة بذلك

فامر بالحلاج وضرب الف سوط فلم يتأوه وقطعت يداه ورجلاه وصلب ثم احرق بالنار ووقع الاختلاف فيه بين الناس اهو الذي صلب ام رفع كما وقع في عيسى عليه الصلاة والسلام اه من لواقح الانوار . وكان ابو اسحاق ابراهيم بن احمد ابن المولد رحمه الله تعالى يقول خلقت الارواح في الافراح فهي تعلو ابداً الى محل الفرح من المشاهدة وخلقت الاجساد من الاكاد فهي لا تزال ترجع الى كمدها من طلب الشهوات الفانيه والاهتمام بها . وكان يقول من قال به افناه عنه ومن قال منه ابقاه له ثم انشد

لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن انفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جاري

وقال سيدي عبد الرحمن الطفسونجي رضي الله عنه المراقبة لعبد راقب الحق بالحق وتابع المصطفى صلى الله عليه وسلم في افعاله واخلاقه وآدابه والله عز وجل قد خص احبابه وخاصته بان لا يكلهم في شئ من احوالهم الى نفوسهم ولا الى غيره فهم يراقبون الله تعالى ويسألونه ان يرعاهم فيها والمراقبة تقتضى حال القرب والله عز وجل قرب القلوب اليه بما هو قريب منها فهو يقرب من قلوب عباده على حسب مايراه من قرب قلوب عباده منه فانظر بماذا يقرب من قلبك وحال القرب يقتضى حال المحبة وهي تتولد من نظر القلب الى الله عز وجل وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته فطوبى لمن شرب كأساً من محبته وذاق نعيما من مناجاته فامتلأ قلبه منه حباً فطار بالله طرباً وهام به اشتياقاً ليس له سكنى ولا مألوف سواه فهو محب خرج من رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن هو بالمحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محباً بلا علة والمحبة تقتضى الذكر فلا يزال المحب يذكر ربه ويدخل الخلل

في ذكره لنفسه حتى يصير الغالب عليه ذكر ربه وصار كالغافل عن نفسه ثم يغفل عن زهو له عن نفسه وينسى باستيلاء ذكر ربه عليه جميع الاحساس فيقال اندرج في رؤية مذكوره ويقال فنى عن نفسه ويقال فنى بربه ويقال فنى عن فنائه اي غفل عن ذكر غفلته عن نفسه باستيلاء ذكر ربه عليه وصار ليس يشهد غيره وهاهنا يكون مصطلماً عن مشاهده مختطفاً عن نفسه ممحو عن جملته فانياً عن كله وما دام هذا الوصف باقياً فلا تميز ولا إخلاص ولا صدق وهذا جمع الجمع وعين الوجود وهذا هو الوصف بنوع ستر لينوز بحق الشرع والمغاليط كثيرة والمحفوظ من رجع الى اداء احكام الشريعة . وكان رضى الله عنه يقول من اشتغل بطلب الدنيا ابتلى بالذل فيها ومن تعامى عن نقائص نفسه طغى وبغى ومن تزين بباطل فهو مغرور . وكان يقول لايضر مع التواضع بطالة اذا قام بالواجبات والسنن ولا ينتج مع الكبر عمل مندوب ولا علم مطلوب. وكان يقول اذا اقامك ثبت واذا قمت بنفسك سقطت . وكان الشيخ حياة بن قيس الحراني رضى الله عنه يقول المحبة سمة المعرفة وعنوان الطريقة يتوصلون بها الى لقاء المحبوب . وكان رضى الله عنه يقول من احب ان يرى خوف الله تعالى في قلبه ويكاشف باحوال الصديقين فلا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة أو فريضة وما حرم من محروم عن الوصول ومشاهدة الملكوت الا بشيئين سوء الطعمة واذى الخلق . وكان رضي الله عنه يقول تعرض لرقة القلب بمجالسة اهل الذكر واستجلب نور القلب بدوام الجد . وكان رضى الله عنه يقول اجعل الزهد عبادتك واحذر ان تجعله حرفتك اه من لواقح الانوار والله اعلم

الفصل الثاني

في الشوق والعشق وما يتعلق بهما . اما الشوق فهو نتيجة المحبة لانها اذا

استقرت ظهر الشوق . وانكر جماعة مقام الشوق لانه الى الغائب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق . وقال الانطاكي قدس الله سره يشتاق الى الغائب ومتى غبت عنه منذ وجدته . وقال النصراباذي للخلق مقام الاشتياق لان من دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا اقرار

هام الفؤاد بذكر الله وانسحبت * عليه اذيال هذا الوجد مذ سبقا
ان الفؤاد من الهيام في شغل * لا يقتضي ذاته شغلاً ولا رفقاً

انتهى من رسالة سيدي ابو الفضل محمد بن الحميد رضي الله عنه . وقال بعضهم الشوق هو اهتياج القلوب الى لقاء المحبوب . وقال سيدي الشيخ ابو محمد ماجد الكردي رضي الله عنه قلوب المشتاقين منورة بنور الله عز وجل واذا تحرك فيها الاشتياق اضاء نوره ما بين السماء والارض فيباهي الله بهم الملائكة ويقول اشهدكم اني اليهم اشوق . وكان رضي الله عنه يقول من اشتاق الى ربه أنس ومن انس طرب ومن طرب قرب ومن قرب سار ومن سار حار ومن حار طار ومن طار قرت عيناه بالاقتراب . وكان رضي الله عنه يقول الزاهد يعالج الصبر والمشتاق يعالج الشكر والواصل يعالج الولاية . وكان رضي الله عنه يقول الشوق نار الله تضرم في قلوب الاحباب ولا تهدوا الا بلقائه والنظر اليه . وكان رضي الله عنه يقول نار الهيبة تذيب القلوب ونار المحبة تذيب الارواح ونار الشوق تذيب النفوس . وكان يقول الصمت عبادة من غير عناء وزينة من غير حلي وهيبة من غير سلطان وحصن من غير سور وراحة للكاتبين وغنية عن الاعتذار . وكان يقول السكر من مقامات المحبين خاصة فان عيون الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه . وكان يقول للسكر ثلاث علامات الضيق عن الاشتغال بالسوى والتعظيم قائم واقتحام لجة الشوق والتمكين دائم ومن كانت سكرته بالهوى كان صحوه الى ضلالة . وجاء رجل يودعه وهو يريد الحج على قدم التجريد والوحدة ولا يستصحب زاداً

ولا احداً فاخرج له الشيخ ماجد ركوته واعطاها له وقال انك تجد فيها ماء ان اردت
الوضوء ولبناً ان عطشت وسويقاً ان جعت فكان الرجل في طول سفره من
جبل حمرين بالعراق الى مكة وفي مدة اقامته في الحجاز وفي رجوعه من الحجاز
الى العراق اذا اراد الوضوء توضأ منها ماء مالحاً واذا اراد الشرب شرب منها ماء
حلواً واذا اراد الغذاء شرب لبناً وعسلا وسويقاً احلى من السكر رضي الله عنه
وكان سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول من الاولياء من يسكر بشهود
الكاس ولم يذق بعد ذلك شيئاً فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الري . واعلم
ان الري قلّ من يفهم المراد به فانهُ مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق
بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال
واما الشرب فانه سقيا القلب والاوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر .
واما الكاس فهو معرفة الحق التي يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المخلص
الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين فتارة يشهد الشارب تلك الكاس صورة
وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها علمية فالصورة حظ الابدان والانفس
والمعنوية حظ القلوب والعقول والعلمية حظ الارواح والاسرار فياله من شراب
ما اعذبه فطوبى لمن شرب منه ودام واطال في معنى ذلك . وكان رضي الله عنه
يقول من اقبل على الخلق الاقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال سقط من
عين الله تعالى فاحذر وهذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير وقنعوا بالشهرة
اوتقبيل اليد فاعتصموا بالله يهدكم الله الى الطريق المستقيم . وكان يقول من الشهوة
الخفية للولي ارادته النصرة على من ظلمه وقال تعالى للمعصوم الاكبر (فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل) اي فان الله تعالى قد لايشاء اهلاكهم . وكان
يقول كل اسم تستدعي به نعمة او تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن
التوحيد بالصفات وهذا لاهل المراتب والمقامات واما عوام المؤمنين فهم عن

ذلك معزولون والى حدودهم يرجعون ومن اجورهم من الله لا يخسون . وكان
يقول إياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة فان من تعدى حدود الله فهو
الظالم والظالم لايكون اماماً ومن ترك المعاصي وصبر على ما ابتلاه الله به وايقن بوعد
الله ووعيده فهو الامام وان قلت اتباعه وكان يقول لا اجر لمن اخذ الاجر والرشا
على الصلاة والصيام وتنعم بمطامح تلك الابصار عند اطراق الرؤس والاشتغال
بالاذكار وجناية هؤلاء بالاضافات ورؤية الطاعات اكثر من جناياتهم بالمعاصي
وكثرة المخالفات وحسبهم مايظهر عليهم من الطاعات وإجابة الدعوات والمسارعة
الى الخيرات ومن ابغض الخلق الى الله تعالى من تملق اليه في الاسحار بالطاعات
ليطالب مسرته بذلك قال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين الا لله الدين الخالص
انتهى من لواقح الانوار . واما العشق فهو غاية المحبة فالمحبة صفة عامة والعشق
صفة خاصة ومحله سويدأ القلب والمحبة قد تكون كسبية والعشق لا يكون الا
موهباً وعلامة العشق ان لايبالي بتركه نفسه لاجله كما قال منصور الحلاج

اقتلوني يا ثقاتي * ان في قتلي حياتي * وحياتي في مماتي * ومماتي في حياتي

قال سيدي ابو الفضل محمد بن الحميد في رسالته المسماة (بتحفة السفرة الى حضرة
البررة) ومما يناسب ما أسلفناه في هذه المباحث قول صاحب الروض الانيق
سيدي عز الدين ابن عبد السلام ابن الشيخ شهاب الدين احمد ابن الشيخ غانم
المقدسي رضي الله عنه

جرى ذكر المدام لنا فاجرى * الى من كان معنا كل معنى
الا فاعجب لخمر قد سكرنا * بذكراها فكيف اذا شربنا
فنحن من السماع كما ترانا * فيالله كيف اذا طربنا
وخاطبنا مدير الراح جهراً * فطاب لنا الخطاب لهُ وطبنا
وابدى حسنهُ تجلى علينا * جمالاً لا نحدّ لمن تمعنا

غداً يا معشر العشاق يعطي * حليف الشوق منا ما تمنى
ونشهده ونظره عياناً * ونظفر بالوصال كما وعدنا
فطوبى ثم طوبى ثم طوبى * لمن بجمال مولاه تهنى
نغيب من الوجود بما وجدنا * ونطرب في الشهود اذا شهدنا
وحيث يكون ساقي الكاس كنا * وحيث يدور في الحانات درنا
ولما ان خلعنا وانخلعنا * فظن الغمر انا قد جننا
كأنا مذ شربناها ونمت * اشعتها على من كان منا
رفات ينفخ الارواح فيها * فعدنا بعد موتتنا نشرنا
مداماً قد رضعناها قديماً * وعادت بالرضاع لنا وعدنا
ومن حجبته حجب العجب عنا * فانا عن سناها ما حجبنا

وقوله ايضاً من قصيدة اخرى

قوم سكارى بلا خمر كأنهم * من ماء صفوة خمر العشق قد خلقوا
اهل الدعاوي بحار الحب قد جمعوا * لكنهم في مقام الحب قد غرقوا
ما مدرك السر والعرفان مكتسب * ولا صحيح حديث العشق مختلق
كم مقلة لمليح الحي ناظرة * والقلب يدرك ما لا يدرك الحدق
في الناس قوم بعرفان الهوى سعدوا * وفيه قوم على حكم القضاء شقوا
دع الهوى لاناس فيه قد ركبوا * مراكب العزم لا يلويهم العلق
تجردوا عن جميع الكون وانفردوا * وطلقوا عائق الاسباب وانطلقوا
تخلقوا فيه اخلاق الكرام فلا * يضرهم في هواهم ملبس خلق
ان ايسروا شكروا او اعسروا صبروا * أو عاهدوا حفظوا أو واعدوا صدقوا

انتهى والله اعلم

الفصل الثالث

في الوجد وما يتعلق به . إعلم ان الوجد يسقط التمييز ويجعل الاماكن مكاناً واحداً

والاعيان عيناً واحداً واوله رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومجاذبة السر وإيناس العبد وشرط صحة الوجد انقطاع البشرية عن التعلق بمعنى الوجد حال وجوده ومن لا فقد له لا وجد له واهله على مقامين ناظر ومنظور اليه فالناظر مخاطب يشاهد الذي وجده والمنظور اليه مغيب قد اختطفه الحق بأول وارد ورد عليه قاله الشيخ ابو محمد القاسم بن عبد الله البصري كما في لواقح الانوار . وقال ايضاً الوجد جحود مالم يكن عن شهود . وكان رضي الله عنه يقول ارواح الواجدين عطرة لطيفة وكلامهم يحيي موات القلوب ويزيد في العقول . وكان رضي الله عنه يقول الوجود نهاية الوجد لان التواجد يوجب استعباد العبد والوجد يوجب استغراق العبد والوجوب يوجب استهلاك العبد وترتيب هذا الامر حضور ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمول فبمقدار الوجد يحصل الخمول وصاحب الوجود له صحو ومحو فحال صحوه بقاؤه بالحق وحال محوه فناؤه بالحق وهاتان الحالتان متعاقبتان عليه ابداً . وكان رضي الله عنه يقول الوجود اسم لثلاث معان الاول وجود علم يقطع به علم الشواهد في صحة مكاشفة الحق اياك الثاني وجود الحق وجوداً غير منقطع عن مساغ الاشارة الثالث وجود مقام اضمحلال رسم الوجود بالاستغراق في الاولية فاذا كوشف العبد بوصف الجمال سكر القلب فطرب الروح وهام السر . وكان رضي الله عنه يقول الصحو انما هو بالحق فاذا كان بغير الحق فلا يخلو من حيرة يعني حيرة في مشاهدة نور العزة لا حيرة شبهة . وكان رضي الله عنه يقول ترك الاحوال قبل وجود الله تعالى محال وطلب الاحوال بعد وجود الله تعالى محال وقال سيدي الشيخ ابو بكر بن هوار رضي الله عنه التصوف ذكر باجتماع ووجد باستماع وتحمل باتباع انتهى من لواقح الانوار . وفي الروض الانيق والوعظ الرشيق تقسيم الوجد واهله الى ثلاثة اقسام . قسم منه من يكثر بكاؤه ويرتفع صياحه

ويشتد منه اضطرابه ويتقد التهابه وانما يكون ذلك من الاسف على مافاتهم من المطلوب وحبسهم عن المحبوب ومن انه يرى الواجدمنهم بمطالعة القلوب ومكاشفات الغيوب ما لم يجر في طور عاداته ويسمع ما لم يكن يسمع من مسموعاته ومالوفاته مما ورد على سمع قلبه وبصر بصيرته من مخاطبات الحق ومناجاته وعجائب وارداته في منازلاته فاذا ورد عليه ما ليس له بعهد ازعجه ذلك وادهشه فيظهر منه ماترى من الصعق والخشية والبكاء والصراخ والنواح وذلك لاهل البدايات لا التمكين والخصوص وقال في المعني (شعرا)

سماعنا لا يروق الا * لمسمع يستمع اعتبارا * ليس به للسماع وقر
لكنهُ قد ملى وقارا * اسدي اليه السميع سرا * اسكره سره جهارا
فهام وجدا وليس عار * عليه ان يخلع العذارا * من صح معني وصاح وجدا
وزاد ربحا فلا يحارا * من طارشوقاوطاب ذوقا * لاغروان مزق اشتهارا
قم ياحليف الغرام واسمع * مافيه كل الورى حيارا * فثم معني لمن تمعنى
به اضاء القلب واستنارا * بصر به العارفون لما * ذلوا لمولاهم افتقارا
دعاهم الشوق فاستجابوا * ومذ اجابوا غدوا اسارى * غيبهم بالحضور عنهم
فهم به دائما سكارى * واما القسم الثاني من الواجدين فهم اهل التمكين الذين قربوا من الحق وآمنوا به فصار الفهم لهم عند غذاهم والانس به حياتهم ومجالسته ومخاطبته روحهم وراحاتهم قد فتح لهم الباب ورفع ما بينه وبينهم من الحجاب فاطمانت قلوبهم بذكره وآنست سرائرهم بمشاهدته وانشرحت صدورهم بضياء نوره واتسعت قلوبهم لمحاسن اسرار معرفته فاذا ورد عليهم وارد من خزائن مواهبه صفوا وهدوا جوارحهم لمناجاته واقبلوا بالقلوب عليه واصغوا بالاستماع اليه مع شدة الحياء ووجود الهيبة وغلبة التعظيم فهو خمود تحت طوارق عظمته وجنود عند سلطان توحيده وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر

السحاب وقال فى المعنى (شعراً)

حديث لا يروق لغير عاشق * وعرف لا يفوح لغير ناسق
وخمر لا ينال الشرب منها * محب غير مقطوع العلائق
فدونك هذه خمرٌ حلال * عليها اجمعوا اهل الحقائق
مدامٌ بين حانتها قديم * كؤستها اللطائف والرقائق
علامة ذوقها ظرف ولطف * شواهدهُ كريمات الخلائق
تبدت وهي محكمة بمعنى * خفي الوصف مشتبه الطرائق
فقف يا مدعي عرفان رمزي * فمعناهُ لذي العرفان فائق
وذق ذوق الرجال فليس يحلو * لذواق ولا يعلو لناشق
وان تك قدجهلت غريب علمي * فجهلك بالمعاني غير لائق

وأما القسم الثالث من الواجدين فهم اهل الخصوص فأولئك مقامهم مقام الدهشة والبهتة والسكتة والحيرة والشهود قد نزلوا عرصة التعظيم فبهتوا ووقعوا في واد الشهود فدهشوا فهم باهتون حيارى ساكتون سكارى بانوا عن الاشياء بلا بون وكانوا فيها بلا كون قد وردوا عين القرب وشربوا كاس الحب فسكروا بما شربوا وطربوا حين قربوا فهم معه بلاهم قد حال بينهم وبين انفسهم وغيبهم عنهم ماشهدوه فهم واجدون فاقدون غائبون شاهدون رضي الله عنهم وقال في المعنى

يا من تعزز في علاهُ * عن المشابه والمماثل * انت الذي لا في الحمى
تحمي ولا فى الشعب نازل * لازلت فى السر المصو * ن ولا الحصون ولا المنازل
انت الذي في وصفك احتا * ر الاواخر والاوائل * واذا طلبت فحيثما
طلبوك يامولاي حاصل * واذا بعدت فليس تد * نيك الرحال ولا المراحل
الكل فيك تحيروا * وعليك حال الكل حائل * عرفوا وماعرفوا سوى
رسم الشواهد والدلائل * علموا وكل في الحقيـ * ـقة ياعلي الوصف جاهل

نظروا وقد ادهشتهم * حسناً فكل فيك ذاهل   وقال ابو سعيد الخراز رحمه
الله انه ليحكم على الوقت احيانا فاقول يارب يا الله فاجد ذلك اثقل عليّ من الجبل
فقيل ولم ذلك فقال لان الدعاء في مشهد القرب نداء من وراء الحجب وهل جليس
ينادي جليسه وانما هي اشارات وملاحظات والعبد مأمور بها مستعد لها مثاب
عليها وسئل ابو سعيد ايضاً عن الولاية فقال اذا أراد الله ان يوالي عبده فتح عليه
باب قربه ثم رفعه الى مجالس انسه ثم ادخله دار الفردانية ثم كشف لهُ عن الجلال
فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى هو بلا هو فعند ذلك يصير العبد فانيا قد وقع
في كلائة الله وحفظه وبرئ من دواعي نفسه اه منه ببعض اختصار . وقال رضي
الله عنه بعد كلام طويل المواجيد ثمرات صفاء الاعمال والاعمال ثمرات العلوم فالعلوم
شجرة الاعمال ثمرتها والاحوال شجرة المواجيد والموارد ثمرتها قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم (من عمل بما علم اورثه الله علم مالم يعلم) فمن اوجده الله شيئاً من لطائف
حكمته واورد عليه من موارد كرمه انما اوجده بعد صدقه في علمه واخلاصه في
عمله وصفائه فى حاله قال الله تعالى (ووجدوا ماعملوا حاضراً) فما وجدوه حتى عملوا
وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فكيف يصح الوجد مع فقد اسبابه وكيف
يدخل الى البيت من غير بابه . الوجد له اسبابٌ واليه ابواب وعليه حدود وله
شروط وله زمان ومكان واخوان فاما اسبابه فالعلم والعمل فيحتاج الى عمل بلا
فترة وعلم بلا غفلة واما ابوابه فالصفا والوفا فيحتاج صفا بلا جفوة ووفا بلا هفوة
واما حدوده فصحوٌ بلا سكر وحضوره بلا غيبة ومعرفة بلا نكرة واما شروطه
فقيام بلا سهو وحركة بلا كسل وأدب بلا لهو وانصات بلا لغو واما زمانه
فوقت بلا مقت وساعة بلا اضاعة واما مكانه فمجلس خال من الاهوى عار من
الدعوى عامر بالتقوى واما اخوانه فاخوان ليس فيهم خوان وندمانه ليس فيهم
ندمان فاذا أتيت باسبابه ودخلت اليه من بابه واتيت بشروطه ووقفت عند حدوده

وحصلت في زمانه ومكانه واخوانه فلا جناح عليك فاذا طبت سماعا وتواجدت
استماعا وتمايلت انخلاعا وكشفت بين ندمائك قناعا واما اذا تواجدت من قبل ان
نظرت وتساكرت من قبل ان شربت فوجدانك على الحقيقة فقدان وتساكرك
عند اهل الشريعة زور وبهتان واطال في ذلك رضي الله عنه الى ان قال فالمتواجد
متعرض لاقتباس ما لاح له ثم راح عنه فهو يتوقع لموعه ويرتجي رجوعه والواجد
حاضراً في وجده واجداً في فقده فقد قلبه فوجد ربه فحركته فرح بوجوده وقيامه
طرب بشهوده . وصاحب الوجود في حضرة الشهود لايرى في الحضرة غير
مشهوده ولايجد في الوجود غير موجوده ولا في الكون غير مكونه وجده مولاه
ففقد ما سواه فهو غائب في حضرته حاضر في غيبته صاح في سكرته سكران في
صحوته فان في بقائه باق في فنائه اسطلمه الوجد بسطواته وقهره الوارد بصدماته
طفح عليه السكر بغليانه تارة يرد عليه من موارد الجمال فينعشه وتارة يطلع له من
مطالع الجلال فيدهشه وتارة يبدوله في رداء الكمال فيفنيه وتارة يتجلى له في حلل
الافضال فيبقيه الى اخر ما قال رضى الله عنه ثم ذكر بعد ذلك علامات الوجد
الصحيح عند العارفين فقال نفعنا الله به ثم من علامات الوجد الصحيح سريانه فى
قلوب حاضريه وصفاؤه في عيون ناظريه فيجد جليسه حلاوة وجده ويصل الى
مسام نديمه طيب حركته فيطيب بطيبه من حضر ويتواجد بوجده من نظر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح كمثل العطار ان لم يصيبك
من عطره اصابك من طيبه) لان الوجد الصحيح نور يلمع في سر من يسمع ثم
تسرى اشعة ذلك النور في قلب الواجد فيلتهب القلب التهاب النار في الحطب فيظهر
التهابها من زفرات الواجد والتماسه فيصل الى من يحازيه من جلسائه فيلتهبون بالتهابه
ويحترقون باحتراقه ثم لابد للوجد من شيئين احداهما في المسمع والثاني في المسامع
فاما السامع فاستعداده وقابليته للمسموع وصدق قصده في الاستماع وحسن ظنه

بالانتفاع واما المسمع فصدق مقاله وصحة حاله فيكون عاملاً بعلمه مخلصا في عمله
خاشعاً بقلبه خاضعا لربه متواضعا لاخوانه ناصحا لاهل ايمانه كلامه تذكرة وصمته
تفكرة ونظره عبرة ليس متكبرا ولا متجبرا ولا متعظما ولا معجبا بقوله ولا معتمدا
على حوله ولا واثقا بنفسه ولا ناسيا لرمسه ولا مترفعا على ابناء جنسه لا يطلب
من الناس ثناء ولا على موعظته جزاء ولا تكن الدنيا اكبر همه ولا لثمن الخسيس
مبلغ علمه ولا يكون سبابا ولا صخابا ولا كذابا ولا مغتابا ولا مرتابا ولا غمازا
ولا لمازا ولا كنازا ولا همازا ولا فحاشا ولا كشاشا ولا لواما ولا شتاما ولا زماما
ولا نماما ولا يسر بسوء ولا بالسوء هماما انتهى المراد من كلام صاحب الروض
رضى الله عنه ونفعنا به دنيا واخرى والله اعلم

الفصل الرابع

في الجذب وهو تقريب العبد بمقتضى العناية الالهية مهيأ له كل ما يحتاج
اليه في طي المنازل الى صحة الحق بلا كلفة وسعى منه كما قال القاشاني والجذب في
اللغة المدّ وتحويل الشيء عن موضعه سمى تقريب الله للعبد بذلك لان فيه مدى أي
تكبير الحقائقه وتكثير الرقائقه ودقائقه وفيه تحويلاً من مقام الى مقام ومن حال
الى ارفع صحة حال فان جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ولها علامات
قلبية يجدها السالك بان يحصل لقلبه انجذاب الهي فيحصل له هيمان وشوق الى الله
تعالى . واهل الجذب على اقسام كما ان اهل السلوك كذلك فمنهم مجذوب سالك
ومنهم مجذوب دام له الجذب ومنهم مجذوب وقف بعد سيره ولا يصلح للارشاد
الا الاول لمشاهدته سائر المقامات حال سلوكه وبعض اهل الجذب يطلعه الله
تعالى على تلك المقامات في زمن يسير كلمحة ليصلح للارشاد وكل من تقدم جذبه
على سلوكه دل على عناية الله به لكن يشترط في صلاحيته للارشاد ان يصحب
جذبه سلوكه ليقف على المقامات كما علمت . والسلوك كما قال الشيخ الاكبر عبارة

عن الانتقال من منزل عبادة الى منزل عبادة بالمعنى اي الروح وانتقال بالصورة
من عمل مشروع بطريق القربة الى الله الى عمل مشروع بطريق القربة الى الله
بفعل او ترك فمن فعل الى فعل او ترك الى ترك اومن فعل الى ترك اومن ترك
الى فعل وماثم خامس للصورة وانتقال بالعلم من مقام الى مقام ومن اسم الى اسم
ومن تجل الى تجل ومن نفس الى نفس اه . والمنتقل هو السالك وهو على اربعة
اقسام . سالك يسلك بنفسه وهو الذي ادرك ان الحق سمعه وبصره وجميع قواه
علما لا ذوقا . وسالك يسلك بربه وهو الذي ادرك ذلك ذوقا . وسالك يسلك
بالمجموع وهو الذي راعى الامرين بان ذاق ذلك وعلم ان نفسه وعينه هي السميعة
بالله الناطقة به وهكذا . وسالك لا سالك وهو الذي ظهر له بعد ذلك ان لا وجود
لنفسه في الحقيقة لقوله تعالى (وما رميت اذ رميت) . قال الجيلي والواصلون اي
من اهل السلوك ثلاثة . واصل الى الاسماء الذاتيه وواصل الى الاسماء الصفاتيه
وواصل الى الاسماء الفعليه فالوصول الى الذات ممتنع والى الاسماء والصفات
واقع اه قاله سيدي عبد الله الشرقاوي في شرحه على ورد سحر للامام البكري
رضي الله عنهما وتقسيمه المجذوب الى ما ذكر هو الموافق لكلام سيدي ابي الفضل
محمد ابن الحميد في رسالته المتقدم ذكرها فانه قسم الواصل الى مجذوب مطلق
والى مجذوب سالك والى سالك مطلق . ثم قال اما الاول فهو الذي يجذبه الله
تعالى بعنايته ويهديه الى طريقه ويوصله لقربه ويعطيه المقامات الشريفة من غير
زحمات وشغل بالرياضات والخلوة . واما الثاني فهو يشتغل بالمجاهدة ويقعد في
الخلوة وينقطع الى الله تعالى بكليته فينظر الله اليه بنظر الرحمة ويؤيده باللطف
والنعمة ويوصله الى المقامات العالية بمدة قريبة ومجاهدة يسيرة . واما الثالث فهو
الذي يسلك في بحر المجاهدة والرياضات ويطلع على جميع الوقائع والحالات حتى
ينتهي بالمجاهدات الشديدة والاربعينات للمقامات العظيمة اه . وذكر سيدي

عبد الله الشرقاوي في شرحه على حكم بن عطاء الله رضي الله عنه ان السالك اتم من
المجذوب لان الاول عرف طريقاً توصل بها الى الله وناله فيها غاية التعب والمشقة
والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على ان المجذوب لا طريق له وهو كذلك بالنسبة
لاغلب المجاذيب والا فبعضهم له طريق طويتها عناية الله تعالى فسلكها مسرعاً
الى الله عاجلاً فلم تفته الطريق وانما فاته متاعبها وطول امدها . وذكر قبيل ذلك
ايضاً ان السالك افضل من المجذوب للانتفاع به بخلاف المجذوب فاذا اراد الله
تكميل حاله اصحاه . وكل من علم السالك والمجذوب وهبي ذوقي وان كان مبدأ
علم الاول استدلالياً فالمجذوب مادام في جذبه لا يصلح للمشيخة لعدم مروره على
المقامات ومعرفته بغوائل النفوس ولاشتغاله بحاله عن حال غيره كما ان السالك
اذا لم يصل الى درجة المشاهدة والتجلي لا يصلح للمشيخة لنقصه وانما يصلح لها من
جمع بينهما سواء تقدم سلوكه على جذبه او بالعكس وقد يمر المجذوب على المقامات
بسرعة ويعرف غوائل النفوس كالسالك فيصلح للمشيخة مع جذبه لكن هذا في
بعض المجاذيب كالسيد احمد البدوي نفعنا الله به لا في كل مجذوب اه . وذكر
استاذنا الصاوي رضي الله عنه في شرحه على منظومة شيخ اشياخنا الدردير
عمت بركاته ونفعنا الله به انه نقل عن سيدي احمد البدوي رضى الله عنه انه قال
في حق السكارى مجانين الا ان سر جنونهم عزيز على اعتابهم يسجد العقل .
وذكر فيه ايضاً ان سيدي احمد البدوي رضي الله عنه جذب جذبة استغرقته الى
الابد . ونص عبارته بعد قول الناظم

وجد لي بجمع الجمع فضلاً ومنة * وداوي بوصل الوصل روحي من الضنا

واعلم ان لهم مقاماً يقال له الفنا ومقاما يقال له البقا والجمع والفرق ومقاما يقال
له جمع الجمع ومقاما يقال له الفرق الثاني ومقاما يقال له الوصل ومقاما يقال له
وصل الوصل . فاما المقام الاول الذى هو الفنا فهو استغراق العبد فى الله حتى

لا يشهد شيئاً سوى ذات الله ويقال لصاحبه غريق في بحار الاحدية . واما المقام
الثاني وهو مقام البقاء فهو الرجوع بعد الفناء الى ثبوت الآثار بشهود ذات وصفات
المؤثر فيها ويقال لصاحبه غريق في عين بحر الوحدة فمشاهد الاحدية مشاهد
للذات دون الاسماء والصفات وآثارها وهو الفاني ومشاهد الوحدة مشاهد للذات
متصفة بالاسماء والصفات مثبتاً لآثارها جامعاً بين الحق والخلق وهذا هو الكمال
بعينه فلذلك قالوا لابد لكل فناء من بقاء ومقام البقاء هذا هو المسمى بالجمع
والفرق فجمعه شهوده لربه وفرقه شهوده لصنعه . وأما جمع الجمع فهو مقام أعلا من
البقاء وهو ان يأخذه الحق بعد بقائه فيسكره في شهود ذاته تعالى فيصير مستهلكا
بالكلية عما سوى الله فمنهم من يبقى بهذه السكرة الى الموت كالسيد البدوي رضي
الله عنه ولذلك قال العارفون انه جذب جذبه استغرقته الى الابد . ومنهم من
يرد الى الصحو عند اوقات الفرائض والقيام بأمور الخلق كالسيد الدسوقي واحزابه
والمؤلف رضي الله عنهم فيكونون رجوعا لله بالله لا للعبد بالعبد وهذا الرجوع يسمى
بالفرق الثاني . وأما الوصل فهو تلذذ القلب بشهود الحق بعد زوال الحجب الظلمانية
والنورانية فان دام له الشهود يقال له وصل الوصل اي الوصل الكامل كقولهم
سر السر وعين العين مبالغة في كمال الشيء اه المراد منه تنبيهات (الاول)
قال في لواقح الانوار كان سيدي ابو القاسم ابراهيم ابن محمد النصراباذي يقول
الجذب اسرع من السلوك فان كل جذبة من الحق تغني العبد عن اعمال الثقلين
(الثاني) قد علمت مما سبق ان الطريقة مدارها على السلوك والجذب والعلوم
والمعارف التي تنتجها قلوب العارفين بعد صفائها من كدرات الطباع البشرية
والرعونات النفسية والاهواء الشيطانية بملازمة الاحكام الشرعية والاخلاق
المحمدية ولكن قد وجدنا فى هذا الزمان الفاسد الذي عمت فيه المفاسد اقواماً
جهالا اغبياء ضلالا لا خبرة لهم باحكام الشريعة ولم يشموا رائحة للطريقة والحقيقة

قد ادعوا انهم سلكوا الطريق وذاقوا مذاق اهل التحقيق فصاروا لذلك يتشدقون
بالكلام ويخلطون في الاحكام ويزعمون المشيخة فى الطريق وهم اضل من الانعام
ويجعلون لهم اتباعا يعطادون لهم بشرك المشيخة قاذورات الحطام الفاني غير
ناظرين لما عنده تعالى من مزيد الفضل والفيض الرباني ويوهمون عوام الناس
لحب الرياسة والالباس انهم أرباب احوال واقوال وان الله يصدقهم فى المقال وهذا
كله كذب وضلال وخبث طوية وتلبيس على امة خير البرية فان الواحد منهم
جيفة بالليل بطال بالنهار يملأ بطنه من الطعام سواء كان من حلال او من حرام
وليله من المنام ويثب على الدنيا وثوب الاسد على الفريسة ويحب ان يكون له من
التعظيم والاحترام ما لمولاه ولاحول ولا قوة الا بالله خصوصاً وقد تمكنت
هذه الدعوى واستحكمت تلك البلوى في جماعة منهم تمشيخوا بالآباء والاجداد
وليس لهم صبوة للتقوى ولا للهدى ولا للارشاد ولاعمل يزين ولاعلم يستفاد
بل بعضهم لم يأخذوا عهد الطريق اصلاً عن شيخ كامل يربيه ويخرجه من الظلمات
النفسية ويصفيه وانما قنعوا بالشهرة وتقبيل الارجل والايدي ويقول العوام ان
ابن الشيخ شيخ ونحو ذلك مما لايجدي كقولهم انك قد احييت القلوب وعمرت
البلاد بعد الشيخ الكبير ياسيدي الشيخ مع انه من أشر ما اظلت الخضرا واقلت الغبرا
لعرو قلوبهم عن التقوى وانتفاخ قوالبهم بالدعوى وليس لهم قدم فى الطريق بل هم
بمعزل عنها على التحقيق وانما هو خبط في ظلام وليس هناك الا مجرد الدعوى والسلام
وقد قال سيدى احمد الرفاعي رضي الله عنه ونفعنا به كم طيرت طقطقة النعال حول
الرجال من رأس وكم اذهبت من دين . وقال سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى الثرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا فى السير عنهُ وقد كلوا

بل تاخروا ورجعوا القهقرى لانهم اتبعوا اهواء انفسهم والشيطان يقودهم الى

كل ما يحبه منهم وقد . قال الامام الشعراني رضي الله عنه اخبرنى شيخنا الشيخ
محمد الشناوي رحمهُ الله قال لما مات والدي اجتمع علي جماعة والدي وجعلوني شيخا
وقالوا ابن الشيخ شيخ فمكثت على ذلك مدة طويلة فلقيني شخص من اهل
محلة ابى الهيتم ونصحني وقال يامحمد كل من لم يترب على يد الاشياخ لا يفلح ابدا
فقلت له ارشدني الى احد فقال عليك بسيدي الشيخ محمد ابي الحمايل السروري
فسافرت اليه من بلدنا الى فارس كور نحو سبعين يوما ثم اخذت فى نفسي ورجعت
الى بلادي فقال لى ذلك الرجل كنت صبرت ولو سنة فرجعت فاقمت عنه تسع
شهور وهو لا يلتفت الى ثم انه رحمني ولقنني الذكر وقال لي يامحمد احببت ان
اعرفك بعزة الطريق لتعرفها للناس بعزة فان كل من اهانها اهانته ثم قال عليك
بمداومة الذكر فكنت بعد مفارقته اصلي الصبح واذكر الى الظهر واصلي الظهر
واذكر الى العصر واصلي العصر واذكر الى المغرب واصلي المغرب واذكر الى
العشا واصلي العشا واذكر الى الصبح وطويت الاكل والشرب فمكثت على ذلك
الحالة سنة حتى كان ما كان انتهى . وكان الشيخ ابو الحمايل يقول لقنت نحو عشرة
الاف شخص فما عرفني احد غير ابن الشناوي هكذا سمعتها منه مرارا انتهى
كلام الشعراني رضي الله عنه واخذ من هذا الكلام ان مثل هؤلاء المتمشيخين
بالآباء والاجداد لا ينتفع بهم في الطريق ولا يصلحون للارشاد وتربية المريدين
فان من عجز عن تأديب نفسه كان عن تأديب غيره اعجز وتعرضهم لذلك غرر
وضلال وعين محال والباعث لهم على ذلك حب الرياسة والشهرة وجلب الحطام
الفاني وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . وقد وقع النهي والتحذير قديماً
لمشايخ الطريق من اعطا العهود لاولاد المشايخ المتمشيخين بالاباء والجدود من غير
علم ولاعمل لان التعب معهم ضايع لا يفيد شيئا ويؤيد جميع ما اسلفناه ويوضح
سائر ما تلوناه قول سيدي عبد الوهاب الشعراني في جواهره رضي الله عنه . قال

الرازي رحمه الله واعلم ان الشيخ المرشد لم يزل مستورا بين اولياء الله تعالي فضلا عن غيرهم من العوام فلا يعرفه الا ارباب البواطن والبصائر دون اهل الظواهر وقد ورد ان الله تعالى يقول ان أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري قال وسبب اختلاف الكمل من الواصلين الى الله تعالى قلة صدق الطالبين فصار طلبهم للطريق غير خالص بل هو مشوب بالحظوظ النفسانيه والاهواء والاغراض الفاسدة وكثر دعوى الناس للمشيخة من غير اذن من اشياخهم او من غير اذن صحيح بنوا عليه امرهم فنعوذ بالله من الصلاح من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا وكذب ظنوننا الصلاح بانفسنا وقد قال رجل لمالك بن دينار رايتك البارحة وانت تتمختر فى الجنة فقال له اما وجد ابليس احداً يسخر به غيري وغيرك والله انا قد استحقينا الخسف بنا في هذا الزمان السوء انتهى . قال الرازي ويجب على الطالب الصادق في بدايته ان لا يصحب اكثر مدعي المشيخه في هذا العصر البتة الا بظهور امارات الصدق بالهام من الله للطالب او بشهادة الصادقين من اهل الطريق لذلك الشيخ وكذلك لا ينبغى للشيخ ان يصحب اولاد المشائخ المتمشيخين بالآباء والجدود ولبس الزي من غير علم ولا عمل فان التعب مع هؤلاء ضائع الا ان ينسلخوا من جميع ماهم فيه وقليل ماهم لاسيما اولاد شيخ الانسان فان نفوسهم لا تكاد تنكبت لان ياخذوا الادب من مريد والدهم ابدا ولو بلغ في الولاية اقصى الغايا تفيروا نفوسهم عليه ولا يكادون ينزلون عن هذا المشهد ابدا فاياك والتعب في نصحهم على وجه انهم يتتلمذون لك بل انصحهم على لسان والدهم بطرق بعيدة بان تقول لهم كان والدكم رحمهُ الله ينصحنى ويقول لى كذا وكذا ويعدد صفاتهم الخبيثة وينسبها له فلعلهم ينتبهون لانفسهم . قال الرازي ولا يخفى ان من تصدر للمشيخة من غير اذن فما يفسده اكثر مما يصلحه وعليه اثم قاطع الطريق فانهم بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين فضلا عن المشائخ العارفين . قال واياك ان تصحب احدا من المدعين

للطريق بلبس الزي او تدعهم ياخذا عليك العهد فانهم أئذى من الثعبان وذلك لانك تشهد الاذى من الثعبان فتأخذمنه حذرك ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زي انسان . قال ومن المدعين للطريق جماعة وسموا أنفسهم باسما المشائخ الصادقين كما يقال الملامتيه والقلندريه والحيدرية وكذلك من ينسب نفسه الى الاحمديه والدسوقيه والرفاعية والمسلمية والبسطامية واشباههم فان الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من انتسبوا اليه فالمنقول عن مشائخ هؤلاء التقييد باداب الكتاب والسنة . قال والضابط في تمييز الصادقين منهم ومن غيرهم اقامتهم الاعمال الشرعية على قانون المتابعة والتأدب باداب اهل الطريقة على وفق سير المشائخ . قال وكل من ادعي انه خلص مع الله ضميره ونال رتبة في الحقيقة وانه تنزه عن التقييد بظاهر الشريعة وسقط عنه التكليف والارسام بمراسم الشريعة وجعل التقييد بالشريعة للعوام المنحصرين فى مضيق الاقتدا فاعلموا أنه مغتون في دينه وهو من اهل الالحاد والزندقة والفلسفة والاباحة واياكم ان تصحبوا مثل هذا وتعتقدوه فان ظلمة انفاسه ثم قاتل لقلوب المريدين اولا يعلم هذا الجاهل المغرور ان الشريعة هي قشر لب الحقيقة فلا يربوا الحب ولا ينموا ولا ينعقد الا بالاستمداد من ذلك القشر وقد اجمعوا على ان كل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وان الشريعة حق العبوديه والحقيقة هي حقيقة العبودية وكل من صار من اهل الحقيقة وجب عليه التقييد بحق العبودية وحقيقتها وصار مطالبا باداب زايدة ليست على غيره وكل من خلع عن عنقه ربقة التكايف خامر باطنه الزيغ والتحريف . وقد كان الجنيد رضي الله عنه يقول لا تلتفتوا قط لشخص ولو تربع في الهواء الا ان رأيتموه تقيد بالشريعة امرا ونهيا ومن ادعي ان احداً من اهل الله يصل الى حد يسقط عنه الخطاب الشرعى مع عقله فهو كاذب ومن يسرق ويزنى احسن حالا من هذا وقد ادعى هؤلاء المدعون الذين عنيتهم بالزواجر القطعيه محبة الله

تعالى مع مخالفتهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم امراً ونهيا وقد قال الله تعالى له لما ادعى اليهود والنصارى محبة الله تعالى مع مخالفتهم لنبيه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم امره واتيان طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عملهم فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكره ويطرب وينعر ويصعق فلا شك انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله وادعايه ثم صفق وطرب ونعر وصعق عند تصورها وربما رأيت المنى قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته وحمق العامة حواليه قد ملؤا أذقانهم بالدموع لما رأوه من حاله انتهى باختصار من الخطيب في تفسيره في آل عمران لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والله أعلم . خاتمة . حسنة من كلام صاحب الروض الانيق تشتمل على مواعظ وعبروا يقاظ من سنة الغفلات الى مدركات الافهام والنظر وحكم بها تنهض همم الراغبين وتقوي بها عزائم السائرين فنقول وبالله التوفيق . قال رضي الله عنه ونفعنا به الجذبات الربانية لا ينالها محروم والنفحات الرحمانية لم يتعرض لها من هو بهوى نفسه مزكوم كيف تنال الجذبات الربانيه من هو معرض عنها كيف يصل الى الجناب من لم يركب نجايب الانجاب كيف يصلح للوقوف على الباب من لم يذق لباب اولى الالباب كيف يرفع الحجاب لمن يرفل في ثياب الاعجاب كيف يستعذب ذوق هذا الشراب من قلبه خراب كيف يستلذ بهذا العتاب من

شاب وما تاب كيف يطرب بهذ الخطاب من هو من الخبث ما طاب ارفع عن نفسك حجب العجب ونق قلبك من كدر الكذب ثم قف بين يديه بقلب حي ونفس مينة ليكن سمعك واعيا وطرفك راعيا وقلبك اليه ساعيا وهواك فانيا ووفاك باقيا وذلك موجودا وعزك مفقودا وحظك مثبوتا وفرضك منبوتا وجسدك ناحلا وفرحك راحلا وحزنك طويلا ونومك قليلا وصبرك جميلا وطعامك صافيا وكلامك شافيا وخيرك وافيا وشرك جافيا وعنوان حالك كافيا وسرك ساريا ودمعك جاريا وقلبك من سواه عاريا وطرفك من غيره متواريا وانسك باقيا وذكره لا لمك راقيا وعزه لذلك واقيا وحبه لشوقك شافيا ثم اجعل الذكر جليسا والفكر انيسا ثم اتخذ الحق نديما والصدق عزيما والقناعة معينا والقين قريبا ثم ابعث الزفير سفيرا ودمعك الغزير نذيرا ثم البس من البلا خلقانا وهي للفناء اكفانا ثم كن بجميع ذلك فرحانا وبتصريف قضائه طربانا ثم اجعل الخلوة جنانا والجلوة دنانا والاذكار ندمانا والفرقان روحا وريحانا ثم لا تنظر في الكون انسانا ولا مع المكون اكوانا ولا للاول ازمانا ولا للابدي اوانا ولا للواجد احيانا فاذا شهدت ذلك الجمال عيانا وغدوت بين الناس سكرانا وفي المحبة ولهانا فقل لمن كان للشراب ظمانا قم يا نديمي فان الوقت قدحانا انتهى كلامه رحمه الله ورضي عنه ولا يخفى ما فيه من لطائف محاسن العبارة ونفائس رقائق دقائق الاشارة والرمز الى تهذيب النفوس في سلوك طريق التجريد والايما الى بدائع الحكم والامثال لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والله أعلم

الباب الخامس

﴿ في الخلوة وشروطها وآدابها وما يتعلق بها وفيه ستة فصول وخاتمة ﴾

الفصل الاول

في دليلها من الكتاب والسنة وفي امور تتاكد على من يريد الخلوة من العزلة ومتعلقاتها

اما الكتاب فقوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآية) . واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم (من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) وروى الطبراني بسنده الى ابي امامة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تمام الرباط اربعون يوماً ومن رابط اربعين يوماً لم يبع ولم يشتر ولم يحدث حدثا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) اه . وتقدم ان سيدي الشيخ داود الكبير رضي الله عنه كان يقول دليلنا فى القوم بالخلوة ماصح انه صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حرا حتى فجأه الوحي فدل على ان الخلوة حكم مرتب عليه الوحي وذريعة لمجيء الحق وظهور نور الله الى ان قال واختار القوم الاربعين لان الاربعين فيها يكون نتاج النطفة علقة ثم مضغة ثم صورة وهي مدة الدر في صدفه وعدد ايام توبة داود عليه السلام اه . واعلم ان الوصول لا يحصل الا بالخلوة والانقطاع عن الخلق ولا تفيد الخلوة الا ان كانت باشارة شيخ والا ففسادها اكثر من صلاحها وانما تناسب الخلوة من كان فى المقام الخامس وهو صاحب النفس الراضية كما وضحناه فى كتابنا (الهداية) وأما قبل ذلك المقام فانما يناسب العزلة الا لمن تفقه في دينه كما قال العلماء . وقد كان السلف يشتغلون اولاً بالعلم الى سن الاربعين ثم يعتزلون للاستعانة بالعزلة على العمل بما علموا وأما لبس الخرقة فيستحقه من كان فى المقام الرابع وهو صاحب النفس المطمئنة لانتقاله من التلوين الى التمكين وصاحبها سكران هبت عليه نسمات الوصال يخاطب الناس وهو عنهم في بون كما قاله شيخ اشياخنا الدردير فى التحفة . وقال استاذنا الصاوي في رسالة له فى الخلوة ويتأكد على المريد قبل اشتغاله بالخلوة مجاهدة النفس وذلك لان القوم اجمعوا على انه لا بد منها في سلوك طريق الاخيار مستدلين لذلك بالكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه . وجاهدوا فى الله

حق جهاده . وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيما) . وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وقوله عليه السلام (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال الجهاد فى النفس) . ومما يتأكد على المريد ايضاً ان لا يكون واقفاً عند فتح او غيره بل يكون راضياً بما قسمه الله له من إعطاء او منع ولا ييأس من مدد الله تعالى ولا يكون مطمح نظره الا قيامه بخدمة ربه ولا يكون عنده تشوق الى فتح ونحوه من الاحوال التي تظهر للرجال فمن وقف عند حال من تلك الاحوال كانت خلوته وعبادته فيها معلومة فلا تثمر له شيئاً ابداً . ومما يتأكد على المريد ايضاً تقديم العزلة حتى تألف نفسه الوحدة والانفراد ويمحو من ذهنه افعال العباد لئلا يشغله ذلك عن شهود العيان وتنطمس مرآة فكره بصور الاكوان وليكن تعلق المريد فيها بربه وتعشقه في نيل قربه ليس له التفات الي ما مضى ولا الى ما هو آت وليقلل من الطعام والمنام وليشتغل بذكر الله الملك العلام . وثمرة تقديم العزلة راحة المريد من ألم المجاهدة فى الخلوة لتكون خلوته محل المشاهدة بحيث لا يشق عليه صيام ولا سهر ولا انفراد بل يكون له ذلك غاية المراد . واعلم ايها المريد انه ليس المراد من الرياضة مجرد تقليل الطعام والشراب والمنام بل ذلك سبب للتخلق بالاخلاق الحميدة والانسلاخ عن الاوصاف الذميمة فاذا قلل من الطعام والشراب والمنام صفى قلبه واشرق لبه فيسهل عليه التخلق بالاخلاق المرضية والصفات السنيه من تحمل الاذى وحسن الخلق وغير ذلك . وينبغي ان يكون جوعه وعطشه بالتدريج شيئاً فشيئاً الى ان يصل في اكله وشربه الى شيء قليل تكتفي به المعدة ولا يتضرر به الجسد فقد قال العارفون جربنا العطش فوجدناه من الشهوات الكاذبة وهذا كله تابع لصدق المريد في طلبه وهمته في بلوغ اربه وبالله التوفيق انتهى كلامه رضي الله عنه وامدنا بمدده

الفصل الثاني

في شروط الخلوة وهي اثنا عشر . الاول التوبة فيتوب من جميع الذنوب ويلجا الى الله تعالى في قبول توبته وعلامة القبول انسكاب الدموع وحصول الخشوع وعلامة صحة التوبة ان لا يعود الى ما منه تاب ولو فى المنام فمن تاب من الزنا ورای نفسه انه يزني فتوبته ليست بنصوح . الثانى القعود في بيت مظلم ضيق قال استاذنا الصاوي رضي الله عنه وكيفيته ان يكون ارتفاعه قامة وطوله بحيث يمكنه الصلاة فيه وعرضه بقدر جلسته فيه ولا يكون فية منفذ للضوء وليكن بابه من جهة القبله قصيرا وثيقا ويكون في مكان بعيد عن الاصوات في دار معمورة بالناس وان امكن ان يبيت عنده احد بحيث يكون قريبا من بيت الخلوة كان احسن لكن بشروط ان لا يكثر الحركة فيشتغل قلبه بها ولا يكثر الحركة هو ايضاً فيها اه . الثالث المداومة على الوضو . الرابع المداومة على الذكر الذي امره به شيخه والمختار فيها كلمة لا اله الا الله لان فيها نفي ما سوى الله تعالى واثبات الحضرة العلية فاذا أراد الذكر فيغتسل ويتوب من جميع المعاصي ويغسل ثيابه نظيفا ومكانه الذي اعده للخلوة ويقعد فيه متربعا مستقبلا للقبلة واضعا يديه على ركبتيه مغمضا لعينيه شارعا في الذكر بالتعظيم والقوة بحيث يصل تاثيره الى جميع الاعضا مخفيا صوته كما قال الله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول غير منقطع لسانه عن الذكر متفكرا في معناه حتى يحيط الذكر بجميع الاعضاء ويستقر فيها وان ورد وارد في الخاطر ينفيه بلا اله الا الله ويقطع مجيئه ويثبت بالا الله بدله محبة الله تعالى حتى يفرغ القلب من الخيالات ويشتغل بالمشاهدة والله اعلم قاله سيدي ابو الفضل محمد بن الحميد فى رسالته المتقدم ذكرها (الخامس) تفريغ الخاطر من جميع الشواغل . السادس المداومة على الصوم السابع المداومة على قلة الكلام . الثامن المراقبة لقلب الشيخ لطلب الهمة والمعاونة .

التاسع الصدقة بان يتصدق بصدقه على الفقرا قبل دخوله الخلوة . العاشر ترك الاعراض على الله تعالى بحصول القبض والبسط والالم والراحة والصحة والسقم الحادي عشر انقطاع النظر عن كل شيء سوي الله تعالى الثانى عشر الصبر على الشدايد والمشاق والله أعلم

الفصل الثالث

في ادابها وهى خمسة عشر . الاول تقليل الطعام بحيث يخف الجسم ويبقي له قوة الذكر . الثاني قلة النوم بحيث لا يضع الجنب على الارض . الثالث شغل القلب بالذكر بحيث لاينفك لحظة عنه . الرابع ملازمته الخلوة فلا يخرج منها الا للوضوء وقضاء الحاجة وصلاة الجمعة والجماعة . الخامس الاحتراز من الهوا فى حال خروجه للوضو ونحوه مما سبق اذ ربما حصل له منه الضرر . السادس ان يودع اخوانه توديع المسافر ولا يعلمهم بمراده فاذا خاف بقلق القلب فليدخل من غير توديع السابع ان يعزم في نفسه ان لا يخرج منها الا الى القبر لتنقطع عنه وساوس الخروج . الثامن ان لا يقف مع الخواطر بل يكون دائما نافيا لها . التاسع ان يكون شجاعا حاضر القلب عند سماع زعقة او صيحة . العاشر ان يكون طيب اللباس طيب المكان الحادي عشر ان لا يطلق حاسة من حواسه ولا جارحة من جوارحه . الثانى عشر ان لا ينقل شيئا من محله . الثالث عشر ان لا يصرف فكره في شيء من المحدثات بان يصونه عما لا يعني فان فيه ضياع العمر من غير فائده الرابع عشر ان تكون خلوته فى الاشهر الحرم والايام المفضلة كرمضان وشهر المولدات ان امكن . الخامس عشر ان يصلي ركعتين عقب دخوله يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قوله تعالى (وقل رب ادخلني مدخل صدق الآية) وفى الثانية بعد الفاتحة قوله تعالى) رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين) ويتوسل بشيخه واهل السلسلة ثم يشرع فى الذكر الذي امره به شيخه على ما تقدم وكذا ينبغي

للشيخ اذا قعد المريد فى الخلوة ان يدخلها الشيخ قبله ويصلي فيها ركعتين وينظر
من قوة روحانية ذلك المريد ومزاجه وما يقتضيه حاله فيجتمع الشيخ في تينك
الركعتين جمعية تليق بحال ذلك المريد ثم بعد ذلك يقعد المريد فيها وهذا الامر
مما يقرب الفتح على ذلك المريد ويحصل له الخير كما نقله الامام الشعرانى عن الشيخ
محي الدين رضى الله عنهما (تنبيهات) الاول . قال استاذنا الصاوي رضي الله عنه
واعلم لا ينبغي للمريد اذا لوح لشيخه في دخول الخلوة ولم ياذن له ان يكرر الطلب
ولو فى باطنه فان الشيخ لايامر المريد بالخلوة الا اذا علم استعداده اذ هو أعلم بما
يناسب حال مريده وهو مامور بالنصيحة وعدم الغش فربما نظر في مريده انه لا
يقدر على القيام بشروط الخلوة وادابها فالواجب ان يسلم ولا يعترض عليه بوجه
من الوجوه لا ظاهرا ولا باطنا فان التسليم اولى بالمريد وهو على السعادة علامة
اه . الثانى قد ذكروا ان من اخبر من الاشياخ عما عاين وشاهد من طريق
الكشف لايجوز للسامع منازعته فيما اتى به الا ان خالف نصاً أو إجماعاً بل يجب
عليه في حكم الطريق التصديق بما اتى به ان كان مريداً والتسليم ان كان اجنبياً
فان المريد ان لم يعتقد الصدق فيما يقول الشيخ فمتى يفلح فان المريد لا ينبغي له
الكلام الا فيما شاهده وعاينه والصمت واجب والفكر عليه حرام والنظر عليه
فى الادلة محظور وكل شيخ ترك مريده يستدل عليه ويباحثه فهو شيخ غير مرشد له
ساع في هلاكه مضاعف لحجابه مستعمل في طرده عن باب ربه فالاولى بالشيخ اذا
رأى المريد يجنح الى استعمال عقله فى النظريات ولا يرجع الى رأي شيخه فيما يدله
عليه ان يطرده عن منزله فانه يفسد عليه بقية اصحابه ولا يفلح في نفسه فان المريدين
لله حور مقصورات فى الخيام قاصرات الطرف عن كل مشهود سوى مشهد مايقوده
الشيخ اليه ويجب على الشيخ اذا علم ان حرمته سقطت من قلب مريد ان يطرده
عن منزله بسياسة فانه من اكبر الاعداء ذكره الامام الشعراني في جواهره وذكر

بعد ذلك ايضاً انهم قالوا للشيخ ثلاث مجالس مجلس للعامة ومجلس لاصحابه ومجلس خاص
لكل مريد على انفراده . فاما مجلس العامة فيجب عليه ان لا يترك احداً من المريدين
يحضر ذلك المجلس ومتى تركهم فقد اساء في حقهم . وشرطه في مجلس العامة ان
لايخرج عن نتائج المعاملات من الاحوال والكرامات وما كان عليه رجال اهل الله
من المحافظة على آداب الشريعة واحترامهم اياها . وشرطه في مجالس الخاصة ان
لا يخرج عن مجلس نتائج الاذكار والخلوات والرياضات وايضاح السبل الى
سلوك طريق الله المشار اليها بقوله تعالى (لنهدينهم) سبلنا . وشرطه في مجلس الانفراد
مع الواحد من اصحابه زجره وتقريعه وتوبيخه وان ذلك الامر الذي اتي به المريد
حال ناقص وضيع وينبهه فيه على رداءة همته ونقصها ولا يفتنه بحاله . ثم قال ومن
شرطه اي الشيخ اذا وصف له المريد رؤيا رأها او مكاشفة كاشفها او مشاهدة
شاهدفيها امراما ان لا يتكلم له على ذلك البتة ولكن يعطيه من الاعمال مايدفع
به ما في ذلك من مضرة وحجاب ويرقيه الى ما هو اعلى واشرف ومتى تكلم الشيخ
على ما ياتي به المريد وان ذلك امر عظيم للمريد فقد اساء في حقه لانه يرى
نفسه بذلك ويسقط عنده من حرمة الشيخ بقدر ما راى نفسه وتقع الاباءة منه
لسماع كلام الشيخ فيما يدله عليه واذا وقعت الاباءة عدم الاستعمال واذا عدم المريد
الاستعمال وقع الحجاب والطرد فخرج عن حكم الطريق واخلد الى الارض الشهوات
فمثله كمثل الكلب نسأل الله العافية لنا وللمسلمين . ويجب على الشيخ ان يمنع
المريد من التكلم مع غير اخوانه ومن التكلم مع اخوانه بما طرأ عليه من كرامة
ووارد ومتى سامحه الشيخ بذلك فقد اساء في حقه . ومن شرطه ان لا يجالس
تلامذته الامرة واحدة في اليوم والليلة للمناقشة وبقية الاوراد والاشتغال كل
واحد وحده الشيخ فيما امره ربه والمريد فيما امره شيخه قال الشيخ محي الدين .

ومن شرط الشيخ ان يكون له زاوية تخصه لا يمكن احدا من اولاده يدخلها الا من كان خصيصيا عنده وزاوية تخصه ينفرد بها وحده وزاوية لاجتماعه باصحابه ومن شرطه ان يجعل لكل مريد زاوية اي خلوة تخصه ينفرد بها وحده لا يدخل احد معه فيها غيره ابداً قال ولا يترك الشيخ المريدين يجتمعون في مجلس دونه اصلا فلا يجتمعون في مجلس الا بحضرته ومتى تركهم يجتمعون دونه فقد اساء في حقهم . ويجب على الشيخ ان لا يمكن مريداً يطلع على حركة من حركاته اصلا ولا يعرف له سراً ولا يقف له على نوم ولا طعام ولا شراب ولا غير ذلك وليظهر لهم في اكمل هيئة فان المريد اذا وقف على شيء من ذلك ربما نقصت عنده حرمة شيخه لضعفه عن معرفة احوال الكمل ومشاهدهم واه هجر المريد اذا رآه يتجسس على الاطلاع على ذلك مصلحة للمريد . ويجب على الشيخ ان لا يسامح المريد قط فى كثرة الاكل فان تلك المسامحة تتلف كل شيء يفعله الشيخ فيربي الشيخ يقين المريد اولا قبل شيء فان الاكثرين عبيد بطونهم . قال الشيخ محي الدين ومن المحال ان يتربى للمريد يقين والشيخ ينفق عليه ويطعمه من سماط زاويته انما يربيه بان يحرمه ما عنده من الطعام ويقعده فى موضع لا يعرفه فيه احد لقلة من يدخله ويتركه فيه على التجريد ويقول له اشتغل بالله على الصفا ولُيمده الشيخ بالهمة فان فقدها فبالسياسة ولا ينبغي تفسيرها فانه يضر بالمريدين فانه لا بد اذا صدق في هذا الجلوس ان يفتح الله عليه بشيء إما بزيادة اليقين وإما بشيء يأكله حتى يفجأه اليقين اهـ ومما ينبغي التنبيه له ان بعض من ادعى الارادة من عبيد البطون يجتمعون ببعض اشياخ هذا الزمان في صورة المريدين لاجل الطعام وجمع الحطام وادعاء الولاية وحب الرياسة وليس لهم مقصد غير ما ذكر فمثل هذا الاجتماع لا يجيء منه شيء وضرره أقرب من نفعه والشيخ الذي يجمعهم لمجرد اكل الطعام ليس الا مذموم عند العارفين

خصوصاً اذا كان من جهلة هذا الزمان المتشبهين . قال صاحب الرائية

وللشيخ آيات اذا لم تكن لهُ * فما هو الا في ليالي الهوى يسري

اذا لم يكن علمٌ لديه بظاهر * ولا باطن فاضرب به لجج البحر

وان كان الا انهُ غير جامع * لوصفيهما جمعاً على اكمل الامر

فاقرب احوال العليل الى الردى * اذا لم يكن منهُ على خبر

الى ان قال

وان كان ذا جمع لأكل طعامه * مريداً فلا تصحبه يوماً من الدهر

قال سيدي عبد العزيز الدباغ في شرحه لهذا البيت كما في الابريز معنى كلامه ان كان شيخ التربية يجمع الناس لأكل طعامه فلا تتبعه ولا تصحبه يا مريد ابدا اهـ وقال الإمام الشعراني فيما يلزم الاشياخ الصادقين . ويجب على الشيخ ان لا يترك اصحابه يجالسون اصحاب شيخ آخر مطلقا فان المضرة بذلك سريعة للمريدين الا ان كان المريدون ثابتين في محبة الشيخ لا يخاف عليهم التزلزل وليحذر الشيخ دائما من المريدين فان اكثرهم كاذبون يفارقون شيخهم ولو على طول ويرجعون الى عشرة ابناء الدنيا ثم يصيرون يقعون في شيخهم واخوانهم ويقولون لو وجدنا عندهم خيراً ما فارقناهم ويزكون نفوسهم ويزينون لابناء الدنيا ما هم عليه ويجب على الشيخ اذا رأى شيخاً آخر هو فوقه فى معرفة الطريق ان ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذته فانه صلاح في حقه وحق اصحابه ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف ولا ناصح نفسه ولا صاحب همة بل هو ساقط الهمة ضعيفها وربما أداه ترك ذلك لحب الرياسة والتقدم وهذا في طريق الله تعالى نقص لكن لا يخفى ان هذا الكلام في حق من ظهر له مقام ذلك الشيخ لا في من لم يظهر له مقامه فان مثل هذا لا يكلف الانقياد والتلمذة له فان العبرة بما عنده هو لا بما عند غيره من الناس

والناقد بصير انتهى المراد منه ببعض تصرف والله اعلم

الفصل الرابع

في كيفية اكله وشربه فى الخلوة . فما ينبغي له اذا دخل وقت الفطر ولم يجد نفسه شائقة للأكل والشرب ان يفطر على زبيبة او لوزة او جرعة ماء لان تعجيل الفطر سنة وليقم الى الصلاة فاذا اتمها بسننها وآدابها فليحضر بعد ذلك ما اعده لغذائه فيها وينبغي ان يكون ذلك شربة ارز من غير ملح اصلاً او بقليل ملح بحيث لا تظهر ملوحته للذائق او حريرة طحين شعير فانه ابرد او قمح لكن الشوربة اولى وليكن خبزه من الشعير والبر الذي ليس فيه ملح هذا اذا لم يجد مشقة لتأخير العشا واما اذا وجد فالتقديم اولى وليجلس على ركبتيه كجلوس الصلاة او يضع اليسرى ويرفع اليمنى او يرفعهما معاً ويتناول اللقمة بعد التسمية عليها بثلاثة اصابع بحضور ومراقبة وشهود منة الله عليه حيث رزقه على ضعفه ولم يكله الى نفسه فاذا وضعها فى فمه فليكثر مضغها حتى يعلم انه لم يبق لها اثر فاذا ابتلعها فليحمد الله تعالى حيث اساغها له من غير مشقة ويأخذ الاخرى ويفعل بها كما فعل بالاولى الى ان يفرغ من اكله وليقل بعد الفراغ منه الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين . ومن آدابه الاكل على السفرة الموضوعة على الارض . ومنها ان لا يأكل قائماً ولا ماشياً ولا متكئاً ولا مضطجعاً ولا يقسم الخبز باحدى يديه وليلعق اصابعه واذا وقعت منه لقمة فليمط عنها الاذى وليأكلها فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه تكون البركة . ومنها ان يجتهد في تحصيل الحلال من مأكل ومشرب وملبس لان الحرام ظلمة والحلال نور فاذا كان اكل المريد فيها حلالاً وذكر الله تعالى فان الذكر يدخل فى القلب فيجده منوراً فيجتمع فيه نوران عظيمان ينشأ عنهما تصفية القلب وتحليته بالمعارف والاسرار بخلاف ما اذا كان مطعمه حراما فانه اذا دخل

الذكر القلب وجد فيه ظلمة فغاية ما فيه يشتغل باخراجها منه فيفوت المريد بذلك خير كثير وما يذكر الا أولوا الالباب . ولا يجوع الجوع المفرط ولا يشبع الشبع المثقل ومنها ان لا يكون مطعمه من حيوان ولا مما خرج منه واذا علم ان شرب القهوة مما يساعده على السهر وينشطه وكان عنده من يغليها له فليفعل لكنه لا يكثر منها فانها تعطشه . واما كيفية شربه الماء فليمصه مصاً ولا يتنفس فى الاناء وليقطع نفسه مراراً ويسم الله اولا ثم يحمده في كل مرة وينبغي ان يعد له ثيابا يلبسها اذا خاف من الهوام ان تتعلق بالذي عليه فتشغله عن ربه فمتى وجد الهوام تعلقت به فلينزع ما عليه ويلبس ما اعده لذلك ولا يشتغل بقتل ما تعلق به من الهوام قاله استاذنا الصاوي رضي الله عنه في رسالته المتقدم ذكرها (تنبيهات) الاول . يطلب من المريد في الخلوة ان لا ينام ولا يضطجع الا عن غلبة كما يفيده ما سبق ويقصد بنومه واكله وشربه التقوى على طاعة الله تعالى واذا وجد استرخاء في بدنه وضعفا في جسمه فليغتسل ويذكر يا قوي سبعة انفاس فان الله يحدث فيه قوة باطنية وظاهرية ومما ينفع في دفع الجوع اسمه تعالى الصمد فاذا ذكره الجائع ظهر اثره فى الحال ومما ينفع في دفع الظمأ اسمه تعالى الجليل بتلاوة الظمآن فيسكن ظمأه . وقيل ان سورة تبارك الملك اذا تلاها الانسان ويده على قلبه سكن عطشه . الثاني اذا قدر المريد على الخروج لصلاة الجمعة وجب عليه الخروج لها لكن ينبغي ان يكون مع الخادم ليأخذ بيده ويستر وجهه حال خروجه برداء ولا ينظر الا لموضع قدميه ثم يصلي الجمعة ويرجع سريعا لمحله فيشتغل فيه واما ان كانت الخلوة فى المسجد فانه يخرج منها ويصلي مع الجماعة ذكر الله في ذهابه ورجوعه ولا يطلق نظره ولا حاسة من حواسه مخافة شغل القلب بغير الرب جل جلاله . الثالث قال استاذنا الصاوي بعد ذكره نحو ما سبق فائدة ذكر شيخ مشايخنا السيد البكري في كتابه هدية الاحباب

فيما للخلوة من الشروط والآداب نقلا عن الشيخ شعبان افندي القسطموني انه
قال المهدي يخرج من سلسلة طريقي . وذكر عن الشيخ شعبان المذكور انه اختلى
نحو من ثلاثين سنة وفي هذه الخلوة اخذ العهد على كبراء الجن ان لا يؤذوا أحدا
من اهل طريقته وطلب من الله ان لا يغرق سفينة فيها احد من سلسلته وان لا يقال
الدنيا عليهم اه والله اعلم

﴿ الفصل الخامس ﴾

في معرفة الخواطر التي ترد على القلب والدواء النافع في طردها وفيما يحتاج اليه
المريد من الآداب اذا كان الشيخ مختليا وفي صفة المريد السائر في طريق التجريد
وما يتعلق بذلك كله . اما الخواطر فاعلم انها خطابات ترد ولا تثبت . وهي على اربعة
أقسام رباني وملكي ونفساني وشيطاني . فالاول ما يدعو الى طاعة بعينها وهو لا يخطىء ابدا
والثاني ما يدعو الى طاعة لا بعينها مندوبة او واجبة والثالث ما للنفس فيه حظ بعينه والرابع
ما يدعو الى مخالفة الحق باي وجه كان ويسمى وسواسا وربما ياتي في صورة العبادات
والطاعات وحب الكرامات ليقف عندها السالك فيقطعه عما هنالك واجمل ما ينفع في
طرد الخواطر عن القلب ان يعلم شيخه بجميع خواطره حسنة كانت او قبيحة لكن يعلمه
بالمكرر عليه لانها كثيرة اذ هي سبعون الف خاطر في اليوم والليلة ليعرفه طريق التمييز
فيها ان كان عنده فان لم يكن عنده فليتصور انه بين يديه ويخبره بذلك وينظر الى ما يلقي
الحق في قلبه بعد ذلك فما القاه فذلك مراد الشيخ . وقد ذكروا ان من جملة شروط
الطريق اللازمة للمريد نفي الخواطر عن القلب لئلا تشغله عن ربه فيكون نفيها
في الخلوة بالاولى . واعلم ان المريد اذا هجمت عليه الخواطر وكثرت فيبدأ اولا
بالطهارة بان يجدد وضوءه فان لم تذهب فليرفع الصوت بالذكر الي ان تقل ثم يرجع
الى خفيته بعد ذلك فان لم تقل برفع الصوت فليتوجه لشيخه بهمة فى دفعها عنه
ومما ينفع ايضاً لاذهابها ان يتوضأ ويذكر ياقدير قاله استاذنا الصاوي رضي الله

عنه . واما ما يحتاج اليه المريد من الآداب حيث كان الشيخ مختليا فقال الاستاذ
ايضاً اعلم ان مما يلزمك ايها المريد انك اذا دخلت للمكان الذي فيه خلوة الشيخ
ووصلت الى قرب الخلوة فانك تكون حافظاً بقلبك مراعيا الخواطر باداب تام وسكون
ثم توجه الى الخلوة واقرا الفاتحة وادعوا الله بما يجريه على لسانك ثم توجه للقبلة
وصل ركعتين بنية تحية المكان وادعوا الله بعدها ثم توجه للجهة التى فيها الخلوة
فاذا جلست للذكر فاليكن بالهمس واذا امكن ان يبخر المكان بالعود ونحوه فاليفعل
فان الطيب يناسب المختلى لان الروح تنتعش به و ن كنت ذا صوت حسن فانشد
له قصيدة من كلام القوم يتروح بها واذا امرك الشيخ قبل الدخول فيها بقص
روياك عليه فتقدم من باب الخلوة منكس الرأس منكسر القلب باكي العين ولا
تخاطب الشيخ حتى يخاطبك فان لم يخاطبك فاعلم ان الشيخ ربما كان مستغرقا او نائما
فارجع الى مكانك حتى تسمع صوته اوحركته فعند ذلك تقدم فان سألك عنك فقل له
تلميذكم اوخادمكم فلان فان امرك بعد ذلك بقص روياك فادن من باب الخلوة وقصها
عليه والا فاسكت حتى ياذن لك بالذهاب وان لم يامرك بقص رؤياك علية فلا
تفعل واذا رايت رؤيا وخفت ان تنساها فاكتبها فان كنت لست بكاتب فقصها
على من يجعله الشيخ بينك وبينه بشرط ان يكون امينا على اسرار الاخوان اه
واما صفات المريد فعشرون على ما ذكره سيدي ابو الفضل محمد بن الحميد رضى
الله عنه وهى فى المعنى شروط عليه فلا بد له منها والا فلا يحصل مراده . الاول
التوبة بان يترك الذنوب كبيرها وصغيرها قليلها وكثيرها . الثاني التجريد وهو
ترك التعلقات الدنيوية بحيث لا يشغل قلبه بها . الثالث العقيدة الخالصة بان يكون
على اعتقاد السلف بريا عن الرفض والاعتزال والجبر والتعصب والجدال . الرابع
التقوى فليكن المريد تقيا متورعا محتاطا في اللقمة والكسوة عاملا بالعزيم . الخامس

الصبر بان يكون مجاهداً في الطاعة ملجما نفسه بلجام المجاهدة غير معط مرادها
عاملا بخلاف رايها . السادس الشجاعة فاليكن شجاعا قويا مقوما مع مكابدة النفس
غير مغتر بشطان الانس والجن . السابع البذل بان يكون مبذلا غير طماع ولا
منان . الثامن الفتوة بان يكون كريما جوادا معطياً حق الغير وحق نفسه . التاسع
الصدق بان يكون مخلصا منقطعا الى الله تعالى بالكلية غير ملتفت الى الخلق .
العاشر العلم بان يكون عالما بالفرائض والنوافل ومما يحتاج اليه في التكاليف من
اصول الدين وفروعه . الحادي عشر الرجا بان يكون راجيا من فضل الله تعالى
في كل مقام . الثاني عشر ان لا يفتر عن المجاهدة ولا يرضى بادنى المرتبة ولا يخطر
بباله انه لا ينال القربة والوصول بل يصرف الهمه على انه يبلغ لاعلى الحالات
والمقامات . الثالث عشر التوكل بان يطرح نفسه في بحار الجهاد ولا يبال باقوال
الناس ولا بالرد والقبول ولا بالعداوة والمحبة . الرابع عشر العقل فاليكن عاقلا كاملا
حليما ذليلا حقيرا متواضعا عند الله وعند شيخه حركاته مضبوطة وسكناته مربوطة
الخامس عشر الادب بان يراعي الادب مع الله تعالى ولا يفشي سره ولا يرد منه
الا له ولا يعجز بخدمة الشيخ ولا يرفع صوته فوق صوته ولا يعترض عليه ولا
يحكي حاله الا معه . السادس عشر حفظ اللسان اي صونه عن القال والقيل وعن
كل مالايعنى من فضول الكلام والمزاحات والمحالات السابع عشر حسن الخلق
بان يكون جيد الطبع سليم النفس بعيد عن التكبر والخيلا بريئا عن طلب الجاه
والرفعة ونحو ذلك من الافعال المذمومة . الثامن عشر التسليم بان يكون منقادا
لحكم الله تعالى من النفع والضر والخير والشر . التاسع عشر الرضى بقضاء الله تعالى بان
يكون راضيا بقضائه شاكرا لنعمائه صابرا على بلائه لانه تعالى قال لنبيه من لم يرض
بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب ربا سواي . العشرون التفويض

بان يفوض امره اليه تعالى طالبا عرفانه وقربه وحق معرفته لا لاجل الجنة والنار
وهكذا شان العبيد الاخيار الكاملين المكملين الاطهار رضي الله عنهم وامدنا بمددهم
وجعلنا من حزبهم في الدارين بجاه سيد الكونين صلى الله عليه وسلم ﴿ الفصل السادس ﴾
في فائدة الخلوة . وهي خمسة الواقعات والمشاهدات والتجليات والمكاشفات والوصول
اما الواقعات فاعلم انه اذا شرع السالك في رياضة النفس تظهر له العبودية في عالم
الملك والملكوت ففي كل مقام تظهر له حالات وتظهر له واقعات فالواقعة هي التي
تظهر في الحالات بين اليقظة والنوم كالفوهانية التي هي خطاب الحق للسالك بطريق
المكالمة في عالم المثال الذي هو حالة متوسطة بين النوم واليقظة تعرض للسالك
وهو جالس غالبا ويجتمع فيها بالاشباح التي هي صور بين كثافه الاجسام ولطافة
الارواح ويرى فيها ما يسره ويقوي همته على السلوك ويزيد شوقه وتشعل نار
المحبة في قلبه وقد اوضحنا امثال هذه المقامات في كتابنا الهداية في كيفية السير
والسلوك الى ملك الملوك وهو كتاب جليل لا يستغنى عنه مريد نيل والله الموفق
واما المشاهدات على اختلاف انواعها فهي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود
مع التنزية عما لا يليق بعظمته تعالى والشهود رؤية الحق بالحق كما نقلناه في الهداية عن
السير والسلوك . وقال الاستاذ الشرقاوي في شرحه على وردسحر للامام البكري
رضي الله عنه والمشاهدة في الاصطلاح تطلق على رؤية الاشياء به تعالى وعلى رويته
في الاشياء وعلى حقيقة اليقين من غير شك اه . وقال في شرح قوله والمشهد الاسماء
المشهد بمعنى المشاهدة التي تحصل لاهل الله تعالى بسبب تجليه على قلوبهم فيشهدون
ذته او صفاته او افعاله بحسب استعداد المتجلي عليه اه . وذكر في شرحه خطبة
الوروان الشهود في الاصطلاح هو رؤية الحق بالحق ثم قال عقب ذلك . قال الشيخ
الجيلي قدس سره في كتاب المناظر الالهيه . منظر الشهود يشهدك الله في هذا

المنظر ظهوره اي ظهور تجلياته في سائر مخلوقاته وهذا المنظر اول الحقيقة التي ليس
فيها التباس ولا تخيل ولا نفور بل يشهد الحق تعالي اي من حيث امداده في سائر
موجوداته . وفي هذا المنظر ثلاث غرف بين كل غرفة وغرفة من المدارج والمعارج
ما لا يحصى . الغرفة الاولى شهوده تعالى في كل شيء بعد وقوع النظر على ذلك
الشيء . الغرفة الثانية شهوده تعالى في كل شيء مع وقوع النظر على ذلك الشيء
من غير مهلة . الغرفة الثالثة شهوده تعالى في كل شيء قبل وقوع النظر على مايشهده
فيه واعلم ان هذا الشهود من غير حلول ولا مماسة ولا نوع من انواع التجسيم
والتشبيه بل هو تعالى على ما هو عليه من التنزيه والكمال والتعالي لكن جرت
عادته تعالى ان يتجلى فيما شاء من المظاهر لاوليائه الا ترى تجليه سبحانه وتعالى
لموسى في النار المخلوقة التي رآها في جانب الشجرة فسمع الندا إني انا الله لا اله
الا انا فلم ينكر تجليه في النار بل آمن وصدق اه . واما الجلتليات فهي عبارة عن
ظهور ذات الالوهية وصفاتها . فالتجلي على نوعين ذاتي وصفاتي والذاتي على نوعين
ايضاً الوهية وربوبية . فتجلي الالوهية كما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) . وتجلي الربوبيه كما كان
لموسى عليه السلام حيث قال الله تعالى (فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)
واما التجلي الصفاتي فعلي نوعين جمالي وجلالي وكل منهما ذاتي وفعلي . فان تجلي بصفة
الوجوديه يظهر فناء الفناء كما كان للجنيد حيث قال مافي الوجود سوي الله . وان
تجلي بصفة الوحدانية تظهر الوحدة كما كان لابي سعيد رضي الله عنه حيث قال
ما في جبتي سوى الله . وان تجلي بصفة القائمة يظهر القيام بالنفس كما كان لابي يزيد
رضي الله عنه حيث قال سبحاني مااعظم شأني . وان تجلي بصفة العالمية تظهر العلوم
اللدنية كما كان للخضر عليه السلام حيث قال الله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) وان

تجلى بصفة المريدية تظهر الارادة كما كان لابي عثمان رضي الله عنه حيث قال هو
في مرادي ثلاثين سنة . وان تجلى بصفة القادرية تظهر القدرة كما كان للمصطفى
عليه الصلاة السلام قال الله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وان تجلى
بصفة الرازقيه يظهر اعطاء الرزق كما كان لمريم عليها السلام حيث قال الله تعالى
(وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وان تجلى بصفة الخالقية يظهر
يجاد الخلق كما كان لعيسى عليه الصلاة السلام حيث قال الله تعالى(واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير باذني الآية) وان تجلى بصفة العظمة والكبرياء يظهر محو آثار
الوجودية . وان تجلى بصفة الجبروت تظهر انوار في غاية الهيئة . وان تجلى
بصفة القهارية يظهر فناء الفناء . وان تجلى بصفة العزيزيه تظهر سعادة الدارين انتهى
باختصار من رسالة سيدي ابي الفضل محمد بن الحميد رضي الله عنه . وفي شرح الورد
للامام الشرقاوي رضي الله عنه ان التجلي هو ما ينكشف للقلوب من انوار الغيوب
قال وهو اي التجلي . على اقسام تجلي افعال وتجلي اسما وتجلي صفات وتجلي ذات
فالتجلي الذاتي ما يكون مبدأه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات ولا اسم
من الاسماء معها وان كان لا يحصل ذلك الا بواسطة الاسماء والصفات . والتجلي
والصفاتي ما يكون مبدأه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات
كذا تجلي الاسماء ولكل اسم وصفة تجل يخصه اه وقد بسطنا الكلام على
هذا المقام في الهداية فراجعه ان شئت . واما المكاشفات فهي من الكشف وهو
في اللغة رفع الحجاب وفي الاصطلاح زوال الحجب الظلمانية والنورانية عن عين
القلب فيشاهد علوم الانوار ومخبآت الاسرار وقيل هو الاطلاع على ما وراء الحجاب
من المعاني الغيبية والامور الخفية . وللكشف على خمسة اضرب عقلي وقلبي وروحي
وخفي وسري . اما العقلي فهو ان السالك اذا اشتغل بالمجاهدة والرياضة يرتفع عنه

بحسب المجاهدة الحجب ففى كل حجاب يرتفع ينكشف معاني المعقولات وتظهير
اسرار الممكنات ويسمى كشفا نظريا شهوديا . واما القلبي فهو ان ينكشف فيه انوار
مختلفة كأنوار صفات الجلال المحرقة وانوار صفات الجمال المشرقة ويسمى كشفا
شهوديا . واما السري فهو كشف اسرار المخلوقات وحكمة خلق الموجودات ويسمى
الهاميا اواما الروحي فهو عرض الجنان والجحيم والمعارج ورؤية الملائكة ونحو ذلك واذا
صفى بالكلية وطهر من الكدرات النفسية تظهر عوالم غير متناهية ويرتفع حجاب الزمان
والمكان ويحصل الاطلاع على اخبار الماضي واحوال المستقبل وترتفع ايضاً حجب
الزمان والمكان الاخرويه وحجاب الجهات وتظهر الكرامات من الاشراف على
الخواطر والاطلاع على المخلوقات والعبور على الماء والنار وطي الارض وغير ذلك
ويسمى كشفا روحانياً . واما الكشف الخفي فهو ان ينكشف الله تعالى بالصفات
بلا كيف اما بالجلال او بالجمال على حسب المقامات والحالات والخفي هو روح
نوراني مجرد خافي موهبة من الله تعالى على من يشاء من عباده كما قال الله سبحانه
وتعالى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وهو الروح الخفي وقال
تعالى (يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده) ويسمى كشفا صفاتيا فان كشف بصفة
العالميه يظهر علم الدنيه وان كشف بصفة البصريه يظهر الرؤية والمشاهدة وان كشف بصفة
الجلال يظهر فناء الفناء وان كشف بصفة القيوميه يظهر بقاء البقاء وهكذا البقيه اه ملخصا
من رسالة سيدي ابى الفضل باختصار واما الوصال فقال في هذه الرسالة ايضاً اعلم ان
الوصول لحضرة الله تعالى ليس كوصول الجسم بالجسم والعرض بالعرض او العلم بالمعلوم
او العقل بالمعقول تعالى ربنا وتنزه وتقدس عن ذلك وتعالى علواً كبيرا . والوصول
على حزبين وصول البدايه وهو ان ينكشف للعبد تجليه الحق فيصير مستغرقا به
فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همته فلا همة له سواه فيكون

كله مشغولا بكله وهو يشهده غير ملتفت الى نفسه فيعمر ظاهره بالعبادة وباطنه
بتهذيب الاخلاق. ووصول النهايه وهو ان ينسلخ العبد عن نفسه بالكليه ويتجرد
لله فيكون كانه هو والوصول من قبل الله اي بعناية الربوبيه وجذبات الالوهيه
وكسب العبد سبب لحصول ذلك قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وان الله لمع المحسنين) اه المراد منه ببعض تصرف والله أعلم (تنبيهات)
الاول لا يعتبر الكشف اذا عارض الكتاب والسنه . قال سيدي ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه اذا عارض كشفك الكتاب والسنه فتمسك بالكتاب والسنه ودع
الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى قد ضمن لي العصمة فى الكتاب والسنه ولم
يضمنها لي في جانب الكشف والالهام والمشاهدة مع انهم اجمعوا على انه لا ينبغي
العمل بالكشف والالهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وقيل
له مرة من شيخك فقال كنت أنتسب الى الشيخ عبد السلام بن مشيش وانا
الآن لا انتسب الى احد بل اعوم في عشرة ابحر محمد وابو بكر وعمر وعثمان وعلى
وجبريل وميكائيل وعزائيل واسرافيل والروح الاكبر وكان رضي الله عنه يقول
من اقبل على الخلق الاقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال سقط من عين الله
تعالى فاحذروا هذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير وقنعوا بالشهرة وتقبيل اليد
فاعتصموا بالله يهديكم الله الى الصراط المستقيم . وكان رضي الله عنه يقول من الشهرة
الخفية للولي ارادة النصرة على من ظلمه وقال تعالى للمعصوم الاكبر (فاصبر كما
صبر اولو العزم من الرسل) اي فان الله تعالى قد لا يشاء اهلاكهم اه وقد سبق
ذلك فتنبه له ولا تكن من الغافلين . الثاني ذكر سيدي عبد العزيز كما في الابريز
فرقاً بين المجذوب والاحمق مع استوائهما في ذهاب العقل فقال رضي الله عنه
والمفتوح عليه اذا جلس اليه شخصان زال عقلهما واحدهما ولي والآخر غير ولي وجعلا

يتكلمان فانه يميز الولي منهما بكلامه لانه وان كان لا يدري مايقول الا انه قد تبدوا
منه اسرار من اسرار الحق سبحانه وتعالى يعرفها اربابها عند سماعها بخلاف غير الولي
منهما فانه لايسمع منه شيء من ذلك ابداً . اويميز الولي منهما ايضاً بامر آخر وهو
ان يرى روحه منبسطة ابداً ذات فرح وسرور ويرى روح الآخر فيه على هيئة
الرجل المنقبض المنكمش رأسه الذي يتفكر في امر نزل به واغمه واهمه . قال رضي
الله عنه والذين زال عقلهم بغير الفتح في حكم البهائم الا ان الله تعالى يرحمهم بدخول
جنته لان الصورة الادمية التي هم عليها تشفع فيهم فكانهم بهائم صوروا بصورة بني
آدم فرحمهم الله بسبب الصورة الكريمة التي صور عليها انبياءه ورسله واصفياءه
حتى لا يكونوا ترابا مثل البهائم اه المراد منه (الخاتمة) في بيان سند القوم في إلباسهم
الخرقة المباركة كلبس التاج المعروف بينهم وفي بيان السر فيها وغير ذلك مماسنذكره
ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق . إعلم ان بعضهم طعن في لبس هذه الخرقة
وقال ان سندها غير متصل من طريق سيدي حسن البصري قالوا لوانه لم يثبت
له من سيدنا علي رضي الله عنه سماع والحق ان سندها متصل . فروى الحافظ ابن
حجر وتلميذه الجلال السيوطي وقالا رجاله ثقات ان الحسن البصري كان يقول
سمعت علياً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (امتي مثل المطر الحديث
وروى بعضهم عن الحسن كما لا بن حجر انه قال سمعت علياً بالمدينة وسمع صوتاً
فقال ماهذا قالوا قتل عثمان قال اللهم اني اشهدك انى لم أرض ولم امالئ . قال بن
حجر وفي مسند الحافظ ابي بكر بن مندي عن الحسن قال صافحت علياً بن ابي طالب
قال الجلال السيوطي فالراجح عندي وعند جماعة من الحفاظ ثبوت رواية الحسن
عن علي بن ابي طالب منهم الحافظ المقدسي في الاحاديث الصحيحة المختارة فانه
قال فيها قال الحسن البصري عن علي كذا وكذا وقيل انه لم يسمع منهُ اه . قال

الجلال السيوطي وكذلك هي عبارة شيخنا الحافظ بن حجر قال ويؤيد هذا وجوه
الاول ان المثبت مقدم على المنفي الثاني ان الحافظ المزني ذكر ان الحسن البصري
كان يصلي خلف عثمان بن عفان فلما قتل كان يصلي خلف علي حين قدم المدينة ويجتمع
عليه في كل يوم خمس مرات واطال في ذلك الشيخ جلال الدين السيوطي في جزء
الفه في سنده بلبس الخرقة القادرية والرفاعية فراجعه وكذلك الف الشيخ الكامل
الراسخ صاحب الكشوفات والمعارف الشيخ محيي الدين بن العربي جزأ في لبس
الخرقة على مصطلح العارفين واستند في صحة الدليل الى عمل السلف الصالح بها
فيما بينهم من غير نكير حتى كانه مجمع عليه . وذكر ايضاً في الباب الخامس والعشرون
من الفتوحات مانصه . كنت لا اقول بلبس الخرقة التي يفعلها الصوفية وما كنت
اعرف الخرقة الا الصحبة والآداب لا غير قال ولهذا لا يوجد إلباسها متصلا برسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكن لما رأيت الخضر عليه السلام يلبسها للاولياء قلت
بها من ذلك الوقت والبستها الناس بعد ان لبستها من يد عيسى عليه السلام ومن
جماعة من الاشياخ ومن يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة قلت ومما يشهد
لصحة نزول المسيح الى الارض بعد الرفع قصة ذكرها ابن سيد الناس في سيرته
في ترجمة سلمان الفارسي فراجعها قال والسر في إلباسها ان الشيخ اذا اراد ان يكمل
فقيرا او الشيخ في غلبة حال ينزع ذلك الثوب الذي عليه في ذلك الحال ثم يلبسه للرجل
الذي يريد تكميله فيسري فيه ذلك الحال فيكمل حاله حيث ذلك فهذا هو اللباس
عندنا وعند المحققين قال وهكذا لبسنا والبسنا المريدين وكل اللباس على غير ذلك
فانما هو تشبه بأهل الطريق وتبرك بهم قلت ونظير ذلك ارخاء العذبة فانهُ انما
جعل إظهاراً لاعطاء صاحبه النمو والزيادة في كل شيء نظره او مسه ولما ارخى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العذبة لعلي رضي الله عنه كان يتوضأ الوضوء كاملا من كف

واحد كما رواه البيهقي وقصرت خشبة من سقف بيته فمدها فامتدت فمن ارخى له
عذبة ولم يكن له هذا المقام فقد قنع بالجسم بلا روح . ولاجل ماقلناه صار الناس
يلوذون بمن يتخذ له عذبة بخلاف صلاة الضحى أو السواك مثلا فان ذلك محض
تأس لم يكن متوقفاً على حصول رتبة فافهم اه ببعض اختصار من كلام الامام
الشعراني رضي الله عنه . وقال استاذنا الصاوي في شرحه على الصلوات الدرديرية
عند قول المصنف عمت بركاته وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وتوجنا من القبول
ابهج تاج التاج في الاصل الذي يوضع علي رأس الملوك مكللا بالجواهر فاطلقه
واراد لازمه وهو الزينة بسبب قبول الله للعبد وفي الحديث اذا احب الله عبدا
نادي جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم يامره
ان ينادي في السماء ان الله يحب فلانا بن فلان فاحبوه فيحبه اهل السموات ثم
يوضع له القبول في الارض فهذا هو المراد بالتاج كما قال السيد البكري رضي الله عنه عبيد
ولكن الملوك عبيدهم ثم قال تنبيه ممايسمى بالتاج بين الصوفية الذي يوضع على الرأس
وقرصه صوف ابيض وهو الخرقة المشهورة للسادة الخلوتيه التي هي شعارهم وفيه اشارة
كما قال استاذنا المؤلف رضي الله عنه الى سلوك طريق التصوف وبياض القلب وهو
مضرب على وجه مخصوص محيط به اربع جلالات اي في كل جهة أثناعشر ضلعا
عدة حروف لا اله الا الله اشارة الى شهود احاطة الرب به من جميع جهاته احاطة
قيومية معنوية لاحسية تنزه الله عن ذلك وبعضهم يجعل وسطه زرا اشارة الى الوحدة
وبعضهم يجعله خاليا اشارة الى الفناء وبعضهم يجعل في وسطه ها هكذا اشارة الى
الهوية الدائرة بالعالم دوران علم وقدرة وقيومية لادوران حس ثم ان لبس الخرقة
عند القوم شرطه السلوك والاذن من الاشياخ قال بعض العارفين ان خرقة القوم
لاهلها نور وزينة ولغيرهم سماجة وظلمة بل يدخل في الوعيد في قوله تعالى (ولاتحسبن

الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ولهم عذاب اليم) واما قول بعض العارفين (فتشبهوا بهم ان لم تكونوا مثلهم ان
التشبه بالرجال فلاح) فالمراد الاقتداء بهم في العمل ومجاهدة النفس اه المراد منه ثم
عن لي بعد ذلك ان اوشح هذه الخاتمة بما يزيدها في اعين الناظرين حسنا وجمالا
ويفيدها في افئدة الصادقين رفعة وجلالا من اقوال أئمة الدين واخلاق ذوي البصائر
العارفين لتكون ابهج للسامعين وانعش لقلوب المتقين فقلت وبالله استعنت . قال
الامام الشعراني رضى الله عنه في الطبقات الكبرى . في مناقب امامنا مالك رضي
الله عنه كان اذا اراد ان يجلس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل وتبخر
وتطيب ومنع الناس ان يرفعوا اصواتهم . وكان اذا دخل بيته يكون شغله المصحف
وتلاوة القرآن وكانت السلاطين تهابه وكان يكره حلق الشارب ويعيبه
ويراه انه من المثلة ومكث رضي الله عنه خمسا وعشرين سنة لم يشهد الجماعة
فقيل له ما يمنعك من الخروج فقال مخافة ان ارى منكرا احتاج ان اغيره . وكان
يقول اذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه . وكان رضي الله عنه اذ قال في
المسئلة لا او نعم لايقال له من اين قلت هذا وأخذ رضي الله عنه العلم عن تسعمائه
شيخ منهم ثلثمائة من التابعين . وكان يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما هو نور
يضعه الله في القلب . ولما ضربه جعفر بن سليمان في طلاق المكره وحمله على بعير
وقال له ناد على نفسك فقال رضي الله عنه الا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا
مالك بن انس اقول طلاق المكره ليس بشيء فبلغ ذلك جعفرا فقال ادركوه وانزلوه
وكان رضي الله عنه يقول لا ينبغي للعالم ان يتكلم بالعلم عند من لا يطيعه فانه ذل
واهانة للعلم . وكان يمشي في ازقة المدينة حافيا ماشيا ويقول انا استحي من الله تعالى
ان اطأ تربة فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة . وقال رضي الله

عنه لمطرف ماذا يقول الناس فيّ فقال اما الصديق فيثني واما العدو فيقع فقال ما
زال الناس هكذا لهم عدو وصديق ولكن نعوذ بالله من تتابع الالسنة كلها ولد
سنة ثلاث وتسعين وتوفى سنه تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رضي الله عنه
انتهى منه باختصار . وقال رضي الله عنه فى مناقب . الامام الشافعى رضي الله عنه
ولد بغزة ثم حمل الى مكة وهو ابن سنتين وعاش اربعا وخمسين سنة واقام بمصر
اربع سنين ثم توفى بمصر ليلة الجمعة بعد المغرب سنة اربع ومأتين . وكان رضى الله
عنه في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيد في العظام ونحوها لعجزه عن الورق
حتى ملأ منها خبايا وتفقه فى مكة على مسلم بن خالد الزنجي ونزل فى شعب الخيف
منها ثم قدم المدينة فلزم الامام مالكا رضى الله عنه وقرأ عليه الموطأ حفظا فاعجبه
قراءته وقال له اتق الله فانك سيكون لك شأن وقد حقق الله ذلك فكان يرحل اليه
الناس من سائر الاقطار قال الربيع بن سليمان رأيت على باب دار الامام الشافعى
رضي الله عنه سبعمائة راحلة تطلب سماع كتبه . وكان رضي الله عنه يقول وددت
ان الخلق تعلموا هذا العلم على ان لا ينسب اليّ منه حرفا وكان يقول وددت أنى
اذا ناظرت احدا ان يظهر الله تعالى الحق على يديه . وكان يقول اظلم الظالمين لنفسه
من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه
وكان يقول لا شيء ازين بالعلماء من الفقر والقناعة والرضا بهما . وكان يقول من احب
ان يقضى له بالحسنى فاليحسن بالناس الظن . وكان يقول من طلب العلم بعز النفس
لم يفلح ومن طلبه بذل النفس وخدمه العلماء افلح . وكان يقول جمال العلماء كرم
النفس وزينة العلم الورع والحلم وكان رضي الله عنه يقول لا عيب بالعلماء اقبح من
رغبتهم فيما زهدهم الله فيه . وكان يقول ليس العلم ماحفظ انما العلم مانفع . وكان
يقول فقر العلماء اختيار وفقر الجهلاء اضطرار . وكان رضي الله عنه يقول من لم تعزه

التقوى فلا عز له . وكان يمشي على العصا فقيل له فى ذلك فقال لاذكر اني مسافر من
الدنيا وكان يقول من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لاهلها ومن رضي
بالقنوع زال عنه الخضوع . وكان يقول من أحب أن يفتح الله تعالى عليه بنور
القلب فعليه بالخلوة وقلة الاكل وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين لا يريدون
بعلمهم الا الدنيا وكان يقول لابد للعالم من ورد يكون من أعماله بينه و بين الله تعالى
وكان يقول لو اجتهد احدكم كل الجهد على ان يرضي الناس كلهم عنه فلا سبيل له فليخلص
العبد عمله بينه وبين و كان يقول لو اوصى رجل لاعقل الناس صرف الى الزهاد وكان يقول
لو علمت ان الماء البارد ينقص مروءتي ماشربته وكان يقول من احب ان يختم الله له بخير
فليحسن الظن بالناس وكان يقول مكثت اربعين سنة اسأل اخواني الذين تزوجوا عن
احوالهم في تزوجهم فما منهم احد قال رأيت خيراً قط . وكان يقول ليس باخيك
من احتجت الى مداراته . وكان يقول من علامة الصادق في إخوة اخيه ان يقبل
علله ويسد خلله ويغفر زلله . وكان يقول لا تشاور من ليس في بيته دقيق . وكان
يقول لا تقصر في حق اخيك اعتماداً على مروءته ولا تبذل وجهك الى من يهون
عليه ردك . وكان يقول من برك فقد اوثقك ومن جفاك فقد اطلقك . وكان
يقول من نم لك نم عليك ومن اذا ارضيته قال فيك ماليس فيك كذلك اذا اغضبته
قال فيك ماليس فيك . وكان يقول من وعظ اخاه سراً فقد نصحه ومن وعظه
علانية فقد فضحه وشانه . وكان يقول من سامى بنفسه فوق مايساوي رده الله الى
قيمته وكان يقول من تزين بباطل هتك ستره وكان يقول التكبر من اخلاق اللئام
وكان يقول القناعة تورث الراحة وكان يقول ارفع الناس قدراً من لا يرى قدره
واكثرهم فضلا من لا يرى فضله وكان يقول من كتم سره ملك امره وكان يقول
الانبساط الى الناس مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين

المنقبض والمنبسط وكان يقول ما اكرمت احداً فوق قدره الا نقص من مقداري
بقدر مازدت في اكرامه وكان يقول صحبة من لايخاف العار عار يوم القيامة ومن
عاشر اللئام نسب الى اللؤم وكان يقول مداراة الاحمق غاية لاتدرك وكان يقول
من تولى القضاء ولم يفتقر فهو لص وكان يقول ينبغي للفقيه ان يكون معه سفيه
ليدافه عنه وكان يقول من خدم خدم وكان رضي الله عنه كثير الكرم كثير
الاسقام منها البواسير كانت دائما تنضح الدم ولايجلس للحديث الا والطشت تحته
يقطر الدم فيه وكان ذا هيبة وكان اصحابه لايجترؤن ان يشربوا الماء وهو ينظر اليهم
هيبة له وكان يتشح بالرداء ويتكئ على الوسادة وتحته مضربتان وكان يقول الكرم
والسخاء يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد ان لايلحقهما بدعة وكان يقول من
استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرض ولم يرض فهو شيطان وكان يقول احذروا
الاعور والاحول والاعرج والاحدب والاشقر والكوسج وكل من به عاهة في
بدنه فان فيه التواء ومعاشرته عسرة وكان يقول من طلب الرئاسة فرت منه وكان
يقول مانصحت احداً فقبل مني الاهبته واعتقدت مودته ولارد احد علي النصح
الا سقط من عيني ورفضته وقال الربيع دخلت على الشافعي ليلة مات فقلت له كيف
اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكاس المنية شاربا ولسوء
اعمالي ملاقيا وعلى الكريم واردا ثم بكى وقال رضي الله عنه فى مناقب الامام ابي
حنيفة رضي الله عنه ولد سنة ثمانين من الهجرة وتوفى ببغداد سنة خمسين ومائة
وهو ابن سبعين سنه واكره رضي الله عنه على تولية القضاء وضرب على رأسه ضربا
شديدا ايام مروان فلم يعل ولما اطلق قال كان غم والدتي اشد من الضرب علي
وكان احمد ابن حنبل رضي الله عنه اذا ذكر ذلك بكى وترحم عليه واكره بعد ذلك
مرة اخرى على القضاء وسجن فابى واخرجه المنصور مرات من الحبس يتوعده

وهو يقول يامنصور اتق الله ولا تول الا من يخاف الله والله ما أنا مأمون فى
الرضا فكيف اكون مأمونا فى الغضب وقال بن الجوزي دعى المنصور اباحنيفة
والثوري ومسعرا وشريكا يوليهم القضاء فقال ابو حنيفة اخمن فيكم تخمينا اما انا
فاحتال واتخلص واما مسعر فيتحامق ويتخلص واما سفيان فيهرب واما شريك
فيقع فكان الامر كما قال وكان من تحامق مسعر ان قال للمنصور لما دخل عليه كيف
حالك وكيف عيالك وكيف حميرك وكيف دوابك فقال اخرجوه فانه مجنون ولما
بلغ سفيان عن شريك انه تولى هجره وقال له قد امكنك الهرب فلم تهرب وكان
ابو حنيفة رضي الله عنه لاينام الليل وسموه الوتد لكثرة صلاته وصلى الصبح بوضوء
العشاء اربعين سنة وكان لايجلس في ظل جدار غريمه ويقول كل قرض جر نفعاً
فهو ربا وكان نومه دائما ساعة بين الظهر والعصر وفي الشتاء ساعة أول الليل وكان
له جار يهودي وكانت قصبة بيت خلائه تنضح على بيت ابى حنيفة فمكث عشر
سنين وهو يكنس كل يوم مانزل فى داره منها ويذهب به الى الكوم ولم يعلم اليهودي
قط فبلغ ذلك اليهودي فبكى ثم جاء واسلم وكان رضي الله عنه يقول لو ان عبدا
عبد الله تعالى حتى صار مثل هذه السارية ثم انه لايدري مايدخل بطنه حلالا أم
حرام ماتقبل منه وكان يقول جالست الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي
ذنباً ولا وصلني حين قطعته ولا ستر علي عورة ولا إئتمنته على نفسي اذا غضب فالاشتغال
بهؤلاء حمق كبير . وكان يقول الملح مع الخبز شهوة ورؤي رضى الله عنه بعد موته
فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لي فقيل له بالعلم فقال هيهات ان للعلم شروطاً
وآداباً قل من يفعلها فقيل له فبماذا غفر لك الله قال يقول الناس في ماليس في وقال له
رجل انى احبك فقال وما يمنعك من محبتي ولست بابن عم لي ولا جاري . وقال
رضى الله عنه في مناقب الامام احمد بن حنبل كان رضي الله عنه يقول طوبى لمن احمد

الله ذكره وكان يقول رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به
المقربون اليك فقال بكلامي يا احمد فقلت بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وكان
لا يدع قيام الليل قط وله في كل يوم وليلة ختمة وكان يستتر بذلك عن الناس وقال
ابو عصمة رضي الله عنه بت ليلة عند احمد رضي الله عنه فجاءني بماء فوضعه فلما
اصبح نظر الى الماء كما هو فقال ياسبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد
من الليل وتعرت امه من الثياب فجاءته زكاة فردها وقال العري لهم خير من اوساخ
الناس وانها ايام قلائل ثم نرحل من هذه الدار وكان اذا جاع اخذ الكسرة
اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء فى قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح
وكانوا في بعض الاوقات يطبخون له في فخارة عدسا وشحما وكان اكثر إدامه
الخل . وكان اذا مشى فى الطريق لا يمكن احداً يمشي معه وكان من اصبر الناس
على الوحدة لا يراه احد الا فى المسجد او جنازة او عيادة وكان يكره المشي فى
الاسواق ولما قدم للسياط ايام المحنة اغاثه الله برجل يقال له ابو الهيثم العيار فوقف
عنده وقال يا احمد انا فلان اللص ضربت ثمانية عشر الف سوط لاقر فما اقررت
وانا اعرف اني على الباطل فاحذر ان تتقلق وانت على الحق من حرارة السوط
فكان احمد كلما اوجعه الضرب تذكر كلام اللص وكان بعد ذلك لم يزل يترحم
عليه ولما دخل احمد على المتوكل قال المتوكل لامه يا اماه قد نارت الدار بهذا الرجل
ثم اتوا بثياب نفيسة فالبسوها له فبكى وقال سلمت منهم عمري كله حتى اذا دنى
اجلي بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها لما خرج . وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
حبس الامام احمد ثمانية وعشرين شهرا وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط الى ان
يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الارض ويداس عليه ولم يزل كذلك الى
ان مات المعتصم وتولى بعده الواثق فاشتد الامر على احمد وقال لا اسكن في

بلد الحد فيه فاقام مختفيا لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي
المتوكل فرفع المحنة عن احمد وامر باحضاره واكرامه واعزازه وكتب الى الآفاق
برفع المحنة واظهار السنة وان القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة وكانوا اشر الطوائف
المبتدعة قال احمد بن غسان ولما حملت مع احمد الى المأمون تلقانا الخادم وهو يبكي
ويمسح دموعه وهو يقول عزعلي يا ابا عبد الله ما نزل بك قد جرد امير المؤمنين
سيفا لم يجرده قط ويسط نطعا لم يبسطه قط ثم قال وقرابتي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا رفعت السيف عن احمد وصاحبه حتى يقولا القرآن مخلوق فجثى احمد
على ركبتيه ولحظ السماء بعينيه ودعى فما مضى الثلث الاول من الليل الا ونحن
بصيحة وضجه فاقبل علينا خادمه وهو يقول صدقت يا احمد القرآن كلام الله غير
مخلوق قد مات والله امير المؤمنين وكان قد لقيه قبل ان يدخل المدينة رجل من
العباد فقال احذر يا احمد ان يكون قدومك مشؤما على المسلمين فان
الله تعالى قد رضي بك لهم وافدا الناس انما ينظرون الى ما تقول فيقولون به فقال
احمد حسبنا الله ونعم الوكيل ولما سجنوه وضعوا في رجليه اربعة قيود وكان
ابن ابي داود هو الذي تولي جدال احمد عن الخليفة وقال للخليفة ان احمد ضال
مبتدع ثم يلتفت الى احمد ويقول قد حلف الخليفة الا يقتلك بالسيف وانما هو
ضرب بعد ضرب الى ان تموت فمازالوا باحمد يناظرونه بالليل والنهار الى ان ضجر
الخليفة من ذلك فلما طال بهم الحال قال ابن ابي داود يا امير المؤمنين اقتله ودمه
في اعناقنا فرفع الخليفة يده ولطم بها وجه احمد فخر مغشيا عليه فخاف الخليفة على
نفسه ممن كان من الشيعة مع احمد فدعي بماء فرش علي منه على وجه احمد قال احمد
ولما قدمت الى الضرب والناس بين يدي الخليفة قيام قال لي انسان امسك رأس الخشبتين
بيديك وشد عليهما فلم افهم مقالته فتخلعت يداي قالوا ولم يزل احمد يتوجع منهما الى ان مات

ولم يزالوا بعد الضرب يقطعوا اللحم والجلد من مقاعد احمد سنين عديدة الى ان مات
وكان يقول اذا كان في الرجل مائة خصلة من الخير وكان يشرب الخمر محتها كلها
وكان يقول لاتكتبوا العلم عمن يأخذ عليه عرضاً من الدنيا ومرض جاره فلم
يعده فقال له ابنه هلا تعود جارنا فقال يابني انه لم يعدنا حتى نعوده . توفي رضي
الله عنه سنة احدي واربعين ومأتين وقد استكمل سبعاً وسبعين سنة ولما مرض
رضي الله عنه اجتمع الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدروب
ولما قبض صاح الناس وعلت الاصوات بالبكاء وارتجت الدنيا لموته وخرج
أهل بغداد الى الصحراء يصلون عليه فحرروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة
الف ومن النساء ستون الف امرأة سوى من كان في الاطراف والسفن
والاسطحة فانهم بذلك يكونون اكثر من الف الف وفي رواية بلغوا الفي الف
وخمسمائة الف واسلم يومئذ عشرون الفاً من اليهود والنصارى والمجوس . وقال
رضي الله عنه في مناقب سيد الطائفة ابي القاسم الجنيد رضي الله عنه . كان
يقول التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى واصله الصرف عن الدنيا كما
قال حارثة صرفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وظمأت نهاري . وكان رضي
الله عنه يقول الغفلة عن الله تعالى اشد من دخول النار . وكان يقول اذا رأيت
الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه . وكان
يقول من اشار الى الله تعالى وركن الى غيره ابتلاه بالمحن وحجب ذكره عن
قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع الى الله وحده كشف الله عنه المحن
وان دام على الركون الى غيره نزع الله من قلوب الخلائق الرحمة عليه والبسه
لباس الطمع فيهم فيزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فيصير حياته
عجزا وموته كمداً وآخرته أسفاً ونحن نعوذ بالله من الركون الى غير الله . وكان

يقول مكابدة العزلة ايسر من مداراة الخلطة . وسئل عن قرب الله تعالى فقال بعيد بلا
اقتراب قريب بلا التزاق . وكان يقول من اراد ان يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه
فلا يلق الناس فان هذا زمان وحشة فالعاقل من اختار فيه العزلة . وجاءه مرة رجل
بخمسمائة دينار فوضعها بين يديه وقال فرقها على جماعتك فقال ألك مال غير هذا
قال نعم قال اتطلب زيادة على ماعندك قال نعم فقال له الجنيد خذها فانك اليها احوج
منا ولم يقبلها . وكان يقول لقيت ابليس يمشي في السوق عرياناً وبيده كسرة خبز
يأكلها فقلت له اما تستحي من الناس فقال يا ابا القاسم وهل بقي على وجه الارض
احد يستحي منه من كان يستحي منهم تحت التراب قد اكلهم الثرى . وسئل عن
المعرفة بالله هل هي كسب اوضرورة فقال رأيت الاشياء تدرك بشيئين فما كان
منها حاضراً فبالحس وما كان منها غائباً فبالدليل ولما كان الحق تعالى غير باد لحواسنا
كانت معرفته بالدليل والفحص اذ كنا لانعلم الغيب والغائب الا بالدليل ولا نعلم
الحاضر الا بالحس وكان يقول مارأيت احداً عظم الدنيا فقرت عينه فيها ابدا انما
تقر فيها عين من حقرها واعرض عنها . وكان يقول ما احتشم صاحب من صاحبه
ان يسأله حاجة الا انقص في احدهما . وكان يقول ان للعلم ثمنا فلاتعطوه حتى
تأخذوا ثمنه قيل له وما ثمنه قال وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه . مات رضي
الله عنه يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره ببغداد ظاهر يزوره الخاص
والعام ولما حضرته الوفاة دخل عليه ابو محمد الجريري فقال ألك حاجة قال نعم اذا مت
فغسلني وكفني وصل عليّ فبكى الجريري وبكى الناس معه ثم قال له الجنيد وحاجة
اخرى فقال وماهي فقال تخذ لاصحابنا طعام الوليمة فاذا انصرفوا من الجنازة رجعوا
الى ذلك حتى لايقع لهم تشتت فبكى الجريري ثم قال والله لئن فقدنا هاتين العينين
لا اجتمع منا اثنان ابدا قال ابو جعفر الفرغاني فكان والله كذلك الامر بعد

وفاة الجنيد وانما كان ذلك الاجتماع ببركة الشيخ ورويته قال الجريري وكان في جوار
الجنيد رجل مصاب في خربة فلما مات الجنيد رحمه الله ودفناه ورجعنا من جنازته
تقدمنا ذلك المصاب فصعد موضعاً عالياً وقال يا ابا محمد تراني ارجع الى تلك الخربة
وقد فقدت ذلك السيد ثم انشد

وا أسفي من فراق قوم * هم المصابيح والحصون * والمدن والمزن والرواسي
والخير والامن والسكون * لم تتغير لنا الليالي * حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

قال ثم غاب عنا فكان ذلك آخر
العهد به وقال رضي الله عنه في مناقب ابي صالح سيدي عبد القادر الجيلي ولد رضى الله
عنه سنة سبعين واربعمائة وتوفي سنة احدى وستين وخمسمائة ودفن ببغداد وكان
يقول عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده وانا لكل من عثر مركوبه
من اصحابي ومريدي ومحبي الى يوم القيامة آخذ بيده ياهذا فرسي مسرج ورمحي
منصوب وسيفي شاهر وقوسي موتر احفظك وانت غافل وحكي عن امه رضي
الله عنها وكان لها قدم في الطريق انها قالت لما وضعت ولدي عبد القادر كان
لا يرضع ثديه في نهار رمضان ولقد غم على الناس هلال رمضان فاتوني وسألوني
عنه فقلت لهم انه لم يلتقم اليوم له ثدياً ثم اتضح ان ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر
بلدنا في ذلك الوقت انه ولد للاشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان وكان يلبس لباس
العلماء ويتطيلس ويركب البغلة وترفع الغاشية بين يديه ويتكلم على كرسي عال وربما خطى
في الهواء خطوات على رؤس الناس ثم يرجع الى الكرسي وكان يقول انه ليرد على الاثقال
الكثيرة لو وضعت على الجبال تفسخت فاذا كثرت علي الاثقال وضعت جنبي على الارض
وتلوت فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً ثم ارفع رأسي وقد انفرجت عني تلك الاثقال
وكان يتكلم في ثلاثة عشر علما وكانوا يقرؤن عليه في مدرسته درساً من التفسير ودرساً من

الحديث ودرساً من المذهب ودرساً من الخلاف وكانوا يقرؤن عليه طرفي النهار التفسير
وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والاصول والنحو وكان يقرأ القرآن بالقرآت بعد
الظهر وكان يفتي على مذهب الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل رضى الله عنهما وكانت
فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم اشد الاعجاب فيقولون سبحان من انعم عليه
ورفع اليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث انه لا بد ان يعبد الله عبادة ينفرد
بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها فماذا يفعل من العبادات فاجاب على الفور
ياتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف اسبوعا وحده ويحل يمينه فاعجب علماء العراق
وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها . وقيل له مرة ما لنا لا نرى الذباب يقع على
ثيابك فقال اي شئ يعمل الذباب عندي وانا ما عندي شئ من دنس الدنيا ولا عسل
الآخرة وكان يقول ايما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي خفف الله عنه العذاب
يوم القيامة . وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتى أذى الناس فاخبروه به فقال
انه رآني مرة ولا بد ان الله يرحمه لاجل ذلك فمن ذلك الوقت ما سمع له احداً
صراخا وتوضأ يوماً فبال عليه عصفور فرفع رأسه اليه وهو طائر فوقع ميتاً فغسل
الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال هذا بهذا . ورفع له شخص ادعى انه يرى الله
بعين رأسه فقال أحق ما يقولون عنك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول واخذ
عليه الا يعود اليه فقيل للشيخ امحق هذا ام مبطل فقال هذا محق ملبس عليه وذلك انه
شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته الى بصره لمعة فرأى بصره ببصيرته
وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن ان بصره رأى ما شهده ببصيرته وانما
رأى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدري قال الله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما
برزخ لا يبغيان) وكان جمع من المشائخ واكابر العلماء حاضرين هذه الواقعة فاطربهم
سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن افصاحه عن حال الرجل ومزق جماعة ثيابهم

وخرجوا عرايا الى الصحراء . وكان يقول تراآى لي نور عظيم ملأ الافق ثم تدلى
فيه صورة تناديني ياعبد القادر انا ربك وقد احللت لك المحرمات فقلت اخسأ يالعين
فاذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبني ياعبد القادر نجوت مني بعلمك
بأمر ربك وفقهك في احوال منازلاتك ولقد اضللت بهذه الواقعة سبعين من
اهل الطريق فقلت لله الفضل فقيل له كيف علمت انه شيطان قال بقوله قد احللت
لك المحرمات . وسئل رضي الله عنه عن الهمة فقال هي ان يتعرى العبد بنفسه عن
حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبى وبقلبه عن ارادته مع ارادة المولى ويتجرد
بسره عن ان يلمح الكون او يخطر على سره . وسئل عن البكاء فقال ابك له وابك
منه وابك عليه ولا حرج . وسئل عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك الى يدك فانها
لا تضرك . ولما اشتهر امره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من اذكياء بغداد يمتحنونه
في العلم فجمع كل واحد له مسائل وجاء اليه فلما استقر بهم المجلس اطرق الشيخ
فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدور المئة فمحت ما في قلوبهم
فبهتوا واطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤسهم ثم صعد
الكرسي واجاب الجميع عما كان عندهم فاعترفوا بفضله وكان من اخلاقه ان يقف
مع جلالة قدره مع الصغير والجارية ويجالس الفقراء ويفلي لهم ثيابهم . وكان
لا يقوم قط لاحد من العظماء ولا اعيان الدولة ولا الم قط بباب وزير ولا سلطان
وكان ابو الفتح الهروي رضي الله عنه يقول خدمت الشيخ عبد القادر اربعين سنة
فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء وكان كلما احدث جدد في وقته وضوءه
ثم يصلي ركعتين وكان يصلي العشاء ثم يدخل خلوته ولا يمكن احدا ان يدخلها معه
فلا يخرج منها الا عند طلوع الفجر ولقد اتاه الخليفة يريد الاجتماع به ليلا فلم يتسر
له الاجتماع به الى الفجر . قال الهروي وبت عنده ليلة فرأيته يصلي اول الليل يسيرا

ثم يذكر الله الى ان يمضي الثلث الاول يقول المحيط الرب الشهيد الفعال الخلاق
الخالق البارئ المصور فتتضاءل جثته مرة وتعظم اخرى ويرتفع في الهواء الى ان
يغيب عن بصري مرة ثم يصلي قائما على قدميه يتلوا القرآن الى ان يذهب الثلث
الثاني وكان يطيل سجوده جدا ثم يجلس متوجها شاهدا مراقبا الى قريب طلوع
الفجر ثم ياخذ في الدعاء والابتهال والتذلل ويغشاه نور يكاد يخطف الابصار الى
ان يغيب فيه عن النظر قال وكنت اسمع عنده سلام عليكم سلام عليكم وهو يرد
السلام الى ان يخرج لصلاة الفجر وكان يرى الجلوس على بساط الملوك ومن
داناهم من العقوبات المعجلة للفقير . وكان اذا جاءه خليفة او وزير يدخل الدار ثم
يخرج حتى لا يقوم له أعزازا للطريق في اعين الفقراء واجتمع عنده جماعة من الفقراء
والفقهاء في مدرسته النظامية فتكلم عليهم في القضاء والقدر فبينما هو يتكلم اذ سقطت
عليه حية من السقف ففر منها كل من كان حاضرا عنده ولم يبق الا هو فدخلت
الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه والتفت على عنقه وهو
مع ذلك لا يقطع كلامه ولا غير جلسته ثم نزلت على الارض وقامت على ذنبها بين
يديه فصوتت ثم كلمها بكلام ما فهمه احد من الحاضرين ثم ذهبت فرجع الناس
وسألوه عما قالت فقال قالت لي لقد اختبرت كثيرا من الاولياء فلم ار مثل ثباتك
فقلت لها وهل انت الا دويدة يحركك القضاء والقدر الذي اتكلم فيه قال الشيخ
عبد القادر ثم انها جاءتني بعد ذلك وانا اصلي ففتحت فمها موضع سجودي فلما اردت
السجود دفعتها بيدي وسجدت فالتفت على عنقي ثم دخلت من كمي وخرجت من
الكم الآخر ثم دخلت من طوقي ثم خرجت فلما كان الغد دخلت خربة فرايت
شخصا عيناه مشقوقتان طولا فعلمت انه جني فقال لي انا الحية التي رايتها البارحة ولقد
اختبرت كثيرا من الاولياء بما اختبرتك به فلم يثبت احد منهم لي كثباتك وكان منهم

من اضطرب باطنه وثبت ظاهره ومنهم من اضطرب ظاهرا وباطنا ورايتك لم تضطرب ظاهرا ولا باطنا وسألني ان يتوب على يدي فتوبته . وكان يقول ماولدلي قط مولود الا واخذته على يدي وقلت هذا ميت فاخرجه من قلبي اول مايولد . قال ابن الاخص رحمه الله تعالى وكنا ندخل على الشيخ عبد القادر في الشتاء وقوة برده وعليه قميص واحد وعلى راسه طاقية والعرق يخرج من جسده وحوله من يروحه بمروحة كما يكون فى شدة الحر . وكان يقول اذا ابتلى احدكم ببلية فاليحرك اولا اولا لها نفسه فان لم يخلص منها فاليستعن بغيره من الامراء وغيرهم فان لم يخلص فاليرجع الى ربه بالدعاء والتضرع والانطراح بين يديه فان لم يجبه فاليصبر حتى ينقطع عنه جميع الاسباب والحركات ويبقى روحا فقط لا يرى الا فعل الحق جل وعلا فيصير موحدا ضرورة ويقطع بان لا فاعل في الحقيقة الا الله فاذا شهد ذلك تولى امره اليه فعاش في نعمة ولذة فوق لذة ملوك الدنيا لا تشمئز نفسه قط من مقدور قدره الله عليه وكان يقول لا تشكو لاحد ما نزل بك من ضر كائنا من كان صديقا كان أو قريبا ولا تتهم ربك قط فيما فعل فيك ونزل بك من ارادته بل اظهر الخير والشكر ولا تسكن الى احد من الخلق ولا تستأنس به ولا تطلع احدا على ما أنت فيه لا فاعل سوى ربك وكل شيء عنده بمقدار (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) واحذر ان تشكو لله وانت معافى وعندك نعمة ما طالبا للزيادة وتعاميا لما له عندك من النعمة والعافية ازدراء بها فربما غضب عليك وازالها عنك وحقق شكواك وضاعف بلاك وشدد عليك العقوبه ومقتك واسقطك من عينه واكثر ماينزل بابن آدم من البلايا لشكواه من ربه عز وجل وكان يقول اذا احب الله عبدا لم يزد له مالا ولا ولدا وذلك ليزول اشراكه في المحبه لربه تعالى والحق غيور لا يقبل الشركة قلت فان بلغ الولي الى مقام لا يشغله عن الله شاغل فلا بأس بالمال والاولاد وكان يقول ماسأل

احد الناس من دون الله تعالى الا لجهله بالله وضعف ايمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره وما تعفف من تعفف عن ذلك الا لوفور علمه بالله عز وجل ووفور ايمانه وحيائه منه سبحانه وتعالى وكان يقول نما كان الحق تعالى لا يجيب عبده فى كل ماسأله فيه الا شفقة على العبد ان يغلب عليه الرجاء والعزة فيتعرض للمكر به ويغفل عن القيام بآداب الخدمة فيهلك والمطلوب من العبد الا يركن لغير ربه والسلام . وكان يقول علامة الابتلاء على وجه العقوبة والمقابلة عدم الصبر عند وجود البلاء والجزع والشكوى الى الخلق وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصاً للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا جزع ولا ضجر ولا ثقل في إداء الاوامر والطاعات وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا والموافقة وطمأنينة النفس والسكون للاقدار حتى تنكشف اه باختصار . وقال في مناقب سيدي احمد الرفاعي رضي الله عنه منسوب الى بني رفاعة قبيلة من العرب وسكن ام عبيدة بارض البطائح الى ان مات بها رحمه الله تعالى . وكان يقول الفقراء اشراف الناس لان الفقر لباس المرسلين وجلباب الصالحين وتاج المتقين وغنيمة العارفين ومنية المريدين ورضاء رب العالمين وكرامة لاهل ولايته . وكان يقول لما مررت وانا صغير على الشيخ العارف بالله عبد الملك الخرنوبي اوصاني وقال يا احمد احفظ ما اقول لك فقلت نعم فقال ملتفت لا يصل ومتسال لا يفلح ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل اوقاته نقصان فخرجت من عنده وجعلت اكررها سنة ثم رجعت اليه فقلت له اوصني فقال ما اقبح الجهل بالالباء والعلة بالاطباء والجفاء بالاحباء ثم خرجت وجعلت اردها سنة فانتفعت بموعظته وكان يقول اكره للفقراء دخول الحمام واحب لجميع اصحابي الجوع والعري والفقر والذل والمسكنة وافرح لهم اذا نزل بهم ذلك . وكان يقول اذا جئتم عندي ولم تجدوا ما يأكله ذو كبد فاسألوني الدعاء ادع لكم فانى حينئذ لي اسوة برسول الله صلى

الله عليه وسلم قال الشيخ يعقوب رضي الله عنه نظر سيدي احمد الى النخلة فقال
يا يعقوب انظر الى النخلة لما رفعت رأسها جعل الله تعالى ثقل حملها عليها ولو حملت
مهما حملت وانظر الى شجرة اليقطين لما وضعت نفسها والقت خدها على الارض
جعل ثقل حملها على غيرها ولو حملت مهما حملت لا تحس به وكان يقول الصدقة افضل من
العبادات البدنية والنوافل وكان يقول السفر للفقير يرزق دينه ويشتت شمله وكان يقول
لمن شاوره في التزويج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من (تزوج لله كفي ووقي)
وكان يقول من لم ينتفع بافعالي لم ينتفع باقوالي وكان يقول كل اخ لا ينفع في الدنيا
لا ينفع في الاخره وكان يقول طريقتنا مبنية على ثلاثة اشياء لا نسأل ولا نرد ولا
ولا ندخر وكان يقول من علامة اقبال المريد ان لا يتعب شيخه في تربيته بل يكون
سميعا مطيعا للاشارة وان يفتخر شيخه به بين الفقراء لانه يفتخر هو بشيخه
وكان يقول الفقير ان غضب لنفسه تعب وان سلم الامر لمولاه نصره من غير عشيرة
ولا اهل وكان يقول والله مالي خيرة الا في الوحدة فياليتني لم اعرف احدا ولم يعرفني
احد وكان يقول من تمشيخ عليكم فتلمذوا له فان مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا
رجله ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنب فان الضربة اول
ما تقع في الرأس وكان يقول وعدني ربي ان لا اعبر عليه وعليّ شيء من لحم الدنيا
قال يعقوب الخادم ففنى لحمه بأجمعه قبل خروجه من الدنيا . وكان اذا صعد الكرسي
لا يقوم قائما وانما تحدث قاعدا وكان يسمع حديثه البعيد مثل القريب حتى ان
اهل القرى التي حول ام عبيدة كانوا يجلسون على سطوحهم يسمعون صوته ويعرفون
جميع ما يتحدث به حتى كان الاطروش والاصم اذا حضروا يفتح الله اسماعهم لكلامه
وكانت اشياخ الطريق يحضرونه ويسمعون كلامه . وكان يقول اذا اراد الله عز
وجل ان يرقي العبد الى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه اولا فاذا أدب نفسه واستقامت

معه كلفه باهله فان احسن اليهم واحسن عشرتهم كلفه بجيرانه واهل محلته فان هو
احسن اليهم وداراهم كلفه جهة من البلاد فان هو داراهم واحسن اليهم واصلح سريرته
مع الله كلفه ما بين السماء والارض فان بينهن خلقا لا يعلمهم الا الله ثم لا يزال يرتفع
من سماء الى سماء حتى يصل الى محل الغوث ثم ترتفع صفته الى ان تصير صفة من
صفات الحق واطلاعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة الا بنظره وهناك
يتكلم عن الله بكلام لا يسعه عقول الخلائق لانه بحر عميق غرق في ساحله خلق كثير
وذهب به أي ان جماعة من العلماء والصلحاء فضلا عن غيرهم وكان يقول لولده صالح
ان لم تعمل بعملي فلست لك ابا ولا انت لي ولدا . وكان اذا جلست على جسمه بعوضة
لا يطيرها ولا يمكن احداً يطيرها ويقول دعوها تشرب من هذا الدم الذي قسمه
الحق لها . وكان اذا جلست على ثوبه جرادة وهو مار في الشمس وجلست على
محل الظل يمكث لها حتى تطير ويقول انها استظلت بنا وكان اذا نام على كمه هرة
وجاء وقت الصلاة يقطع كمه من تحتها ولا يوقظها فاذا جاء من الصلاة اخذ كمه
وخاطه ببعضه . ووجد مرة كلباً اجرب اخرجه اهل ام عبيدة الى محل بعيد فخرج
معه الى البرية وضرب عليه مظلة وصار يطليه بالدهن ويطعمه ويسقيه ويحت الجرب
منه بخرقة فلما برئ حمل له ماء مسخناً وغسله وكان قد كلفه الله تعالى بالنظر في امر
الدواب والحيوانات . وكان يمشي الى المجذومين والزمني يغسل ثيابهم ويفلي رؤسهم
ولحاهم ويحمل اليهم الطعام ويأكل معهم ويجالسهم ويسألهم الدعاء . ومرّ يوما على
صبيان يلعبون فهربوا منه هيبة له فتبعهم وصار يقول لهم اجعلوني في حل فقد روعتكم
ارجعوا الى ما كنتم عليه ومرّ يوما على صبيان يتخاصمون فخاص بينهم وقال لواحد
منهم ابن من انت فقال وايش فضولك فصار يرددها ويقول ادبتني ياولدي جزاك
الله خيرا . وكان يبتدي من لقيه بالسلام حتى الانعام والكلاب وكان اذا رأى

خنزيراً يقول له انعم صباحا فقيل له في ذلك فقال اعود نفسي الجميل. وكان يخرج
الى الطريق ينتظر العميان حتى اذا جاؤا يأخذ بأيديهم ويقودهم وكان اذا قدم من
السفر وقرب من ام عبيدة يشد وسطه ويخرج حبلا مدخراً معه ويجمع حطباً ثم
يحمله على رأسه فاذا فعل ذلك فعل الفقراء كلهم فاذا دخل البلد فرق الحطب على الارامل
والمساكين والزمنى والمرضى والعميان والمشائخ وقال له شخص من تلامذته ياسيدي
انت القطب فقال نزه شيخك عن القطبية فقال له وانت الغوث فقال نزه شيخك
عن الغوثية قلت وفي هذا دليل على انه تعدى المقامات والاطوار لان القطبية
والغوثية مقام معلوم فمن كان مع الله و بالله فلا يعلم له مقام وان كان له في كل مقام مقام والله
اعلم قال يعقوب الخادم ولما مرض سيدي احمد مرض الموت قلت له تجلى العروس في هذه
المرة قال نعم فقلت له لماذا فقال جرت امور اشتريناها بالارواح وذلك انه اقبل على الخلق
بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقي من عمري فباعني وكان يمرغ وجهه وشيبته
على التراب ويبكي ويقول العفو العفو ويقول اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء
الخلق وكان مرض الشيخ بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ماشاء الله فبقى المرض بالشيخ
شهراً فقيل له من اين لك هذا كله ولك عشرون يوما لاتأكل ولا تشرب فقال
يا اخي هذا اللحم يندفع ويخرج ولكن قد ذهب اللحم وما بقي الا المخ اليوم
يخرج وغداً نعبر على الله فخرج منه شيء ابيض مرتين او ثلاثا وانقطع ثم توفي
يوم الخميس وقت الظهر ثاني عشر جمادى الاولى سنة سبعين وخمسمائة وكان يوما
مشهوداً وكان آخر كلمة قالها اشهد الا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله رضي
الله عنه وأمدنا بمدده وقد سبق شيء من مناقبه في خاتمة الباب الاول فانظره ان
شئت . وقال رضي الله عنه في مناقب سيدي ابراهيم الدسوقي القرشي هو من اجلاء
مشائخ الفقراء أصحاب الخرق وكان من صدور المقربين وكان صاحب كرامات

ظاهرة ومقامات فاخرة وسرائر طاهرة وبصائر باهرة واحوال خارقة وانفاس
صادقة وهمم عالية ورتب سنية ومناظر بهية واشارات نورانية ونفحات روحانية
واسرار ملكوتية ومحاضرات قدسية له المعراج الأعلى فى المعارف والمنهاج الاسنى
فى الحقائق والطور الارفع فى المعالي والقدم الراسخ في احوال النهايات واليد البيضاء
في علوم الموارد والباع الطويل فى التصريف النافذ والكشف الخارق عن حقائق
الآيات والفتح المضاعف في معنى المشاهدات وهو احد من اظهره الله الى الوجود
وابرزه رحمة للخلق واوقع له القبول التام عند الخاص والعام وصرفه فى العالم ومكنه
في احكام الولاية وقلب له الاعيان وخرق له العادات وانطقه بالمغيبات واظهر على
يديه العجائب وصومه فى المهد . ومن كلامه رضي الله عنه من لم يكن مجتهداً في بدايته
لا يفلح له مريد في نهايته فانه ان نام نام مريده وان قام قام مريده وان امر الناس
بالعبادة وهو بطال او توبهم على الباطل وهو يفعله ضحكوا عليه ولم يسمعوا منه .
وكان يقول يجب على المريد الا يتكلم الا بدستور شيخه ان كان جسمه حاضرا وان
كان غائبا يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقى الى الوصول الى هذا المقام في حق ربه
فان الشيخ اذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب واسقاه من ماء
التربية ولاحظه بالسر المعنوي الالهي فياسعادة من احسن الادب مع مربيه ويا شقاوة
من اساء . وكان يقول من قام بقلبه في حضرة ربه لا يكلف في غيبته فاذا خرج
الى عالم الشهادة قضى مافاته وهذا حال المبتدئين اما حال الكمل فلا يجري عليهم
هذا الحكم بل يردون لاداء فرضهم وسنتهم وكان يقول من لم يكن متشرعا متحققا
نظيفاً عفيفاً شريفاً فليس من اولادي ولو كان ابني لصلبي وكل من كان من المريدين
ملازما للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع
فهو ولدي وان كان من اقصى البلاد وكان يقول الشريعة اصل والحقيقة فرع فالشريعة

جامعة لكل علم مشروع والحقيقة جامعة لكل علم خفي وجميع المقامات مندرجة
فيهما . وكان يقول يجب على المريد ان يأخذ من العلم مايجب عليه فى تأدية فرضه
ونفله ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فان ذلك شغل له عن مراده بل يفحص على
آثار الصالحين فى العمل ويواظب على الذكر وكان يقول الرجال منهم رجل ونصف
رجل وربع رجل ورجل كامل وبالغ ومدرك واوصل وكان يقول يامريدي اجمع
همة العزم وقوة شدة الحزم لتعرف الطريقة بالادراك لا بالوصف فاي مقام وقفت
فيه حجبك بل ارفض كلما حجبك عن مولاك فان كل ما دون الله باطل . وكان
يقول احذر يا اخي ان تدعي ان لك معاملة خالصة او حالا واعلم انك اذا صمت
فهو الذي صومك وان قمت فهو الذي اقامك وان عملت فهو الذي استعملك وان رأيت
فهو الذي اراك وان شربت شراب القوم فهو الذي سقاك وان اتقيت فهو الذي وقاك وان
ارتفعت فهو الذي رقى منزلتك وان نلت فهو الذي نولك وليس لك فى الوسط شيء الا ان
تعترف بانك عاص مالك حسنة واحدة وهو صحيح من اين لك حسنة وهو الذي احسن
اليك وهو الحاكم فيك ان شاء قبلك وان شاء ردك وكان يقول أول الطريق الخروج عن
النفس والتلف والضيق والحظ فان الفلاح والنجاح والصلاح والهدى والارباح لا يصح
الا لمن ترك الحظ وقابل الاذى والشر بالاحتمال والخير ووسع خلقه والفقير لا يكون له
يد ولا لسان ولا كلام ولا صرف ولا شطح ولا فعل رديء ولا يصرفه عن محبوبه
صارف ولا ترده السيوف والمتالف وكان يقول اكل الحرام يوقف العمل ويوهن الدين
وقول الحرام يفسد على المبتدىء عمله والطعام الحرام يفسد على العامل عمله ومعاشرة
اهل الادناس تورث الظلمة للبصر والبصيرة وكان يقول إياك ياولدي ان تقبل فتوى
ابليس لك فى الرخص فتعمل بها عملك بالعزائم فانه يأمرك بالغي والبغي فى حجة
رخصة الشرع لا سيما ان اوقعك في محظور ثم قال لك هذا مقدور ايش كنت

انت فانك تهلك بالكلية . واعلم ياولدي ان الله تعالى ما أمرك الا باتباع نبيه صلى
الله عليه وسلم وقد نهاك عن كل شيء يؤذيك في الدنيا والآخرة فما بالك تخالفه وان
كنت ياولدي تقنع بورقة تزعم انها اجازة انما اجازتك حسن سيرتك واخلاص
سريرتك وشرط المجاز ان يكون ابعد الناس عن الآثام كثير القيام والصيام مواظبا
على ذكر الله على الدوام فان العبد كلما خدم قدمه سيده على بقية العبيد فهذه هي
الاجازة الحقيقة واما اذا ادعيت المشيخة وعصيت ربك قال لك اف لك اما تستحي
اين دعواك القرب منا اين غسل ثيابك المدنسة لمجالستنا كم ترعى في بطنك من
الحرام كم تنقل اقدامك الى الآثام كم تنام واحبابي قد صفوا الاقدام انت مدع
كذاب والسلام . كان يقول الله خصم كل من شهر نفسه بطريقتنا ولم يقم بحقها
واستهزأ بنا . وكان يقول من خان لا كان ومن لم يتعظ بكلامنا فلا يمشي في ركابنا
ولا يلم بنا ولا نحب من اولادنا الا الشاطر المليح الشمائل وذلك يصلح لوضع
السر فيه فيا اولادي ناشدتكم الله لا تسوءوا طريقي ولا تلعبوا بتحقيقي ولا تدلسوا
ولا تلبسوا واخلصوا تخلصوا فكما احببناكم واخترناكم فلا تكدروا علينا ولا ترموا
طريقتنا بالكلام وكما وفينا لكم حقكم فى التربية والنصح فوفوا لنا بالاستماع والاتعاظ
وانما امرتكم بما امركم به ربكم فهو امر الله لا امري فان نقضتم العهد فانما هو عهد
الله وان كنتم لا تأخذون منا الا اوراقا فلا حاجة لنا بكم . وكان يقول بايعت الله على
اني لا التمس اموالكم ولا آخذ قراءتكم ولا ادنس خرقتي بما في ايديكم فاسمعوا
واطيعوا وعلى اموالكم الآمان مني ومن جماعتي الذين اخلصوا معي واسأل الله ان
يلحق بقية اولادي بمن خلص معي ويجعلهم مثلهم فيشفقون على اخوانهم وينصحونهم
مع تجنب اموالهم . وكان يقول ياحامل القرآن لا تفرح بحمله حتى تنظر هل عملت
به ام لا فان الله يقول (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا)

ولا تخرج عن كونك حمارا الا ان عملت بجميع مافيه ولم يكن منه حرف واحد يشهد عليك . وكان يقول يا اولادي كم غرور كم لهو كم لعب كم غي كم هوى كم افتراء كم نكد كم غدر كم سهو كم نسيان كم غفلة كم ذلة كم اجرام كم زور كم فتور كم وعظ تسمعون ولا تتعظون ما انتم الا كالاموات . وكان يقول ياولد قلبي تجرد من قالبك الى قلبك والزم الصمت عن الاشتغال بما لا فائدة لك فيه من الجدال والنقل وزخرف القول وصمم العزم واركب جواد الطريق واحتم حمية قبل الشربة تكون باطناً ولا تشرب الا شرابا يكون فيه محو وسكر آه آه ما احلى هذه الطريق ما اسناها ما امرها ما اقتلها ما اجلاها ما احياها ما اصعبها ما اكبدها ما اكثر مصائدها ما اصعب مواردها ما اعجب واردها ما اعمق بحرها ما اكثر اسدها ما اكثر مددها ما اكثر عقاربها وحياتها فبالله يا أولادي لا تتفرقوا واجتمعوا يحميكم الله من الآفات ببركة استاذكم وكان يقول كيف تطاب ليلى وانت ليلا ونهارا مع عذالها ولوامها والمنكرين على اهل حضرتها والمعترضين عليهم والخائنين لعهودهم انما تبرز ليلى لمن تهتك فيها ولم يقبل عذل عذالها ولم يسمع لكلام المنكرين على أهل حضرتها وليلى لا تحب من يحب سواها ويخطر في سره محبة لسواها انما تحت من كان بشرابها ثملان ولهان زهلان غرقان نشوان هيمان حتى لو اجتمع الثقلان على ان يلووا قلبه عنها وان يحلوا عقدة عهدها معه مااستطاعوا فانظر حالك ياولدي وكان يقول يااولاد قلبي لا تجالسوا ارباب المحال وزخرف الاقوال ولقلقة اللسان وجالسوا من هو مقبل على ربه حتي اخذت منه الطريق ودقة التمزيق وتفرق عنه كل صديق حتي عاد كالخلال وذاب جسمه من تجرع شراب سموم الطريق وصار نومه افضل من عبادة غيره لانه في نومه فى حضرة ربه وربما كان العابد في عبادته مع نفسه وكان يقول من علامة المريد الصادق ان يكون سائرا في الطريق ليلا ونهارا غدوا وابكارا لا مقيل له ولا هدو وجواده

قد فرغ من اللحم وامتلأ من الشاجعة والعزم قد شق مطيته الثرى واسقمها البرا لا يقيد همته مقيد ولا يهوله مهلك ولا توجعه ضربات الصوارم ولا يشغله شيطان غوى ولا مارد جني كل من خاصمه في محبوبه عاد مخصوما لا يهدأ ولا ينام ولا يضحي بل الدهر كله سري حتى يدخل خيام ليلى ويضع خده على اطناب الخيام فاذا سمع الخطاب بالترحيب من الاحباب انتعش وطاب وسمع الخطاب بالترحيب من قاب قوسين هناك استرح ياطالما قطعت براري وقفارا وجبالا وبحارا وظلاما ونارا ياطول ماتعبت وتعنيت ويا طول مارجع غيرك من الطريق وجئت فاكرم الله تعالى مثواك ولا خيب مسعاك انت اليوم ضيف عندنا ويومنا لا انقضاء له ابد الابدين ودهر الداهرين وكان يقول قوت المبتدئ الجوع ومطره الدموع ووطره الرجوع يصوم حتي يرق ويلين وتدخل الرقة قلبه وتفتح مسامع لبه ويزول الوقر من سمعه فيسمع باذن وقلب كلام القرآن ومواعظه وأما من اكل ونام ولغى فى الكلام وترخص وقال ليس على فاعل ذلك ملام فانه لا يجيئ منه شيء والسلام وكان يقول مابنيت طريقتنا هذه الا على التيار والنار والبحر الهدار والجوع والاصفرار ما هي بمشدقتك ولا بالفشار فما وجدت من اولادي واحداً الا اقتفى آثار الرجال ولا صلح ان يكون محلا للاسرار فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم من هذا الزمان الغدار . وكان يقول الفقير كالسلطان مهابة وكالعبد الذليل تواضعاً ومهابة وكان يقول الشيخ حكيم المريد فاذا لم يعمل المريد بقول الحكيم لا يحصل له شفاء وكان يقول مذ صرفنا همنا اليه اغنانا عمن سواه انا لا نعرف قط ابليس اللعين وكان يقول كيف يدعي احدكم انه مريد طريق الله وهو ينام وقت القيام ووقت فتوح الخزائن ووقت نشر العلوم واظهار الرقوم ووقت تجلي الحي القيوم يا كذابون اما تستحيون من الدعاوي الكاذبة وهممكم راقدة وعزائمكم خامدة ماهكذا درج اهل

الطريق فالله تعالى يلهم جميع اولادي طريق الفلاح آمين . وكان يقول اهل الشريعة
يبطلون الصلاة باللحن الفاحش واهل الحقيقة يبطلون الصلاة بالخلق الفاحش فاذا
كان في باطنه حقد او حسد او سوء ظن باحد اومحبة للدنيا فصلاته باطلة لان
اهل هذه الاخلاق في حجاب عن شهود عظمة الله تعالى في الصلاة ومن كان قلبه
محجوبا فما صلى لأن الصلاة صلة بالله تعالى وكان يقول ياولدى ان صح عهدك
معي فانا منك قريب غير بعيد وانا في ذهنك وانا في سمعك وانا في طرفك وانا في
جميع حواسك الظاهرة والباطنة وان لم يصح لك عهدا لاتشهدني الا البعد وكان
يقول ياولدي اذا كنت تصوم الدهر وتقوم الليل ولك سريرة طاهرة ومعاملة
خالصة فلاتدعى وتقول الا انك عاص مفلس لاغير واحذر من غرور النفس وزورها
فكم تلف من ذلك فقير وكان يقول ان كنت تطلب ان تكون من اولادى فقم
قياما دائما وجاهد جهادا ملازما ولا تمل ولا تول ولا ترخص لنفسك في ترك
الاشتغال بالعبادة في حجة خوف الملل فاذ الناقد بصير والنفس من شأنها التلبس
على صاحبها وكان يقول كل من تزيا بزى القوم ينفعه زيه او درجه او خرقته فان
هذه امور ظاهرة والقوم انما عملهم جواني اذ بذلك يرقون مراقي درجة الرجال
وما رأينا احدا لبس جبة او كتبت له اجازة فبلغ مبلغ الرجال بذلك قط بل فعل
ذلك يوقف المريد عن طلب المزيد والامر ليس له قرار . وكان يقول اذا تجلى
عروس الكلام فى رتبة الالهام طلعت شموس المعارف وتجلى البدر المنير فى الليل
البهيم فهم سكرى الظواهر صحوى البواطن والضمائر اذا جن عليهم الليل باتوا
قائمين فاذا هب عليهم نسيم السحر مالوا مستغفرين فلما رجعوا عند الفجر بالاجر
نادى منادي الهجر ياخيبة النائمين وكان يقول ياولدي البس قميص الفقراء النظيف
الظريف ما الامر بلبس الثياب ولا بسكنى القباب والخانقات ولا بالزاويات ولا بلبس

العبايات ولا بلبس القبا ولا بالازق وحف الشوارب ولا بلبس الصوف ولا بالنعل
المخصوف انما الفقر ان تخلص عملك كله في قلبك وتلبس ثوب صدق عزمك وتحتزم
بحزم ايمانك فاذا كان عملك كله في قلبك كان فائدة وربحا واضرم نار القلب واحترق
الحشا وامتلأ القلب خوفا من الله تعالى ومحبة له فما رقيق الثياب حينئذ وما خشنها
فاذا قويت فى القلب الانوار ولم يطق صاحبه حمل ثوب رقيق ولا ازار فان تهتك
هذا لا يلام وان صاح اوباح فقد حل عنه الملام وان رش عليه الماء في ليالي الاربعينات
فلا يزيد الا اضراما وكل شئ نزل باطنه من الطعام والماء نار واستنار فيا اولادي
الفقراء كلهم عندي ملاح فليكونوا عندكم كذلك فاحذروا الانكار وقد اسلفنا جملة
من كلامه فى المباحث السابقة وكذلك ذكرنا من جواهر كلمه جملة صالحة في الزواجر
القطعية فانظرها ان اردت . عاش رضي الله عنه من العمر ثلاثا واربعين سنة ولم
يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة
وقال رضي الله عنه في مناقب الحسيب النسيب ابي العباس سيدي احمد البدوي
الشريف رضي الله عنه وشهرته في جميع اقطار الارض تغني عن تعريفه ولكن
نذكر جملة من احواله تبركا به فنقول وبالله التوفيق . مولده رضي الله عنه بمدينة
فاس بالمغرب لان اجداده انتقلوا ايام الحجاج اليها حين اكثر القتل فى الشرفا فلما
بلغ من العمر سبع سنين سمع ابوه قائلا يقول له في منامه يا علي انتقل من هذه البلاد
الى مكة المشرفة فان لنا في ذلك شأنا وكان ذلك في سنة ثلاث وستمائة . قال الشريف
حسن اخو سيدي احمد فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب
والاكرام حتى وصلنا الى مكة المشرفة فى اربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم واكرمونا
ومكثنا عندهم في ارغد عيش حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة ودفن
بباب المعلاة وقبره هناك ظاهر يزار في زاوية قال الشريف حسن فاقمت انا واخوتي

وكان احمد اصغرنا سنا واشجعنا قلبا وكان من كثرة مايتلثم لقبناه بالبدوي فاقرأته
القرآن في المكتب مع ولدي الحسين ولم يكن في فرسان مكة اشجع منه وكانوا
يسمونه فى مكة العطاب فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت احواله واعتزل عن
الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس الا بالاشارة . وكان بعض العارفين يقول
انه حصلت له جمعية على الحق تعالى فاستغرقته الى الابد ولم يزل حاله يتزايد الى
عصرنا هذا ثم انه في شوال سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مرات
قائلا يقول قم واطلب مطلع الشمس فان وصلت الى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس
وسر الى طندتا فان بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور اهله وسار الى العراق
فتلقاه اشياخها منهم سيدي عبد القادر وسيدي احمد ابن الرفاعي فقالا يا أحمد مفاتيح
العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بايدينا فاختر أي مفتاح شئت منها
فقال لهما سيدي أحمد لا حاجة لي بمفاتيحكما ما آخذ المفتاح الا من يد الفتاح قال
سيدي حسن فلما فرغ سيدى احمد من زيارة اضرحة اولياء العراق كالشيخ عدي
ابن مسافر والحلاج واحزابهما خرجنا قاصدين طندتا فأحدق بنا الرجال من
سائر الاقطار يعاندونا ويعارضونا ويقاتلونا فأوما سيدى احمد اليهم بيده فوقعوا
أجمعين فقالوا له يا أحمد أنت ابوا الفتيان فانكبوا مهزومين راجفين ومضينا الى
ام عبيدة فرجع سيدى حسن الى مكة وذهب سيدى احمد الى فاطمة بنت برى
وكانت امرأة جميلة لها حال عظيم وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم
فسلبها سيدى احمد حالها وتابت على يديه نها لا تتعرض لاحد بعد ذلك اليوم
وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا على بنت بري الى اماكنهم وكان يوماً مشهودا
بين الاولياء ثم ان سيدي احمد رأى الهاتف في منامه يقول يا احمد سر الى طندتا
فانك تقيم بها وتربي بها رجالا وابطالا عبد العال وعبد الوهاب وعبد المجيد وعبد

المحسن وعبد الرحمن وكان ذلك في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين وستمائة فدخل
مصر ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعا دار شخص من مشايخ البلد اسمه
ابن شحيط فصعد الى سطح غرفته وكان طول نهاره وليله قائما شاخصا ببصره الى
السماء وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر وكان يمكث الاربعين يوما
لا ياكل ولا يشرب ولا ينام ثم نزل من السطح وخرج الى ناحية فيشا المنارة فتبعه
الاطفال فكان منهم عبد العال وعبد المجيد فورمت عين سيدي احمد فطلب من
عبد العال بيضة يعملها على عينه فقال وتعطيني الجريدة الخضراء التي معك فقال سيدي
احمد نعم فاعطاها له فذهب الى امه فقال هنا بدوي عينه توجعه فطلب مني بيضة
واعطاني هذه الجريدة فقالت ماعندي شيء فرجع واخبر سيدي احمد فقال اذهب
وأتني بواحدة من الصومعة فذهب سيدي عبد العال فوجد الصومعة قد ملئت
بيضاً فاخذ له واحدة منها وخرج اليه ثم ان سيدي عبد العال تبع سيدي احمد من
ذلك الوقت ولم تقدر امه على تخليصه منه فكانت تقول يا بدوي الشوم علينا فكان
احمد اذا بلغه ذلك يقول لو قالت يا بدوي الخير كانت اصدق ثم ارسل لها يقول انه
ولدي من يوم قرن الثور وكانت ام عبد العال قد وضعته في معلف الثور وهو رضيع
فطاطا الثور لياكل فدخل قرنه فى القماط فشال عبد العال على قرنيه فهيج الثور فلم
يقدر احد على تخليصه منه فمد سيدي احمد يده وهو بالعراق فخلصه من القرن
فتذكرت ام عبد العال الواقعة واعتقدته من ذلك اليوم فلم يزل سيدي احمد على
السطوح مدة اثني عشر سنة وكان سيدي عبد العال ياتي اليه بالرجل او الطفل فيطاطي
من السطوح فينظر اليه نظرة واحدة فيملأه مددا ويقول لعبد العال اذهب الى
بلد كذا او موضع كذا فكانوا يسمون اصحاب السطوح وكان لم يزل متلثما بلثامين
فاشتهى عبد المجيد رؤية وجه سيدي احمد فقال يا سيدي اريد ان ارى وجهك فقال

له يا عبد المجيد كل نظارة برجل فقال ارني ولو مت فكشف له اللثام الفوقاني فصعق
ومات فى الحال . وكان في طندتا سيدى حسن الصايغ الاخناني وسيدى سالم المغربي له
فلما قرب سيدي احمد من مصر اول مجيئه من العراق قال سيدى حسن ما بقى لنا
إقامة صاحب البلاد قد جاءها فخرج الى ناحية اخنى وضريحه بها مشهور الى الآن .
ومكث سيدي سالم فسلم لسيدي احمد ولم يتعرض له فاقره سيدي احمد وقبره في
طندتا مشهور وانكر عليه بعضهم فسلب وانطفى اسمه وذكره . ومنهم صاحب
الايوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان ولياً عظيما فثار عنده الحسد ولم يسلم
الامر لقدرة الله تعالى فسلب وموضعه الآن بطندتا ماوى للكلاب ليس فيه
رائحة صلاح ولا مدد وكان الخطباء بطندتا انتصروا له وعملوا له وقفاً وانفقوا عليه
اموالا وبنوا لزاويته مادنة عظيمة فرفضها سيدي عبد العال برجله فغارت الى وقتنا
هذا وكان الملك الظاهر بيبرس ابو الفتوحات يعتقد سيدي احمد اعتقاداً عظيما وكان
ينزل لزيارته ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر فتلقوه واكرموه
غاية الاكرام . وكان رضي الله عنه غليظ الساقين طويل الذراعين كبير الوجه اكحل
العينين طويل القامة قمحي اللون وكان في وجهه ثلاث نقط من أثر جدري في خده
اليمين واحدة وفي الايسر اثنان اقنى الانف على انفه شامتان من كل ناحية شامة سوداء
اصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد اخيه الحسين بالابطح
حين كان بمكة ولم يزل من حين كان صغيراً باللثامين والفرزتين ولما حفظ القرآن
اشتغل بالعلم مدة على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه حتى حدث له حادث الوله
فترك ذلك الحال وكان اذا لبس ثوبا او عمامة لا يخلعها لغسل ولا لغيره حتى تذوب
فيبدلونها له بغيرها والعمامة التي يلبسها الخليفة كل سنة فى المولد هي عمامة الشيخ
بيده واما البشت الصوف الاحمر فهو من لباس سيدي عبد العال رضي الله عنه

وكان يقول وعزة ربي سواقي تدور على البحر المحيط لو نفذ ماء سواقي الدنيا كلها لما نفذ
ماء سواقي مات سنة خمسة وسبعين وستمائة واستخلف بعده على الفقراء سيد عبد
العال وسار سيرة حسنة وعمر المقام والمنارات ورتب الطعام للفقراء وارباب الاشاير
وامر بتصغير الخبز على الحال الذي هو عليه اليوم وامر الفقراء الذين صحت لهم
الاحوال بالاقامة في الاماكن التي كان يعينها لهم فلم يستطع احد ان يخالفه فامر
سيدي يوسف ابا سيدي اسماعيل الانبابي ان يقيم بانبوبه وسيدي احمد اباطرطور
ان يقيم تجاه انبوبه فى البرية وسيدي عبد الله الجيزي ان يقيم في البريه تجاه الجيزه
وامر سيدي وهيبا بالاقامة فى برشوم الكبرى فاما سيدي يوسف فاقبلت عليه الامراء
والاكابر من اهل مصر وصار سماطه فى الاطعمة لا يقدر عليه غالب الامراء فقال الشيخ
احمد ابو طرطور يوما لاصحابه اذهبوا بنا الى اخينا يوسف ننظر حاله فمضوا اليه فقال لهم
كلوا من هذه الماوردية واغسلوا الغش الذي في بطونكم من العدس والبسلة لسيدى احمد
فغضب الشيخ ابو طرطور من ذلك الكلام وقال ماهو الا كذا يا يوسف فقال هذه
مباسطة فقال ماهو الا محاربة بالسهام فمضى ابو طرطور الى سيدي عبد العال واخبره
الخبر فقال لا تتشوش يا اباطرطور نزعنا ما كان معه واطفأنا اسمه وجعلنا الاسم لولده
اسماعيل فمن ذلك اليوم انطفأ اسم سيدنا يوسف الى يومنا هذا واجرى الله على يدي
سيدي اسماعيل الكرامات وكلمته البهائم وكان يخبر انه يرى اللوح المحفوظ ويقول يقع
كذا وكذا الفلان فيجيء الامر كما قال فانكر عليه شخص من علماء المالكية وافتى بتعزيره
فبلغ ذلك سيدي اسماعيل فقال ومما رأيته فى اللوح المحفوظ ان هذا القاضي يغرق في بحر
الفرات فارسله ملك مصر الى ملك الافرنج ليجادل القسيسين عندهم فانه وعد باسلامهم
ان قطعهم عالم المسلمين بالحجة فلم يجدوا في مصر اكثر كلاما ولا اجدل من هذا القاضي
فارسلوه فغرق فى بحر الفرات الى ان قال واما امر سيدي الشيخ محمد المسمى بقمر الدولة

فلم يصحب سيدي احمد زمانا انما جاء من سفر في وقت حر شديد فطلع يستريح في طندتا فسمع بان سيدي احمد ضعيف فدخل عليه يزوره وكان سيدي عبد العال وغيره غائبين فوجد سيدي احمد قد شرب ماء بطيخة وتقاياه ثانيا فيه فاخذه سيدي محمد المذكور وشربه فقال له سيدي احمد انت تمر دولة اصحابي فسمع بذلك عبد العال والجماعة فخرجوا لمعارضته وقتله بالحال فرمح فرسه في البئر التي بالقرب من كوم التربة النقاضه فطلع من البئر التي بناحية نفيا فانتظروه عند البئر التي نزل فيها زمانا فجاء الخبر انه طلع من تلك البئر التي قرب نفيا فرجعوا عنه فاقام بنفيا الى ان مات لم يطلع طندتا من سيدي عبد العال وكان من اجناد السلطان وعمامته وثوبه وقوسه وجبته وسيفه معلقات في ضريحه بنفيا ثم قال الشيخ قلت وسبب حضوري مولده كل سنة ان شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي احد اعيان بيته رحمه الله قد كان اخذ علي عهدا في القبة تجاه وجه سيدي احمد وسلمني اليه بيده فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدي وقال ياسيدي يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك فسمعت سيدي احمد من القبر يقول نعم ثم اني رأيته بمصر مرة اخرى هو وسيدي عبد العال وهو يقول زرنا بطندتا ونحن نطبخ لك ملوخية ضيافتك فسافرت فاضافني غالب اهلها وجماعة المقام ذلك اليوم كلهم بطبيخ الملوخية ثم رأيته بعد ذلك وقد اوقفني على جسر قحافة تجاه طندتا فوجدته سوراً محيطا وقال قف هنا ادخل عليّ من شئت وامنع من شئت ولما دخلت بزوجتي فاطمة ام عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمس شهور لم اقرب منها فجاءني واخذني وهي معي وفرش لي فرشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل وطبخ لي حلواً ودعى الاحياء والاموات اليه وقال ازل بكارتها هنا فكان الامر تلك الليلة وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ثمان واربعين وستمائة وكان هناك بعض الاولياء فاخبرني ان سيدي احمد كان

ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول ابطأ عبد الوهاب ما جاء واردت التخلف سنة من السنين فرأيت سيدي احمد ومعه جريدة خضراء يدعو الناس من سائر الاقطار والناس خلفه ويمينه وشماله امم وخلائق لا يحصون فمر عليّ وانا بمصر فقال اما تذهب فقلت بي وجع فقال الوجع لا يمنع المحب ثم اراني خلقا كثيرا من الاولياء وغيرهم الاحياء والاموات من الشيوخ والزمنى باكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد ثم اراني جماعة من الاسرى جاؤا من بلاد الافرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم فقال انظر هؤلاء في هذا الحال ولا يتخلفون فقوي عزمي على الحضور فقلت ان شاء الله تعالى نحضر فقال لا بد من الترسيم عليك فرسم عليّ سبعين عظيمين اسودين كالافيال وقال لا تفارقاه حتى تحضروا به فاخبرت بذلك سيدي الشيخ محمد الشناوي فقال سائر الاولياء يدعون الناس بقصادهم وسيدي احمد يدعو الناس بنفسه الى الحضور ثم قال ان سيدي الشيخ محمد السروري تخلف يوما عن الحضور فعاتبه سيدي احمد وقال موضع يحضر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم والسلام معه واصحابهم والاولياء رضي الله عنهم ما تحضره فخرج الشيخ محمد الى المولد فوجد الناس راجعين وفاته الاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه . وقد اجتمعت مرة انا واخي ابو العباس الحريثي بولي من اولياء الهند بمصر المحروسة فقال ضيفوني فاني غريب وكان معه عشرة انفس فصنعت لهم فطيراً وعسلا فاكل فقلت له من اي البلاد فقال من الهند فقلت ما حاجتك في مصر فقال حضرنا مولد سيدي احمد فقلت له متى خرجت من الهند فقال يوم الثلاثاء فنمنا ليلة الاربعاء عند سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وليلة الخميس عند الشيخ عبد القادر ببغداد وليلة الجمعة عند سيدي احمد بطندتا فتعجبنا من ذلك فقال الدنيا كلها خطوة عند اولياء الله واجتمعنا به يوم السبت انفضاض

المولد طلعة الشمس فقلنا لهم من عرفكم بسيدي احمد في بلاد الهند فقالوا يالله العجب اطفالنا الصغار لا يخافون الا ببركة سيدي احمد وهو من اعظم ايمانهم وهل احد يجهل سيدي احمد ان اولياء ماوراء البحر المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده واخبرني الشيخ محمد الشناوي ان شخصا انكر حضور مولده فسلب الايمان فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام فاستغاث بسيدى احمد فقال بشرط ان لا تعود فقال نعم فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له وماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال والنساء فقال له سيدى احمد ذلك واقع في الطواف ولم يمنع احد منه قال وعزة ربي ماعصي احد في مولدى الا وتاب وحسنت توبته واذا كنت ارعي الوحوش والسمك في البحار واحميهم من بعضهم بعض افيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي وحكى لي شيخنا أيضاً ان سيدي الشيخ ابا الغيث ابن كتيلة احد العلماء بالمحله الكبرى واحد الصالحين بها كان بمصر فجاء الى بولاق فوجد الناس مهتمين بامر المولد والنزول في المراكب فانكر ذلك وقال هيهات ان يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم صلى الله عليه وسلم مثل اهتمامهم بأحمد البدوي فقال له شخص سيدي احمد ولى عظيم فقال ثم في هذا المجلس من هو أعلى منه مقاماً فعزم عليه شخص فاطعمه سمكا فدخلت حلقه شوكة تصلبت فلم يقدروا على نزولها بدهن غطاس ولا بحيلة من الحيل وورمت رقبته حتى صارت كخلاية النحل تسعة شهور وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام وانساه الله تعالى السبب فبعد التسعة شهور ذكره الله بالسبب فقال احملونى الى قبة سيدي احمد فادخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دما فقال تبت لى الله تعالى ياسيدي احمد وذهب الوجع والورم من ساعته وانكر ابن الشيخ خليفة بناحية ابيار بالغربية حضور اهل بلده الى المولد فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوى فلم يرجع فاشتكاه لسيدي احمد

فقال ستطلع عليه حية ترعى فمه ولسانه فطلعت من يومه ذلك واتلفت وجهه ومات بها ووقع ابن اللبان في حق سيدى احمد فسلب القرآن والعلم والايمان فلم يزل تستغيث بالاولياء فلم يقدر احد ان يدخل فى امره فدلوه على سيدى ياقوت العرشي فمضى الى سيدي احمد وكلمه في القبر واجابه وقال له انت ابو الفتيان رد على هذا المسكين رسماله فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رسماله وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان في سيدي ياقوت رضي الله عنه وقد زوجه ابنته ودفن تحت رجليها بالقرافة رحمه الله تعالى وواقعة ابن دقيق العيد وامتحانه لسيدي احمد مشهورة وهو ان الشيخ تقي الدين ارسل الى سيدي عبد العزيز الديريني وقال له امتحن هذا الرجل الذي اشتغل الناس بامره عن هذه المسائل فان اجاب عنها فهو ولي الله تعالى فمضى اليه سيدي عبدالعزيز وسأله عنها فاجاب باحسن جواب وقال هذا الجواب مسطر في كتاب الشجرة فوجدوه فى الكتاب كما قال وكان سيدي عبد العزيز اذا سئل عن سيدي احمد يقول هو بحر لا يدرك له قرار واخباره ومجيئه بالاسرى من بلاد الافرنج واغاثة الناس من قطاع الطريق وحيلولته بينهم وبين من استنجد به لا تحويها الدفاتر . قال الشيخ رضي الله عنه بعد ماسبق قلت وقد شاهدت انا بعيني سنة خمس واربعين وستمائة اسيرا على منارة سيدي عبد العال مقيدا مغلولا وهو مخبط العقل فسألته عن ذلك فقال بينما انا في بلاد الافرنج آخر الليل توجهت الى سيدي احمد فاذا انا به فاخذني وطار بي فى الهواء فوضعني هنا فمكث يومين ورأسه دائرة عليه من شدة الخطفة رضي الله عنه اه ببعض حذف والله أعلم . وقال في مناقب سيدي عبد لرحيم المغربى القناوي هو من اجلاء مشايخ مصر المشهورين وعظماء العارفين صاحب الكرامات الخارقة والانفاس الصادقة له المحل الارفع من مراتب القرب والمنهل العذب من مناهل الوصل وهو احد من جمع الله له بين علمي الحقيقة

والشريعة واتاه مفتاحا من علم السر المصون وكنزا من معرفة الكتاب والحكمة وكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا إله الا الله يقول هو شهدنا بما شاهدنا وويل لمن كذب على الله . وحكي انه نزل في حلقة الشيخ شيخ من الجو لا يدري الحاضرون ما هو فاطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشيخ الى السماء فسألوه عنه فقال هذا ملك وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع وكان اذا قال لعامي يافلان تكلم على العلماء فيتكلم عليهم في معانى الآيات والاحاديث حتى لو كان هناك عشرة آلاف محبرة لكتبت عنه ثم يقول له اسكت فلا يجد ذلك العامي معه كلمة واحدة من تلك العلوم . وكان بعض العارفين يقول لو كنت حاضر عند وفاة الشيخ عبد الرحيم ما مكنتهم من دفنه بل كنت اتركه فوق ظهر الارض فكل من نظر اليه نطق بالحكمة توفي بقنا بصعيد مصر وقبره بها مشهور يزار ومر عليه مرة كلب فقام له اجلالا فقيل له في ذلك فقال رأيت في عنقه خيطاً ازرق من زي الفقراء . وقال له مرة رجل اوصني فقال كن فى الفقراء كتيس الغنم مع الغنم يعني لا ينطق مع عدم غفلته عن مصالحهم اه المراد منه بمزيد اختصار والله اعلم

وقال في مناقب سيدي الشيخ علي المليجي كان معاصرا لسيدي احمد البدوي وكان سيدي احمد اذا ارسل سيدي عبد العال له في حاجة يقول له اذا وصلت الى جمزور فاخلع نعلك فان هناك خيام المليجي وكان عند سيدي احمد رجل بنا يبني عنده فطلبه سيدي علي وارغبه بزيادة اجرة نخرج الى ناحية مليج فلما دخلها وقعت يد البنا فاخذها سيدي علي وبصق عليها ولصقها فالتصقت وارسل يقول لسيدي احمد انت تقطع ونحن نوصل بباسطه فى الكلام . وقال في مناقب سيدي عبد العزيز الدريني . هو الشيخ العابد الزاهد القدوة ذو الحالات الفاخرة والاحوال الشريفة والكرامات المشهورة والمصنفات الكثيرة فى التفسير والفقه واللغة والتصوف

وغير ذلك وله نظم كثير شائع صحبه جماعة كثيرة من العلماء وانتفعوا بصحبته وكان مقامه ببلاد الريف بارض مصر وكان الناس يقصدونه للتبرك به من سائر الاقطار ويرسلون له من مصر مشكلات المسائل فيجيب عنها باحسن جواب وكان يزور سيدي علي الميجي كثيراً فذبح سيدي علي يوما فرخا فاكله وقال لسيدي علي لا بد ان اكافئك فاستضافه يوما فذبح لسيدي على فرخة فتشوشت امرأته عليها فلما حضرت قال لها سيدي على هش فقامت الفرخة تجري وقال لها يكفينا المرق لا تتشوشي وطلب جماعة من الفقراء كرامة من سيدي عبد العزيز فقال لهم يا اولادي وهل ثم كرامة اعظم من ان الله تعالى يمسك بنا الارض ولم يخسفها وقد استحقينا الخسف . مات سنة سبع وتسعين وستمائة وقبره بديرين ظاهر يزار الى عصرنا هذا

وقال في مناقب سيدي ابراهيم الجعبري كان مجالس وعظه يطرب السامعين ويستجلب العاصين اخبر بموته قبل وفاته ونظر الى موضع قبره وقال يا قبير قد جاءك دبير وكان يضحك اهل مجلسه اذا شاء في حال بكائهم ويبكيهم اذا شاء في وسط ضحكهم وكان يعظ وهو يمشي بين اهل مجلسه يسدي وينير وكانت له مريدة تسمع وعظه وهو بارض مصر وهي بارض اسوان من اقصى الصعيد فبينما هو يعظ الناس وهم يبكون انشد قاعدة فى الطاقة . والكلب يأكل فى العجين . يا كلب كل وتهنى ما للعجين اصحاب . فالتفتت المريدة فاذا الكلب يأكل في عجينها وارخوا الحكاية فجاء الخبر بذلك وكان يوما يعظ والناس يبكون . فقال لهم قولوا معي شقع بقع يا الله يقع فجاء الخبر ان القاضي المالكي نزل من باب المدرج من قلعة مصر فوقع فانكسرت رقبته فجاء الخبر انهم عقدوا للشيخ عقد مجلس في منعه من الوعظ وقالوا انه يلحن فى القرآن وفى الحديث فامتنع القضاة الثلاثة وافتى المالكي بمنعه فجاء القضاة الثلاثة وقبلوا رجل الشيخ وقالوا كلنا كنا هالكين لو افتينا فيك بشيء فقال الشيخ نحن

لاتلحن وانما سمعكم هو الذى يلحن ويسمع الزور والباطل وكان يكاتب السلطان
من ابراهيم الجعبرى الى الكلب الزوبرى فكان السلطان يقول من اطلع هذا على
اسمي في بلادى انه والله اسمى في بلادنا قبل ان اجئ فعقد العلماء مجلساً وافتوا
بتعزير الشيخ فحبس الشيخ بولهم وبول السلطان فعجزوا عن اطلاقه بكل حيلة
فنزلوا اليه واستغفروا فأمرهم بالاستنجاء من ابريقه فأطلق بولهم وشوش نصراني
الطور على جماعة من اصحابه فأرسل اليه وقال اقسم بالله ان عدت الى أذاهم
لاقط هذا القلم فقال النصراني بقلبه وما تقطه فقط القلم فسقطت رأس النصراني
وكان نارا موقدة على الظلمة والولاة وكان امارا بالمعروف وله نظم وسجع وشطح
مات فى المحرم سنة سبع وثمانين وسبعمائة ودفن بزوايته خارج باب النصر وقبره بها
ظاهر يزار انتهى وتقدم للشيخ اول الكتاب فى فصل عباد النساء ان من هن امرأة
رياح القيسي وقال هناك كانت تقوم الليل كله اذا مضى الربع الاول تقول له قم
يارباح للصلاة فلا يقوم فتقوم ثم تأتيه وتقول له قم يارباح فلا يقوم فتقوم الربع الاخر
الى تمام الليل ثم تأتيه وتقول قم يارباح قد مضي عسكر الليل وانت نائم فليت شعرى
من غرني بك يارباح ما انت الا جبار عنيد وكانت اذا صلت العشاء تطيبت ولبست
ثيابها ثم تقول لزوجها ألك حاجة فان قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت الى الفجر
انتهى المراد منه وقال في مناقب سيدي محمد ابن احمد الفرغل المدفون في ابي تيج
بالصعيد كان من الرجال المتمكنين اصحاب التصريف ومن كراماته ان امرأة اشتهت
الجوز الهندي فلم يجدوه فى مصر فقال للنقيب مخيمر يامخيمر ادخل هذه الخلوة واقطع
خمس جوزات من الشجرة التى تجدها داخل الخلوة فدخل فوجد شجرة جوز
فقطع لها منها الخمس جوزات ثم دخل بعد ذلك فلم يجد شجرة ومر عليه شيخ
الاسلام ابن حجر بمصر يوما حين جاء فى شفاعة لاولاد عمر فقال فى سره ما اتخذ

الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه على وجه الانكار عليه فقال له قف ياقاضي
فوقف فمسكه وصار يضربه ويصفعه على وجهه ويقول بل اتخذني وعلمني ودخل عليه
بعض الرهبان فاشتهى عليه بطيخا فى غير اوانه فاتاه به وقال وعزة ربي لم اجده الا خلف
جبل قاف وخطف التمساح بنت مخيمر النقيب فجاء وهو يبكي الى الشيخ فقال له اذهب
الى الموضع الذي خطفها منه وناد باعلى صوتك ياتمساح تعال كلم الفرغل فخرج
التمساح من البحر وطلع كالمركب وهو ماش والخلق بين يديه جارية يمينا وشمالا الى
ان وقف على باب الدار فامر الشيخ الحداد بقلع جميع اسنانه وامره بلفظها من بطنه
فلفظ البنت حية مدهوشة واخذ على التمساح العهد ان لا يعود لخطف احد من
بلده مادام يعيش ورجع التمساح ودموعه تسيل حتي نزل البحر وكان يقول كثيرا
كنت امشي بين يدى الله تعالى تحت العرش وقال لي كذا وقلت له كذا فكذبه شخص
من القضاة فدعى عليه بالخرس فخرس حتي مات وكان في اخر عمره مقعدا ويتكلم
على اخبار سائر الاقاليم من اطراف الارض ويبدلون له كل يوم والثانى زربونا
جديدا وسمعت سيدى محمد ابن عنان يقول زرت الفرغل ابن احمد وانا شاب
فاخبر جماعته بخروجي من بلاد الشرقية وقال هاهو محمد ابن حسن الاعرج خرج
يقصد زيارتنا وكانت له نصرانية معتقدة في بلاد الافرنج فنذرت ان عافى الله ولدها
ان تصنع للفرغل بساطا فكان يقول هاهم غزلوا صوف البساط هاهم دوروا الغزل
على المواسير هاهم شرعوا فى نسجه هاهم ارسلوه هاهم نزلوه المركب هاهم وصلوا به
الى المحل الفلاني ثم الفلاني فقال يوما واحد يخرج يأخذ البساط فانه قد وصل
على الباب فخرجوا فوجدوا البساط على الباب كما قال الشيخ رحمه الله وارسل مع
القاصد الذى جاء بالبساط بعضا من الهدية وقال له غمض عينيك فغمض عينيه
فوجد نفسه فى بلده طينان وسطى وجعلوه حارس الجرن وهو صغير في بني صميت

فأخذ فريكا اخضر وطلع فوق جرن يحرقه فتسامع الناس ان هذا المجنون احرق
الجرن فطلعوا له وضربوه فقال انا قلت للنار لاتحرقي الا فريكي بس وانظروا انتم
فوجدوها لم تحرق الا الفريك . وقال لرجل زوجني ابنتك فقال مهرها غال عليك
فقال كم تريد فقال اربعمائة دينار فقال اذهب الى السافية وقل لها قال لك الفرغل
املئي قادوس ذهب وقادوس فضة فملأت له قادوسين فلم يزل هو وذريته مستورين
ببركة الشيخ حتى ماتوا . وجاءه ابن الزرازيري فقبل رجله فقال وليتك من الخلصة
للملصة فولاه السلطان كشف اربع اقاليم الصعيد وارسل قاصده الى امير في مصر
يشفع عنده في فلاح فقال قل لشيخك انت ذوكاري فرجع القاصد الى الشيخ
واخبره فنقر باصبعه في الارض كهيئة الذي يحفر فجاء الخبر ان السلطان غضب على
ذلك الامير وامر بهدم داره فهي خراب الى الآن ناحية جامع طيلون ثم ضرب
عنقه بعد ذلك فقالوا له ماسببه قال لا اعرف له سبباً الا ان الله حركني لذلك
وجلس عنده فقيه يقرأ القرآن فنط الفقيه فقال له نطيت فقال له من اعلمك ياسيدي
وانت لاتحفظ القرآن فقال كنت ارى نورا متصلا صاعدا الى السماء فانقطع النور
ولم يتصل بما بعده فعلمت انك نطيت . وكان يقول انا من المتصرفين في قبورهم
فمن كانت له حاجة فليأت الى قبالة وجهي ويذكرها لي اقضها له ووقائعه لا تحصيها
الدفاتر توفي سنة نيف وخمسين وثمانمائة اه بحروفه . وقال في مناقب سيدي يوسف
العجمي هو اول من احيى طريقة الشيخ الجنيد بمصر بعد اندراسها وكان ذا طريقة
عجيبة في الانقطاع والتسليك وله التلامذة الكثيرة وعدة زوايا توفي في زاويته
بالقرافة الصغرى في يوم الاحد نصف جمادى الاولى سنة ثمان وستين وسبعمائة وصلى
عليه خلق لايحصون واخذ العهد ولبس الخرقة عن الشيخ نجم الدين محمود الاصفهاني
وعن الشيخ بدر الدين حسن الشمشيري وتلقن الذكر وهو لا إله الا الله عليهما وهي

سلسلة الجنيد . ولما ورد عليه وارد الحق بالسفر من ارض العجم الى مصر فلم يلتفت
اليه فورد ثانياً فلم يلتفت اليه فورد ثالثاً فقال اللهم ان كان هذا وارد صدق فاقلب لي عين
هذا النهر لبنا حتى اشرب منه بقصعتي هذه فانقلب النهر لبناً وشرب منه ثم ذهب الى مصر
وكان سيدي حسن التستري اقدم منه هجرة عند الشيخ وكان يقاربه في الرتبة وقيل انه
كان ارقى منه درجة فلحقه بارض مصر فقال له ياسيدي يوسف يااخي الطريق لاتكون
الا لواحد فاما ان تبرز انت للخلق واكون انا خادمك واما ان ابرز انا وتكون انت خادمي
قياما لناموس الطريق فقال له سيدي حسن بل ابرز انت واكون انا خادك فبرز سيدي
يوسف وابرز بمصر الكرامات والخوارق وكانت طريقته التجريد وان يخرج كل يوم
فقيرا من الزاوية يسأل الناس الى اخر النهار فما يأتي به هو يكون قوت الفقراء ذلك النهار
كائنا ما كان وكان يوم الفقراء يأتي احدهم بالحمار محملا خبزا وبصلا وخيارا وفجلا
ولحما ويوم سيدي يوسف يأتي ببعض كسيرات يابسة يأكلها فقير واحد فسألوه عن
ذلك فقال انتم بشريتكم باقية وبينكم وبين الناس ارتباط فيعطونكم وانا بشريتي فنيت
حتى لاتكاد ترى فليس بيني وبين التجار والسوقة وابناء الدنيا كبير مجانسة وكان
صورة سؤاله ان يقف على الحانوت اوالباب ويقول الله ويمدها حتى يغيب ويكاد يسقط
الى الارض فيقول من لايعرفه هذا العجمي راح في الزرتية وكان يغلق باب الزاوية
طول النهار لايفتح لاحد الا للصلاة وكان اذا دق داق الباب يقول للنقيب اذهب
فانظر من شقوق الباب فان كان معه شيء من الفتوح للفقراء فافتح له والا فهي
زيارات فشارات فقال له انسان في ذلك اعز ماعند الفقير وقته واعز ماعند ابناء
الدنيا مالهم فان بذلوا لنا مالهم بذلنا لهم وقتنا وكان اذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما
قطعة جمر تتوقد فكل من وقع عليه نظره انقلبت عينه ذهبا خالصا ولقد وقع يوما
بصره على كلب فانقادت اليه جميع الكلاب اذا وقف وقفوا واذا مشى مشوا فاعلموا

الشيخ بذلك فارسل خلف الكلب وقال اخسأ فرجعت عليه الكلاب تعضه حتى
هرب منها ووقع له مرة أخرى انه خرج من خلوة الاربعين فوقع بصره على
كلب فانقادت اليه جميع الكلاب وصار الناس يهرعون اليه في قضاء حوائجهم فلما
مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه فلما مات
اظهروا البكاء والعويل والهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور
قبره حتى ماتوا فهذه نظرة الى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على انسان
وهرب بعض مماليك السلطان عنده خوفا من السلطان فارسل يقول للسلطان
اصفح عن هؤلاء فقال ان كنت فقيرا فلا تدخل في امر السلطنة فطلب السلطان
منه مماليكه ليردهم فلم يفعل فقال انت تتلف مماليك السلطان فقال انما اصلحهم فنزل
اليه السلطان فاخرج اليه الشيخ مملوكا منهم وقال له قل لهذه الاسطوانة كوني ذهباً فقال
لها ذلك فصارت ذهباً يراه السلطان بعينه فاستغفر وقبل رجل الشيخ وقال له
الشيخ هذا صلاح أو فساد فعرض على الشيخ رزقاً يوقفها على الفقراء فأبى وقال
لا اعود اصحابي على معلوم وانشد فيه الشيخ يحيى الصنافيري حين وقع بينه وبينه
ما وقع في معارضة الشيخ في دخول مصر

ألم تعلم بأني صيرفي * احك الاولياء على محكي
فمنهم بهرج لاخير فيه * ومنهم من اجوزه بسبكي
وانت الخالص الذهب المصفى * بتزكيتي ومثلي من يزكي

انتهي بحروفه وقال انم
الله عليه في مناقب سيدي بركات الخياط كان من الملامتية وهو شيخ اخي افضل الدين
وشيخ الشيخ رمضان الصايغ الذي من له الزاوية وكان يلبس الشاش المخطط كعمامة
النصارى فيقول له الناس حشاك يا نصراني وكان يخيط المضربات المثمنه وكان يقول
لمن يخيط له هات معك فوطة والا يتسخ قماشك من ثيابي وكان دكانه منتنا قذرا
لان كل كلب وجده ميتا او قط اوخروفا يأتي به فيضعه داخل الدكان فكان احدا

لا يستطيع ان يجلس عنده وكان سيدي الشيخ نور الدين المرصفي وغيره يرسلون له
المهلات فيضعون له الحجر على حانوته فيعلم بالحاجة فيقضيها ويقول الاسم لطوبى
والفعايل لامشير نحن نتعب وهؤلاء يأخذون الهدايا منهم واخبرني الشيخ عبد الواحد
احد جماعة لسيدي ابي السعود الجارحي قال مدحته للشيخ جمال الدين الصايغ مفتي
الجامع الازهر وجماعة فقالوا امضوا بنا نزوره وكان يوم جمعة فسلم المؤذن على المنارة
فقالوا له نصلي الجمعة فقال مالي عادة بذلك فانكروا عليه فقال نصلي اليوم لاجلكم فخرج
الى الجامع الماوردانى فوجد في الطريق مسقات الكلاب فتطهر منها ثم وقع في مشخة الخمير
فقارقوه وصاروا يوبخون الشيخ عبد الواحد الذي جاء بهم الى هذا الرجل وصار الشيخ
بركات يوبخ عبد الواحد ويقول ايش هؤلاء الحجارة الذين اتيت بهم لا يعود ذلك بالعادة
ابدا والله يا ولدي مسقات الكلاب انما هي مثال مطعمهم ومشربهم وكذلك مشخة الخمير
انما هي صورة اعتقادهم النجس واخبرني سيدي افضل الدين قال بينما نحن يوما خارج باب
زويلة بالقرب من بيت الوالي واذا هو بشخص تاجر مغربي راكب بغله فمسكه الشيخ وقال
هذا سرق بيتي فدخلوا به بيت الوالي فقال الوالي يا سيدي اضربه مقارع وكسارات
وان مات انا ازن ديته فلما فرغ الوالي من عقابه نظر الى وجه التاجر وقال للوالي انا غلطت
هذا ما هو الذي اخذ حوائجي فضرب الوالي الشيخ بعصاة فخرج وقعد على بابه وقال
والله يا زربون ما افارق هذه العتبة حتى اعزلك فقام فجاءه القاصد بعزله من السلطان
في الحال وكان اذا قدموا له لحم الضانى واشتهى لحم حمام ينقلب في الحال حماما وله
وقائع مشهوره ومات سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن بالقرب من حوض
الصارم بالحسينية انتهى باختصار وقال في مناقب سيدي شمس الدين محمد الحنفي كان
من اجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والافعال
الفاخرة والاحوال الخارقة والمقامات السنية والهمم العلية صاحب الفتح المونق

والكشف المخرق والنظر في بواطن القدس والرقى في معارج المعارف والتعالي
في مراقي الحقائق كان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاء في احكام
الولاية والقدم الراسخ في درجات النهاية والطود السامي في الثبات والتمكين وهو
احد من ملك اسراره وقهر احواله وغلب على امره وهو احد اركان هذه الطريقة
وصدورها واوتادها واكابر أئمتها واعيان علمائها علما وعملا وحالا وقالا وزهداً وتحقيقاً
ومهابة وهو احد من اظهره الله الى الوجود وصرفه في الكون ومكنه في الاحوال
وانطقه بالمغيبات وخرق له العوائد وقلب له الاعيان واظهر على يديه العجائب
واجرى على لسانه الفوائد ونصبه قدوة للطالبين حتى تلمذوا له جماعة من اهل الطريق
وانتمى اليه خلق من الصلحاء والاولياء واعترفوا بفضله واقروا بمكانته وقصد بالزيارات
من سائر الاقطار وحل مشكلات احوال القوم وكان ظريفاً جميلا في بدنه وثيابه
وكان الغالب عليه شهود الجمال وكان من ذرية ابي بكر الصديق توفي سنة سبع واربعين
وثمانمائة وقد افرد الناس ترجمته بالتآليف منهم الشيخ نور الدين علي بن عمر البتنوني
وهو مجلدان والحق انه لم يحط علما بمقام الشيخ حتى يتكلم عليه انما ذكر بعض امور
على طريقة ارباب التواريخ واهل الطبقات بل لو رام الولي نفسه ان يتكلم على مقام
نفسه لا يقدر كما هو مقرر في كلام اصحاب الدوائر الكبرى. ولكن نذكر لك طرفا
صالحا مما ذكره الامام البتنوني لتحيط به علما فنقول. اعلم انه ربي يتيما من امه وابيه
فربته خالته فكان زوجها يريد ان يعلمه الصنعة فمضى به الى الغرابلي فهرب الى الكتاب
ثم مضي به الى المناخلي فهرب الى الكتاب فكف عنه فحفظ القرآن وكان ابن حجر
رفيقه في الكتاب قال ابو العباس المسرسي ولما خرج الشيخ محمد الحنفي من الكتاب
جلس يبيع الكتب في سوقها فمر عليه بعض الرجال فقال يا محمد ما للدنيا خلقت
فنزل من الدكان وترك جميع ما فيه من الغلة والكتب ولم يسأل عن ذلك بعد ثم

حبب اليه الخلوة ثم اختلى سبع سنين لم يخرج في خلوة تحت الارض ودخلها وهو
ابن اربع عشر سنة وكان يقول اياكم وكرامات الاولياء ان تنكروها فانها ثابتة
بالكتاب والسنة ونقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند اهل
السنة والجماعة وقد دعى الامام ابو حنيفة يوما فنزلت عليه مائدة من السماء من حيث
لا يعلم قال الشيخ ابو العباس وكنت اذا جئته وهو في الخلوة اقف على بابها فان قال
لي ادخل دخلت وان سكت رجعت فدخلت عليه يوما بلا استئذان فوقع بصري
على اسد عظيم فغشي علي فلما افقت خرجت واستغفرت الله تعالى من الدخول عليه
بلا اذن قال الشيخ ابو العباس ولم يخرج الشيخ من تلك الخلوة حتي سمع هاتفا
يقول يا محمد اخرج انفع الناس ثلاث مرات وقال له في الثالثة ان لم تخرج والا هيه
فقال الشيخ فما بعد هيه الا القطيعة قال الشيخ فقمت وخرجت الى الزاوية فرأيت
على الفسقية جماعة يتوضون فمنهم من على رأسه عمامة صفراء ومنهم زرقاء ومنهم
من وجهه وجه قرد ومنهم من وجهه وجه خنزير ومنهم من وجهه كالقمر فعلمت
ان الله اطلعني على عواقب امر هؤلاء الناس فرجعت الى خلفي وتوجهت الى الله فستر
عني ما كشف لي من احوال الناس وصرت كآحاد الناس وكان في خلوة الشيخ توتة
مزروعة قال الشيخ فخطر لي ان اباسطها فقلت يا توتة حدثيني حدوتة فقالت بصوت
جهوري نعم انهم لما زرعوني سقوني فلما سقوني اسست فلما اسست فرعت فلما فرعت
اورقت فلما اورقت اثمرت فلما اثمرت اطعمت قال الشيخ فكان كلامها سلوكا لي
وقد حصل لي بحمد الله ما قالت التوتة . وكان يجلس يعظ الناس على غير موعد فيجيء
الناس حتى يملؤا زاويته بقدرة الله وكان الشيخ حسن الخباز المدفون بتربة الشاذلية
بالقرافه اذا رأى سيدي محمدا وهو صغير يقول سيكون لهذا الولد شأن عظيم في
مصر ثم يقول واخبرني ايضاً ابن الامام عن ابن عطاء الله عن ياقوت العرشي عن ابي

العباس المرسي عن ابي الحسن الشاذلي انه كان يقول سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفي يكون فاتحا لهذا البيت ويشتهر في زمانه ويكون له شأن عظيم وفي رواية اخرى عن الشاذلي يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب التائب حنفي المذهب اسمه محمد بن حسن وعلى خده الايمن خال وهو ابيض اللون مشرب بحمرة وفي عينيه حور ويربى يتيما فقيرا اخذ الطريقة بعد ان خرج من الخلوة عن الشيخ ناصر الدين بن المبلق عن جده الشيخ شهاب الدين بن المبلق عن الشيخ ياقوت العرشي عن المرسي عن الشاذلي فلذلك كان سيدي ابو الحسن يقول الحنفي خامس خليفة من بعدي قال ابو العباس وكان سيدي محمد يأمر من يراه من اصحابه عنده شهامة نفس بالشجاعة من الاسواق وغيرها حتى تنكسر النفس ويقول رحم الله من ساعد شيخه على نفسه وكان يقول ظفرت في زماني كله بصاحبين ونصف صاحب اما الصاحبان فهما ابو العباس والشيخ شمس الدين بن كتيلة المحلي اما الاول فانه انفق على جميع ماله واما الثاني فانه تمسك بطريقتي واتبع سنتي واما نصف الصاحب فهو صهري سيدي عمر قال ابو العباس قال لى سيدي محمد يوماً اما ترضى ان تكون بدايتي نهايتك فقلت نعم وكان سيدي علي بن وفا يوماً في وليمة فقال الناس ماتم الوليمة الا بحضور سيدي محمد الحنفي فجاء اليه صاحب الوليمة فدعاه فاتى فقال من هنا من المشايخ فقال سيدي علي ابن وفا وجماعته فقال ادخل واستأذنه لى فان من ادب الفقراء اذا كان هناك رجل كبير لا يدخل عليه حتى يستأذن له فان اذن والا رجعنا خوف السلب فدخل صاحب الوليمة فاستأذن له فاذن له سيدي علي وقام له واجلسه الى جانبه فدار الكلام بينهما فقال سيدي علي ماتقول في رجل رحى الوجود بين يديه يدورها كيف شاء فقال سيدي محمد فما تقول في من يضع يده عليها فيمنعها ان تدور فقال له سيدي علي والله كنا نتركها لك ونذهب عنها فقال سيدي على محمد لجماعة سيدي على ودعوا

صاحبكم فانه ينتقل قريباً الى الله فكان الامر كما قال وسمع سيدي محمد هاتفاً يقول بالليل يامحمد ولينالك ما كان بيد علي بن وفى زيادة على ما بيدك فعلمت ان ذلك لا يكون الا بعد موته فارسلت شخصاً من الفقراء يسأل عن بيت سيدي على بحارة عبد الباسط فوجد الصائح انه قد مات ودخل فقيرا الى القاهرة فاشكل حاله على الناس وكان يمد يده فى الهواء فيقبض من الدنانير والدراهم فبلغ سيدي محمدا فاحضره بين يديه وقال اكرمنا بما فتح الله عليك فقبض قبضة من الهوا واعطاها لسيدي محمد فوجدها ثمانين ديناراً فطلب منه كذلك ثانياً وثالثاً وهو يعطيه لكن دون الاول فقال له زدني فقبض فلم يقع شيء بيده فقال الشيخ ان خزائن الله لا تنفد ثم ضرب واخرج وسلب حاله من ذلك اليوم وكان الشريف النعماني احد اصحاب سيدي محمد يقول رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة عظيمة والاولياء يجيئون فيسلمون عليه واحداً بعد واحد وقائل يقول هذا فلان فيجلسون الى جانبه صلى الله حتى جاءت كبكبة عظيمة وخلق كثير وقائل يقول هذا محمد الحنفي فلما وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم اجلسه بجانبه ثم التفت صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وعمر وقال لهما اني احب هذا الرجل الا عمامته الصماء او قال الزعراء واشار الى سيدي محمد فقال له ابو بكر اتأذن لي يارسول الله ان اعممه فقال نعم فاخذ ابو بكر عمامة نفسه وجعلها على رأس سيدي محمد وارخى له عذبة عن يساره والبسها له فلما قصها على سيدي محمد بكى وبكى الناس وقال للشريف محمد اذا رأيت جدك صلى الله عليه وسلم فاسأله لي في امارة يعلمها من اعمالي فرآه صلى الله عليه وسلم بعد ايام وسأله الامارة فقال له بامارة الصلاة التي يصليها علي في الخلوة قبل غروب الشمس كل يوم وهي اللهم صلي على محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم عدد ماعلمت وزنة ماعلمت وملء ماعلمت فقال سيدي محمد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ عمامته وارخى لها عذبة

ونزع كل من في المجلس عمامته وارخي لها عذبة وصار سيدي محمد اذا ركب يرخي
العذبة وترك الطيلسان الذي كان يركب به الى ان مات ثم ان الشريف رأى النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أيضاً وقال له اني ارسلت الى محمد الحنفي امارة مع رجل
من رجال الصعيد ان يعمل لعمامته عذبة فوصل الرجل الصعيدي بعد مدة واخبر
سيدي محمدا بالرؤيا قال الشيخ شمس الدين بن كتيلة واول شهرة اشتهر بها الشيخ محمد
الحنفي ان السلطان فرج ابن برقوق كان يرمي الرمايا على الناس وكان الشيخ يعارضه
فارسل وراء الشيخ واغلظ عليه القول وقال المملكة لي او لك فقال الشيخ لا لي ولا
لك المملكة لله الواحد القهار ثم قام الشيخ متغير الخاطر فحصل للسلطان عقب ذلك ورم في
محاشمه كاد يهلك منه فارسل خلف الاطباء فعجزوا فقال له بعض خواصه اعتقادي هذا
من تغير خاطر الشيخ محمد الحنفي فقال ارسلوا خلفه لاطيب خاطره فنزل الامراء
اليه فوجدوه خارج مصر نواحي المطرية فاخبروه بطلب السلطان له فلم يجب الى
الاجتماع به فلم يزالوا يترددون بينه وبين السلطان حتى رق له وارسل له رغيفا مبسوسا
بزيت طيب وقال لهم قولوا له كل هذا تبرأ ولا تعد الى قلة الادب نملخ اذانك فمن
ذلك اليوم اشتهر امر الشيخ للناس وصار الناس اذا لام بعضهم بعضاً على امر لم
يفعله يقول له يعني يتغاظ الحنفي وشاعت هذه الكلمة بين الناس الى الآن وكان
الاستادار لما جاء الى الشيخ يدعوه للسلطان اغلظ على الشيخ القول فدعى عليه الشيخ
فاعلموا السلطان بذلك فسجنه وضرب عنقه وارسل رأسه للشيخ في طبق فولى
بوجهه عنه وقال ارفعوها وادفنوها مع جثته وكان سيدي الشيخ اسماعيل نجل
سيدي محمد الحنفي يقول ان الشيخ اقام في درجة القطبانية مدة واربعين سنة وثلاثه
اشهر واياما وهو القطب الغوث الفرد الجامع هذه المدة وكان يقول من الفقراء من
يسلك على يد رجل وينقطع على يد غيره لموت الشيخ الاول او غير ذلك وكان شيخ

شيخه الشيخ شهاب الدين المبلق يكتب بكل مدة قلم كراسا كاملا فسمع بذلك الناس
فتعجبوا من ذلك واستعدوا وقوعه فامر الشيخ محمد الحنفي بعض مريديه ان يكتب
بكل مدة كراسين فكتب والناس ينظرون وكان الشيخ ياقوت يقول يادهشة ياحيرة
ياحرف لا تقرأ وكان يقول وجدت مقام سيدي ابي الحسن الشاذلي اعلى من مقام سيدي
عبد القادر الكيلاني ثم قال وسبب ذلك ان سيدي عبد القادر سئل عن شيخه فقال امافيما
مضى فكان شيخي حماد الدباس واما الآن فاني اسقى من بين بحرين بحر النبوة وبحر الفتوة
يعني بحر الفتوة علي ابن ابي طالب واما سيدي ابو الحسن فقيل له من شيخك فقال امافيما
مضى فكان شيخي سيدي عبد السلام ابن مشيش واما الآن فاني اسقى من عشرة ابحر
خمسة سماويه وخمسة ارضية كما تقدم في ترجمته وكان اذا اوعظ الناس في ترك الزنا يقول ان
الذي يشبك الكتاب مع الكتابة قادر ان يشبك الزاني مع الزانية في حال زناه ثم يقول
هاهاهاه فيصرخ الناس ويكثر ضجيجهم وكان يتكلم على خواطر القوم ويخاطب
كل واحد من الناس بشرح حاله وقال له رجل بلغنا عن الشيخ عبد القادر الكيلاني
انه عمل يوماً ميعاداً سكوتيا لاصحابه ومرادنا ان تعملوا لنا ذلك فقال نفعل ذلك
غدا ان شاء الله تعالى فجلس على الكرسي وتكلم بغير صوت ولا حرف سرا فاخذ
كل واحد من الحاضرين مشروبه وصار كل واحد يقول التي الى في قلبي كذا وكذا
فيقول له الشيخ صدقت فحصل الاتعاظ لكل واحد وكان ذلك من الكرامات
وكان اذا حضر احداً من المنكرين في ميعاده يصير المنكر يضطرب وينتفض ويتقلب
في الارض ويقول والله ماهذا سدى ثم يصحبه وكان يلبس الملابس المثمنة الفاخرة
فانكر عليه بعض من لا معرفة عنده باحوال الاولياء وقال بعيدا ان يكون الاولياء
يلبسون هذه الملابس التي لا تليق الا بالملوك ثم قال ان كان الشيخ وليا يعطيني هذه
السلاوي ابيعه وانفقه على عيالي فلما فرغ الشيخ من الميعاد نزعه ثم قال اعطوه لفلان

يبيعه وتنفق ثمنه على عياله فاخذه الرجل وصار يقول شيء لله المدد ثم جاء الميعاد الثاني فوجده
على الشيخ ثم اشتراه بعض المحبين وقال هذا ما يصلح الا للشيخ محمد الحنفي فاهداه
له وكان لا ترد له شفاعة وكان يشفع عند من يعرفه وعند من لا يعرفه وقد ذكر
شيخ الاسلام العيني في تاريخه الكبير والله ماسمعنا ولا رأينا فيما حوينا من كتبنا
ولا كتب غيرنا ولا فيما اطلعنا عليه من اخبار الشيوخ والعباد والاستاذين بعد
الصحابة الى يومنا هذا ان احدا اعطى من العز والرفعة والكلمة النافذة والشفاعة
المقبولة عند الملوك والامراء وارباب الدولة والوزراء عند من يعرفه وعند من لا يعرفه
مثل ما اعطي سيدى الشيخ شمس الدين الحنفي ثم قال وابلغ من ذلك انه اذا طلب
السلطان ان ينزل اليه خاضعا حتي يجلس بين يديه ويقبل يديه لكان ذلك اليوم
احب الايام اليه وفي مناقب الشيخ عبد القادر الجيلى ان الخليفة قصد يوما زيارته
فلما قرب من زاويته قام سيدى عبد القادر من مجلسه ودخل خلوته ووقف خلف الباب
فلما دخل الخليفة خرج اليه فسلم عليه وجلس وكان ذلك من سيدي عبد القادر تعظيما
للخرقة والطريق حتى انه لا يقوم للخليفة وكان سيدي الشيخ شمس الدين الحنفي لم يقم
قط لاحد من الملوك ولا من الامراء ولا من القضاة الاربع ولا غيرهم ولم يغير قط
مقعدته لدخول احد منهم وكان هؤلاء اذا دخل احدا منهم لا يستطيع ان يجلس
الى جانبه ولا يتربع بين يديه بل يجلس جاثيا على ركبتيه متأدبا خاضعا ولا يلتفت
يمينا ولا شمالا وكان الملك الظاهر جقمق سيء الاعتقاد فى طائفة الفقراء وكان
يكره سيدي محمدا ومع ذلك كان يرسل له فى الشفاعات فيقضيها ويقول لمن حوله
كلما اقول انى لا اقبل لهذا الرجل شفاعة لا استطيع بل اقبل شفاعته والعجب
في شيء من ذلك ونزل اليه الملك المؤيد فجاء الى الزاوية فوجد الشيخ فوق سطح البيت
فطلع اليه سيدي ابو العباس واخبره فقال قل له قال انه ما يجتمع باحد في هذا الوقت

فوضع السلطان يده على رأسه ورجع الى القلعة ولم يتغير من الشيخ اجلالا له وارسل
اليه الامير بسيف بشكارة فضة فوجده على الكرسي فصار يقبض منها ويرمي للناس حتى
افناها كلها بحضرة القاصد كأنه يريه ان الفقراء في غنية عن ذلك وانهم لو احبوا
الدنيا ما كان لهم هذا المقام بين الناس ثم ان الامير بلغه ما وقع فجاء الى الشيخ
فقبل يده فقال له الشيخ قم الى هذا البئر فاملأ منه هذه الفسقية للوضوء فيصير
ثواب ذلك في صحيفتك الى يوم القيامة فخلع الامير ثيابه وملأ دلوا فوجده ثقيلا
فعالجه حتى طلع به فوجده ذهبا فقال ذلك للشيخ فقال صبه فى البئر واملأ فملأه
كذلك ثانيا وثالثا فقال قل للبئر ما لنا حاجة الا بالماء فاستحقر الامير ما كان ارسله
للشيخ وطلب الفقراء بالوعة للميضاة فغرز الشيخ عكازه وقال هذه بالوعة فهي الى
الآن ينزل فيها ماء الوضوء ولا يعرفون الى اين يذهب وكان امير كبير يسمى ططر عند
الملك المؤيد كلما يجيء يزور الشيخ يقوم يخلع ثيابه ويملأ الفسقية للناس بنفسه ويعود
يلبس ثيابه ولما تسلطن بعد الملك احمد بن المؤيد كان ينزل لزيارة الشيخ كل يومين
اوثلاثة لا يستطيع اذا تخلف عنه فيقول له انك صرت سلطان فالزم القلعة فيقول
لا استطيع وكان يقول للشيخ لا تقطع شفاعتك عنا ولو كان كل يوم الف شفاعة
قبلناها . ولما عزل شيخ الاسلام ابن حجر ارسل الشيخ جاريته بركة الى السلطان
ططر وقال لها قولي له رد شهاب الدين الى ولايته فطلعت اليه بركة وقالت له
ذلك فكتب لها فى الحال موسوما بولاية شيخ الاسلام ابن حجر وارسل له خلعة
فكان بن حجر لا ينسى ذلك للشيخ وطلع الشيخ مرة للسلطان ططر يعوده من
مرض فتسامع الناس ان الشيخ طلع للسلطان يعوده فترادف عليه اصحاب الحوائج
فامر السلطان ان لا يرد ذلك اليوم قضية وسأل الشيخ ان يعلم للناس على قضاياهم
فعلم على خمسة وثلاثين قضية فلما اراد النزول اخرج له السلطان فرسا بسرج مفرق

وكنبوشا وامر بالقبة والطيران يكونوا على رأسه وامر الامراء ان يركبوا معه الى الزاوية وكان القبة والطير مع امير كبير يقال له برسباي الدقماقي ثم تولى بعد ذلك المملكة فكان هو الملك الاشرف برسباي وكان يراعي خاطر الشيخ ويخاف منه مدة مملكته الى ان توفي . وجاء مرة قاضي من المالكية يريد امتحان الشيخ فاعلموه انه جاء ممتحنا فقال ان استطاع يسألني ماعدت اقعد على سجادة الفقراء فلما جاء القاضي يسأل قال ماتقول في وتوقف فقال له نعم فقال ماتقول في وتوقف فقال له نعم حتى قال ذلك مراراً عديدة فلم يفتح عليه بشئ فقال القاضي كنت اريد اسأل عن سؤال وقد نسيته ثم كشف رأسه واستغفر واخذ عليه العهد بعدم الانكار على الفقراء والاعتراض عليهم . وتكلم على الكرسي في جامع الطبرني بالمحلة الكبرى يوماً فى معنى قولهم يافقيه قم فاقه * ياصريم الناقه * قلت للفقيه قم صل * قام جرى فى الطاقه حتى ابكى الناس وزعق بعضهم وتخبط عقل بعضهم وكان من جملة ماقال معنى قف اي على ابناء جنسك فاقه اي ولو مرة وقولهم ياصريم الناقه اي يازمام الناقه التي هي مطية المؤمن التي بها يبلغ الخير وينجو من الشر وقولهم قم صل قام جرى فى الطاقه فمعناه انه امر بالصلاة فقط فزاد على ذلك طاقته من الاذكار والصيام والقيام وجد فى الاجتهاد والطاعات ومعنى جرى في الطاقه اي اسرع وبادر وفعل ما امر به وزاد فى الطاعة جهد الاستطاعة التي هي الطاقة وليس المراد بها الكوة المثقوبة فى الحائط . وقدم سيدي ابو بكر الطريني طعام خبيزه للشيخ حين قدم المحلة فقال له يا ابا بكر هل اذن لك اصحاب الغيط ان تأخذ من خبيزتهم قال لا فلم يأكلها وكذلك سيدي ابو بكر الى ان مات وكان اذا نادى مريداً له في اقصى بلاد الريف من القاهرة يجيئه فان قال مسرعا تعال سافر اليه او افعل كذا فعله ونادى يوما ابا طاقية من بلدة قطور بالغربية فسمع نداء الشيخ فجاء الى القاهرة وكان هذا الشيخ

من ارباب الاشارات فسمع بياع الحمص الاخضر يقول يا ملانة بفليس يا ملانة بفليس فمضى خلفه وصار يقول في نفسه ملانة وهي بفليس ثم صار يقول البياع ياملانة بقلبين ياملانة بقلبين فقال ماصيرها رخيصة الا كونها بقلبين ثم رجع وكان سبب تسميته ابا طاقية ان سيدي محمدا قال له اخلع عمامتك وخمر هذا الطين ففعل فقيل له لما فرغ لم لاتلبس عمامتك فقال لم يقل لي الشيخ فاذا فرغت فالبسها فلا البسها الا ان قال لي فلم يقل له فاقام بقية عمره بطاقية حتى مات وركب مرة الى الروضة على حمار مكاري فاعطاه انسان عشرين دينارا فقال اعطها للمكاري فاعطاها له وكان اذا دخل الحمام وحلق رأسه تقاتل الناس على شعره يتبركون به ويجعلونه ذخيرة عندهم وكان يجمع الفقراء ويدخل بهم الحمام جبرا لخاطرهم واشارة لتنظيفهم الباطن وكان للشيخ بلان فسافر الى بلاد المغرب فعرف انه كان بلانا لسيدي محمد الحنفي فصار الناس يأخذون يده ويقبلونها ويقولون هذه يد قد مست جسد الشيخ فبلغ ذلك مولاي ابافارس سلطان تونس فارسل وراءه وقبل يده ووضعها على مواضع من جسده يتبرك بها ثم ارسل وكيله الى مصر ليأخذ له العهد بطريق الوكالة فاخذ عليه العهد وامره ان يأخذ العهد على السلطان اذا رجع وكان اهل المغرب يرسلون يأخذون من تراب زاويته ويجعلونه في ورق المصاحف وكان اهل الروم يكتبون اسمه على ابواب دورهم يتبركون به وكانت رجال الطيران فى الهواء تأتي اليه فيعلمهم الادب ثم يطيرون فى الهواء والناس ينظرون اليهم حتى يغيبوا وكان يزور سكان البحر فكان يدخل البحر بثيابه فيمكث ساعة طويلة ثم يخرج ولم تبتل ثيابه ووقع لامام زاويته انه خرج للصلاة فرأى في طريقه امرأة جميلة فنظر اليها فلما دخل الزاوية امر الشيخ غيره ان يصلي فلما جاء الوقت الثاني فعل كذلك الى خمس اوقات فلما وقع في قلبه ان الشيخ اطلعه الله على تلك النظرة استغفر وتاب فقال الشيخ ما كل

مرة تسلم الجرة ودخل مصر رجل من اولياء الله من غير استئذان سيدي محمد فلسب حاله فاستغفر ثم جاء الى الشيخ فرد عليه حاله وذلك انه كان معه قفة يضع يده فيها فيخرج كلما احتاج اليه فصار يضع يده فلا يجد شيئاً وكان يقول والله لقد مرت بنا القطبية ونحن شباب فلم نلتفت اليها دون الله وكان يقول ان القطب اذا تقطب يحمل هموم اهل الدنيا كلها كالسلطان الاعظم بل اعظم وكان يتطور في بعض الاوقات حتى يملأ الخلوة بجميع اركانها ثم يصغر قليلا حتى يعود الى حالته المعهودة ولما علم الناس بذلك سدوا الطاقة التي كانت تشرف على الخلوة وكان اذا تغيظ من شخص يتمزق كل ممزق ولو كان مستندا لاكبر الاولياء لا يقدر يدفع عنه شيئا من البلاء النازل به كما وقع لابن التمار وغيره فانه اغلظ على الشيخ بشفاعة وكان مستندا لشيخ اسمه البسطامي من اكابر الاولياء فقال سيدي محمد مزقنا ابن التمار كل ممزق ولو كان معه الف بسطامي ثم ارسل السلطان فهدم دار ابن التمار وهي خراب الى الآن وعزم بعض الامراء على سيدي محمد ووضع له طعاما في اناء مسموم وقدمه له وكان لا يتجرء احدا يأكل معه في انائه فاكل منه شيئا ثم شعر بانه مسموم فقام وركب الى زاويته فاختلطت الاواني فجاء ولدا الامير الاثنان فلعقا من اناء الشيخ فماتا ولم يضر الشيخ شيء من السم وكان يتوضأ يوما فورد عليه وارد فأخذ فردة قبقابه فرمى بها وهو داخل الخلوة فذهبت في الهواء وليس في الخلوة طاقة تخرج منها وقال لخادمه خذ هذه الفردة عندك حتى تأتيها اختها فبعد زمان جاء بها رجل من الشام مع جملة هدية وقال جزاك الله عني خيرا ان اللص لما جلس على صدري ليذبحني قلت في نفسي ياسيدي محمد ياحنفي فجاءته في صدره فانقلب مغمى عليه ونجاني الله ببركتك وشفع عند امير يسمى المناطح كان كل من نطحه كسر رأسه وكان ينطح المماليك بين يدي السلطان الملك الاشرف برسباي فقال للقاصد قل لشيخك اقعد في زاويتك ولا

تعارضه والا جاء لك ينطحك ويكسر رأسك فذكر القاصد ذلك للشيخ فلم يرد عليه جوابا فلما دخل الليل كشف ذلك الامير رأسه وصار ينطح الحيطان الى ان مات فبلغ الخبر السلطان فقال قتله الحنفي وكان له جارية مباركة اسمها بركة اعتقها وكتب لها وقال لا تخبري بذلك احدا فلما اخبرت اهل البيت بذلك قال لها روحي اقعدي في المكان الفلاني ولم تعلم ما اراد فجلست ثم ارادت ان تقوم فما استطاعت فسألت الشيخ ان يأذن لها في القيام فقامت لكن لم تستطع المشي فقالت استأذنوا سيدي في المشي فقال انها لم تسأل الا القيام والسهم اذا خرج من القوس لا يرد فلم تزل مقعدة الى ان ماتت وكان يقرئ الجان على مذهب ابي حنيفة فاشتغل عنهم يوما بامر فارسل صهره سيدي عمر فاقرأهم في بيت الشيخ ذلك اليوم وكان سيدي عمر يقول طلبت مني جنية ان اتزوجها فشاورت سيدي محمدا فقال هذا لا يجوز في مذهبنا فعرضت ذلك على ملكهم حين نزلت معها تحت الارض فقال الملك لا اعترض على سيدي محمد فيما قال ثم قال الملك للوزير صافح صهر الشيخ باليد التي صافحت بها النبي ليصافح بها سيدي محمد فيكون بينه وبين النبي في المصافحة رجلان فصافحني واخبرني ان بينه وبين وقت مصافحة النبي ثمانمائة سنة ثم قال للجنية رديه الى الموضع الذي جئتي به منه ورآه كاتب السر بن البازي يوما وهو راكب ومعه جماعة من الامراء فانكر عليه وقال ماهذه طريقة الاولياء فقال له ناظر الخاص لا تعترض فان للاولياء احوالا فقال لا بد ان ارسل اقول له ذلك فلما دخل القاصد واخبر سيدي محمد قال له قل لاستاذك انت معزول عزلا مؤبداً فارسل له السلطان المؤيد وقال له الزم بيتك فما زال معزولا حتى قتله الملك المؤيد وكانت ام سيدي محمود زوجة الشيخ تقول اهدت لنا امرأة اترجة صفراء فوضعناها عندنا في طبق فانقطع الجان الذين كانوا يقرؤن على الشيخ فلما كانا ها جاؤا فقال لهم ما قطعكم عن المجيء الينا فقالوا مانقدر على رائحة الاترج ولا نقدر ندخل

بيتاً هو فيه فكان سيدي محمد يأمر من نزل عنده الجان ان يضع في بيته الاترج ويعمل من حبه سبحاً ويحفظها عنده لمن عرض له عارض في غير اوان الاترج ودخلت على الشيخ يوما امرأة امير فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه فانكرت بقلبها عليه فلحظها بعينه وقال لها انظري فنظرت فوجدت وجوههن عظاما تلوح والصديد خارج من افواههن ومناخرهن كأنهن خرجن من القبور فقال لها والله ما انظر دائما الى الاجانب الا على هذه الحالة ثم قال للمنكرة ان فيك ثلاث علامات علامة تحت ابطك وعلامة فى فخذك وعلامة في صدرك فقالت صدقت والله ان زوجي لم يعرف هذه العلامات الى الآن واستغفرت وتابت وارسل ابن كتيلة فقيرا مرة يشفع عند انسان من كبراء المحلة فقال ان كان ابن كتيلة فقيرا لا يعارض الولاة وان لم يسكت ابن كتيله قطعت مصارينه في بطنه فتكدر ابن كتيلة من ذلك وارسل اعلم سيدي الشيخ محمد الحنفي فقال هو الذي تتقطع مصارينه فى بطنه فارسل له سيدي محمد جماعة من الفقراء وامرهم اذا طلعوا المحله يمروا على بيت ذلك الظالم ويرفعوا اصواتهم بالذكر ففعلوا فصار يتقايأ ومصارينه تطالع قطعا قطعا الى ان مات وكان يأخذ القطعة من البطيخة ويشق منها حتي يملأ كذا وكذا طبقا كل طبق له لب خلاف الاخر حتى انه يشق من البطيخ الاخضر بطيخا اصفر حتى يبهر عقول الحاضرين وسرقت له نعجة من الحوش فمكثت ستة اشهر غائبة فقال الشيخ لغلامه اذهب الى الروضة فدق الباب الفلاني فاذا خرج لك صاحب الدار قل له هات النعجة التى لها عندك ستة اشهر فاخرجها له فقال الشيخ هذه بضاعتنا ردت الينا وجاءه مرة قاض فقال ياسيدي اهل بلدي رفعوا فيّ قضية الى استاذهم باني نلاح فقال قضيت حاجتك فركب الامير ذلك اليوم فرسا حرونا فجرى به في خوخة ضيقة فانكسر ظهر الامير ووقع على ظهر الارض ميتاً وتولى ذلك الاقطاع رجل من اصحاب سيدي محمد فجاء الى

الشيخ يزوره ثاني يوم فكلمه على ذلك القاضي فكتب له عتاقة هو وذريته وكان الشيخ اذا لم يجد شيئاً ينفقه يقترض من اصحابه ثم يوفيهم اذا فتح الله تعالى عليه بشيء فاجتمع عليه ستون الفا فشق ذلك على الشيخ فدخل عليه رجل بكيس عظيم وقال من له على الشيخ دين فاليحضر فاوفى عن الشيخ جميع ما كان عليه ولم يعرف ذلك الرجل احد من الحاضرين فقالوا للشيخ عنه فقال هذا صيرفي القدرة ارسله الله يوفي عنا ديننا وانشدوا بين يديه شيئاً من كلام ابن الفارض فيتمايل الشيخ العارف بالله سيدي شمس الدين ابن كتيلة المحلى فلحظه فغاب عن احساسه فرأى فى منامه سيدي عمر ابن الفارض واقفا على باب الزاوية وفي فمه غاب كأنه يشرب بها ماء من تحت عتبة باب الزاوية ثم افاق فقال له الشيخ الذي رأيته صحيح رأيت بعينك ياشمس الدين وكان يقول كثيرا لو كان عمر ابن الفارض في زماننا ماوسعه الا الوقوف ببابنا ومرضت زوجته فأشرفت على الموت فكانت تقول ياسيدي احمد يابدوي خاطرك معي فرأت سيدي احمد فى المنام وهو ضارب لثامين وعليه جبة واسعة الاكمام عريض الصدر احمر الوجه والعينين وقال لها كم تناديني وتستغيثي وانت لا تعلمي انك فى حماية رجل من الكبار المتمكنين ونحن لا نجيب من دعانا وهو فى موضع احد من الرجال قولي ياسيدي محمد ياحنفي يعافيك الله فقالت ذلك فاصبحت كأن لم يكن بها مرض وكان يلقن الخائف من الظالم ويقول اذا دخلت عليه فقل بسم الله الخالق الاكبر حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل فيرجع اليه المظلوم وعليه الخلعة والوصول بالتعليق وانكرت عليه امرأة مايقدمه للفقراء من الطعام القليل فى الصحون الرملي فقالت تلة هذا الطعام ولاهو ثم ذهبت وعملت طعاما بكثرة فيه فراخ واوز وحملته الى الزاوية فقال سيدي محمد لسيدي يوسف القطوري كل طعامها كله وحدك فاكل طعامها وحده وشكي من الجوع

فأخذته الى بيتها وقدموا له نحو ذلك الطعام واكثر وهو يشكو الجوع فقال لها
الشيخ البركة في طعام الفقراء لا في اوانيهم فاستغفرت وتابت وكان اذا تذكر
احدا من اصحابه الغائبين عن السماط يأكل الشيخ عنهم لقمة او لقمتين فتنزل فى
بطونهم فى أي مكان كانوا فيه ثم يجيئون ويعترفون بذلك وكان اذا سأله احد من
من المنكرين عن مسئلة اجابه فان سأله عن اخرى اجابه حتى يكون المنكر هو
التارك للسؤال فيقول الشيخ لذلك الشخص اما تسأل فلو سألتني شيئاً لم يكن
عندي اجبتك من اللوح المحفوظ وحضره الشيخ جلال الدين البلقيني يوما في الميعاد
فسمع تفسير الشيخ للقرآن فقال والله لقد طالعت اربعين تفسيرا للقرآن ما رأيت
فيها شيئاً من هذه الفوائد التي ذكرها سيدي محمد وكذلك كان يحضره شيخ الاسلام
البلقيني وشيخ الاسلام العيني الحنفي وشيخ الاسلام البساطي المالكي وغيرهم وقبله
الشيخ سراج الدين البلقيني بين عينيه وقال له انت تعيش زمانا طويلا لان الله
يقول واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وكان اذا استغرق فى الكلام وخرج
عن افهام الناس يقول وهاهنا كلام لو ابديناه لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عمن ليس
من اهله وكان له صاحب فى مكة المشرفة فلما بلغه وفاة الشيخ سافر الى مصر لزيارة
قبر الشيخ ولم يكن له في مصر حاجة غير ذلك وجاءه رجل فقال يا سيدي انا ذو
عيال فقير الحال فعلمني الكيميا فقال الشيخ اقم عندنا سنة كاملة بشرط كلما احدثت
توضأت وصليت ركعتين فاقام على ذلك فلما بقي من المدة يوماً جاء الي الشيخ فقال غدا
تقضى حاجتك فلما جاءه قال له قم فاملأ من البئر ماء للوضوء فملأ دلوا من البئر فاذا
هو مملوء ذهبا فقال يا سيدي ما بقى في الآن شعرة واحدة تشتهيه فقال له صبه
مكانه واذهب الى بلدك فانك قد صرت كلك كيميا فرجع الى بلاده ودعى الى
الله وحصل به نفع كبير قال الشيخ شمس الدين ابن كتيلة وكان سيدي محمد اذا

صلى يصلي عن يمينه دائما اربعة روحانية واربعة جسمانية لا يراهم الا سيدي محمد
وخواص اصحابه ووقعت له ابنة صغيرة من موضع عال فظهر شخص وتلقاها عن
الارض فقلنا له من تكون فقال من الجن من اصحاب الشيخ وقد اخذ علينا العهد
ان لا نضر احدا من اولاده الى سابع بطن فنحن لا نخالف عهده وكان سكان بحر
النيل يطلعون الى زيارته وهو في داره بالروضة والحاضرون ينظرون قالت ابنته
ام المحاسن وزاروه مرة وعليهم الطيالسة والثياب النظيفة وصلوا معه صلاة المغرب
ثم نزلوا في البحر بثيابهم فقلت يا سيدي اما تبتل ثيابهم من الماء فتبسم وقال هؤلاء
مسكنهم في البحر وجاءه مرة رجل في جوف الليل فوقف على دور القاعه فقال
له الشيخ من فقال حرامي فقال ما تسرق وتعمل شغلك فقال يا سيدي تبت الى الله فاني
سمرت فقال له انزل ما عليك باس فتاب وحسنت توبته واستمر فى زيارته الى ان توفي
وامر شخصاً من اصحابه يوما ينادي في شوارع القاهرة واسواقها باعلى صوته يا معاشر
المسلمين يقول لكم سيدي محمد الحنفي حافظوا على الصلوات الخمس والصلاة الوسطى
حتى شاع ذلك فى جميع البلاد ان الشيخ امر بذلك فاعترض بعض الشهود على مناد
الشيخ وقال هذا ماهو للحنفي هذا لله فرجع الفقير واخبر الشيخ بما وقع فسكت
فخرج يوم الثالث ينادى فمر على دكان الشهود فقال له شاهد منهم شيء لله يا سيدي محمد
يا حنفي مات البارحة الرجل الذي قال لك ما قال فرجع الى الشيخ واخبره فقال لا تعد
تقول لاحد ما قلت لك ولعن شخص ابليس في حضرته فقال لا تعود لسانك الا خيرا
ولو كان ذلك جائزا ولما تزوج الشيخ شمس الدين بن كتيلة بنت سيدي محمد جلسا يأكلان
فجاءت هرة فخطفت قطعة لحم فقال لعنك الله فقالت بنت الشيخ تذكر اللعنة على
لسانك وانت رجل يقتدى بك وتفتي المسلمين فقال لا اعود لمثلها وتاب من كل لفظ قبيح
وظهر شخص بشعره وفي وسطه مئزر يذكر الله فى زاوية فى حارة قناطر السباع
فهرع الناس اليه من الامراء والتجار وغيرهم فارسل الشيخ وراءه ليحضر فاصفر لونه

وتغير وقال للقاصد خذ هذه الفضة واعتقني من مقابلته فقال له القاصد لابد فلم يزل به
حتى جاء به فلما نظر اليه الشيخ قال له ياولدي قلة الادب ماثبت معها شيء ونهره وقال
اخرج فخرج لايدري اين يذهب وانطفى اسمه من ذلك اليوم فقال الشيخ ما هي
مائدة يقعد عليها طفيلي وكان يقول اول ماتنزل الرحمة على حلق الذكر ثم تنتشر على
الجماعة فكان الفقراء يمدون ايديهم في الحلقة لعل ان يصيبهم شيء من الرحمة وسمع يوما
امرأة تقول ما احسن السجود في السماء بين الملائكة فقال لها محبة الله خير من ذلك
وكان يامر اصحابه برفع الصوت بالذكر في الاسواق والشوارع والمواضع الخربة
المهجورة ويقول اذكروا الله في هذه الاماكن حتى تصير تشهد لكم يوم القيامة وتحرقوا
ناموس طبع النفس فانكم في حجاب مالم تحرقوه وكان اصحابه اذا سألوه ان يمضي بهم
الى موضع التنزهات في حين يقول حتى تحضر لنا نية صالحة ودعاه ابن البازي كاتب
السر على ايام الملك المؤيد الى وليمة وقال ان الائمة الاربعة قد طلبوكم فلان وفلان فقال
الشيخ للقاصد حرر النية في حضور الفقراء وهم يحضرون ولا نطلب حضورهم لاجل
ان تقول حضر عندنا في الوليمة فلان وفلان وتجعلوا الفقراء حكاية ثم قال ماطئ حافر
فرسي باب احد على هذا الوجه الا وخربت دياره فرجع القاصد واخبره بذلك
فسكت ولم يزل ممقوتا عند المؤيد حتى قتله كما تقدم وسأله شخص يوماً عن الحلاج
فقال الحلاج تكلم في حال غلبة هذا قولي انا لكن ثم من يقول فيه خلاف قولنا كسراج
الدين البلقيني وغيره وكان اذا عطش وطلب كوز الماء لشرب يقوم كل من في المجلس
من كبير او امير او قاض فلم يزالوا واقفين حتى يفرغ فيستاذنونه في الجلوس فياذن
لهم وكانت ملوك اقاليم الارض ترسل له الهدايا فيقبلها فارسل اليه ملك الروم دابة
تمشي على ثلاث قوائم مؤخرها على رجلين وصدرها على واحدة وكانت قدر الجدي
الصغير فاقامت عنده ستة اشهر وماتت واهدى له سلطان تونس الخضراء مشطا
لتسريح اللحية فاذا فردوه صار كرسياً لمصحف فاهداه الى الملك الاشرف برسباي

ففرح به واعجبه واهدى له ملك الهند ثوبا بعلبكيا في قصبة وشاشا في جوزة هند
ودخل عليه مرة فقير فرأى عليه ثيابا لاتليق الا بالملوك فقال ياسيدي طريقتكم هذه
اخذتموها عمن فان من شأن الاولياء التقشف ولبس الخشن فقال مامقصودك قال
تنزع هذه الثياب التي عليك وتلبس هذه الجبة ونذهب ماشيين الى القرافة فاجابه
وخرجا ماشيين فرأى بعض الامراء الشيخ فعرفه فنزل من على فرسه وخلع السلاوي
الذي كان عليه واقسم عليه بالله ان يقبله ورجع هو ومماليكه مع الشيخ حتى شيعوه
للزاوية فقال الشيخ لذلك الفقير رأيت يا ولدي ايش كنا نحن والله لولا انت من
اولاد الفقراء ماحصل لك خير فتاب ذلك الفقير واستغفر وكشف رأسه ولم يزل
يخدم الشيخ الى ان مات وكان لايشتري قط ملبوساً انما هو هدايا من المحبين وكان اذا
ركب يذكر الله وبين يديه جماعة كطريقة مشايخ العجم ويقول هو شعارنا في الدنيا ويوم
القيامة وكان يجعل من خلفه جماعة كذلك يذكرون الله بالنوبة فكان الناس اذا سمعوا
حسهم من المساجد والدور يخرجون ينظرون اليه فيدعو لهم وكان اذا كتم احداً شيئاً
عنه من ماله يذهب ذلك المال الذي كتمه كله ولا يبقى معه الا المال الذي يعترف به
ودخل الحمام يوما مع الفقراء فاخذ ماء من الحوض ورشه على اصحابه وقال النار التي
يعذب الله بها العصاة من امة محمد مثل هذا الماء في سخونته ففرح الفقراء بذلك وكان
اذا زار القرافة سلم على اصحاب القبور فيردون السلام عليه بصوت يسمعه من معه ولما
طلع فقراء الصعيد ومعهم الفرغل بن احمد في شفاعة ابن عمر امير الصعيد قال سيدي
محمد الحنفي لاتقضي لهؤلاء حاجة لانهم جاؤا بغير ادب ولم يستأذنوا صاحب هذه
البلد فكان الامر كما قال ولما دخلوا بالفرغل على السلطان احمد جقمق قال له انت مشد
هذا البلد فلم يجبه السلطان لكونه مجذوبا وسمع بعض الفقراء في الزاوية يقول لبعض
قم يافلان اكنس الزاوية فقال له قم انت فما زالا يقولان ذلك ساعة فخرج الشيخ وهو
يقول انت وانت اخرجا واجلسا على باب الزاوية وامنعا الناس من الدخول وانا

اكنسها فقعلا فخلع ثيابه وشد وسطه وطوى الحصر ونفضها وكنسها وافتتح القرآن
يتلوا من الفاتحة الى آخر سورة الانعام حتى فرغ من الكنس وكان اميراً كبيرا
والمقدمون الالوف يمدون سماطه في المولد الكبير ودخل يوما فرأى الامراء يبنون
الكوانين فقال لا إله الا الله لو امرنا الملوك ان يبنوا الكوانين لفعلوا وكان شخص من
التجار شديد الانكار على سيدي محمد حتى كان يجيء الى باب الزاوية احياناو يرفع صوته
بالالفاظ القبيحة في حق الشيخ فدار عليه الزمان وانكسر وركبته الديون فجاء الى الشيخ
فتلقاه بالترحيب وجمع له من اصحابه مالا جزيلا ولم يزل يعتقد الشيخ الى ان مات ولم يعاتبه
وكان يتنزه عن سماع المعازف وجميع آلات اللهو فدخل يوما يزور سيدي عمر بن الفارض
فرأى المازروني عمالا والآلات تضرب فامره بالسكوت حتى يزور فزار الشيخ وعمل
مجلس الذكر فلما خرج عاد المازروني الى حاله ولم يتعرض الشيخ لكسر آلات وسمع
مرة مدرساً من الحنفية يقول في درسه الحكم كذا خلافا للشافعي فزجره وقال تقول
خلافا فانقلة أدب لم لا تقول رضي الله عنه والا رحمه الله فقال المدرس تبت الى الله ياسيدي
وكان اذا رأى في جبهة فقير أثر سجود يقول ياولدي اخاف عليك ان يكون هذا من
الريا وذكروا يوماً عنده سيدي عبدالقادر الجيلي فقال لو حضر عندنا عبد القادر لكان
تأدب معنا وكان يقول نحن اسرار الوجود وكان اذا وضع يده على الفرس الحرون لم
يعد الى حرونته وكان يكره مشايخ القرى والمدركين للبلاد ويقول انا لا اقول باسلامهم
وكان يقول من اعتقد شيخا ولم يره كسيدي احمد البدوي وغيره لا يصير بذلك مريداً
له انما هو محب له فان شيخ الانسان هو الذي ياخذ عنه ويقتدي به وكان يكره
للفقير لبس الطايحية ويقول الفقر في الباطن لا في الظاهر وكان اذا رأى من الفقراء
والمجاورين عورة سترها عليهم ويصير يسارقهم بحيث لا يشعرون ويرغبهم في ذلك
الامر الذي فيه صلاحهم وكان يكره للفقير ان يكون عند شيخه ولا يشاوره في
اموره كلها ويقول والله ما عرف الكيلاني ولا ابن الرفاعي وغيرهما الطريق الى الله الا

على يد شيخ وكم لعب الشيطان بعابد وقطعه عن الله وكان اذا تشوش من فقير ظهر
عليه المقت وكان يقول الفقراء ما عندهم عصي يضربون بها من أساء الادب في حقهم
وما عندهم الا تغير خواطرهم وسألوه مرة ماتقول الساقيه في غنائها قال تقول لا يرى
ملآن الا طالعا ولا فارغ الا نازلا ورأى مرة شابين امردين ينامان في خلوة فلم
تفش عليهما امرا وصار يحكي الحكايات المناسبة للتغير عن مثل ذلك حتى قال بلغنا عن
الشبلي انه دخل يوما خربة يقضي فيها حاجته فوجد فيها حمارة فراوده الشيطان عليها
فلما احس الشبلي بذلك رفع صوته وصاح يامسلمون الحقوني واخرجوا عني هذه الحمارة
فاني اعرف ضعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة ثم قال سيدي محمد فاذا كان هذا
حال مثل الشبلي في حمارة فكيف بالصور الجميلة ففطن لذلك الشابان فتفرقا عن
الاجتماع حتى كانهما لم يكونا عرفا بعضهما وكانت الفضة لا تنقطع من جيبه لاجل
الفقراء فكان لا يقدم عليه فقير الا وضع يده في جيبه واعطاه من غير عدد وكان
الذي يلاحظه يقول والله عطايا الشيخ اكثر من عطايا السلطان كل يوم وكان
اذا ركب في شوارع مصر لا يلقاه امير اوكاتب سر او ناظر خاص الا ورجع معه
الي اي مكان اراد وتلقاه رجل اعجمي فانشد   نهاري نسيم كله ان تبسمت
اوائله منها برد تحيتي   فقال الشيخ هذا الرجل كلما صلى الصبح وصلى على النبي سمع
رد السلام من النبي فيستنير النور ويقوي حتى يصير كاصل النهار فكانه يقول حصل لي
اليوم الفتح وكان الخضر عليه السلام يحضر مجلسه مرارا فيجلس على يمينه فان قام الشيخ
قام معه وان دخل الخلوة شيعه الي باب الخلوة وسئل يوما عن الصالح فقال هو من صلح
لحضرة الله عز وجل ولا يصلح لحضرة الله الا من تخلى عن الكونين وسئل عن الولي فقال
هو من قال لا اله الا الله وقام بشروطها ان يوالي الله ورسوله بمعنى يوادد الله بشهادته له
بالوحدانية ولمحمد بالرسالة وكان يقول اذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الا
مداد وان حصل مدد للزائر بعد الموت اوقضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب

صاحب الوقت يعطي الزائر من المدد على قدر مقام المزور قال بعضهم المزور في الحقيقة هو الصفات لا الذوات فانها تبلى وتفنى والصفات باقية وكان الشيخ يخرج الى قبر رجل كان ابارا فقيل له في ذلك فقال انه كان يخبر عن راس ماله في كل ابرة يبيعها وكان يقول قوموا لاهل العلوم الربانية فانما قيامكم هو لصفة الله التي انار بها قلوب اوليائه وكان بالشيخ عدة امراض كل مرض منها يهد الجبال منها البلغم الحار والبلغم البارد فاجتمع عنده الاطباء وقالوا ان النصف الاعلى قد تمكن منه البلغم الحار والنصف الاسفل قد تمكن منه البلغم البارد فان داوينا الاعلى غلب عليه الاسفل وان داوينا الاسفل غلب عليه الاعلى فقال لهم خلوا بيني وبين الله يفعل بي ما يريد وأقام بذلك المرض سبع سنين ملازما فرشه ما سمعه احد يقول آه الى ان توفي سنة سبع واربعين وثمانمائة وكان مع وجود هذا البلاء العظيم يتوضأ للصلاة قبل دخول الوقت بخمس درج والاذكار والاحزاب تتلى حوله فى كل صلاة ولا يصلي الا مع جماعة ولما دنت وفاته بايام كان لا يغفل عن البكاء ليلا ونهارا وغلب عليه الذلة والمسكنة والخضوع حتى سأل الله قبل موته ان يبتليه الله بالقمل والنوم مع الكلاب والموت على قارعة الطريق وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه حتي صار يمشي فراشه ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين ومشيا ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه فى الشوارع وانما تمنى ذلك ليكون له أسوة بالانبياء الذين ماتوا بالجوع والقمل وكان السيد عيسى يقول والله ان النوم مع الكلاب لكثير على من يموت ولما دنت وفاته قال لزوجته لا تتزوجي بعدي فمن تزوج بك خربت دياره وانا لا احب ان تكوني سبباً لخراب ديار احد وقال في مرض موته من كانت له حاجة فليأت الى قبري ويطلب حاجته اقضها له فان ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب فليس برجل وكان الشيخ طلحة المدفون بالمنشيه الكبرى يقول قال لي سيدي محمد الحنفي يا طلحة خرج من زاويتي هذه اربعمائة ولي وفى رواية ثلاثمائة وستون على قدمي كلهم داعون الى الله

واصحابنا بالمغرب كثير وبالروم والشام اكثر واكثر اصحابنا باليمن وسكان البراري والكهوف والمغارات قال الشيخ طلحة وكان ذلك آخر اجتماعى بالشيخ وليكن هذا آخر ما اردنا جمعه وايراده في هذه النبذه العطرة الفاخرة التي لمعت بوارق انوارها وسطعت اشعة اقمارها من الجانب الغربي المراد بالجانب الغربي بر الجيزة وقد ذكر المقريزي حديثا يتعلق بالجيزة ومصر فقال وقد روي الحافظ ابو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط ابن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في ارضه ويقال ان مسجد التوبة الذى بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفته امه فيه بالنيل وبها النخلة التي ارضعت مريم تحتها عيسي فلم يثمر غيرها وذكر العلم الشهير الكوكب المنير الفاضل المحقق المدقق الشيخ حسن العدوي المالكى الحمزاوى غفر الله لي وله جميع المساوي فى تبصرته آثارا تتعلق بمصر فقال واخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله يقول اذا فتح عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا قال واخرج محمد بن ربيع عن عمرو بن الحق انه قام عند المنبر بمصر وذلك عند فتنة عثمان فقال ايها الناس اني سمعت رسول الله يقول انها ستكون فتنة خير الناس فيها الجند الغربي فانتم الجند الغربي فجئتكم لاكون معكم فيما انتم فيه وقال صاحب فتح البهنسا فى آخر القصة ما نصه وكان عمرو بن العاص يقول ان رسول الله قال ليس بعد مكة والمدينة والارض المقدسة ارض مباركة الا ارض مصر واكثر البركة فى الجانب الغربي لمصر القاهرة كيف لا وقد جمعت من جواهر جوامع كلم اهل الكمال غررا سافرة ومن فوائد عرائد حكم ذوي الوصال دررا نادرة وجلت عرائس نفائس كانت للطرف فى خدور خيامها قاصرة وجادت بانجاز وعدها على خواص المريدين وصالت بصواعق رعدها على ابصار ضوال المعتدين واتت من المحاسن بما تقر به عين المحب الودود ومن الغرائب بما تكمد به نفس الغبي الحسود واشارت بطرف خفي الى بلوغ المريد المراد اما بمحض الفضل او بمزيد الجد والاجتهاد وبالجملة فهي كما ترى بعينها لسان حالها الفصيح عن تغالي لسان

القال فيها بالمديح ولم ار احدا من اهل التصنيف والتوصيف تعرض لمثل هذا الجمع في كتاب وانهاه الى نحو هذا الحد بجواب صريح ونقل صحيح عن ذوي الالباب الا انها ساعدتني في ذلك سوابق الاقدار واسعفتني فيه عناية الله بوسيلتي النبي المختار فلذلك لم اعق بتمامه احببت في ذلك الوقت من تشتيت الحال وشغل البال والزجم بالمصائب والاهوال وتفاقم الامور والمحن وتراكم الشرور والفتن وموت بعض الاهل والاصحاب والتباعد والتقاعد عن مراتب الاحباب ولكن نسأل الله العفو التواب ان يعاملنا بالعفو والصفح الجميل انه غفور رحيم كريم وهاب ولما بلغت من ذلك حد التمام وعبقت فيه روائح مسك الختام قلت الحمد لله على الاتمام والصلاة والسلام على خير الانام سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بديع الجمال رفيع الجلال على المقام وعلى آله الاماجد الكرام واصحابه بدور الظلام وعلى سائر العلماء العاملين والائمة المجتهدين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وعلى اشياخنا واخواننا في الله وسائر المسلمين وكان الفراغ من جمع هذه النبذة الشريفة الفائقة المنيفة يوم الاربعاء المبارك حادي عشر يوم من جماد الاولى من شهور سنة تسع وثمانين ومائتين والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام جعلها الله خالصة بوجهه الكريم ونفع بها النفع العميم بجاه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم آمين

(تنبيه) قد حصلت هفوة من الناقل من النسخة الاولى في صحيفة نمرة ٩ سطر ٢١ وها هي بحروفها . في مقام الأسى بهم انقسم الناس فيهم الى فريقين فريق معتقد مصدق وفريق معتقد مكذب كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام

سطر	صحيفه	خطا	صواب
٣	٣	ابارب	ارباب
٦	»	اوحشهم	واوحشهم
٩	»	اثارته	اثاره
٢١	»	قال	قد
١٦	٤	اللسان	الشان
١٩	»	ماذا	ماهذا
١٨	٥	يد	بداء
٢٠	٦	ودلب	وآداب
٩	»	خصومية	خصوصية
١٣	٩	اصطلاحه	اصطلاءه
٧	١١	الشازع	التنازع
٣و٥	١٢	هوائق	هواتف
٥	»	يستمع	ينشرح
١٠	»	والداعيه	ولداعية
٣	١٣	ماطلعوا	ما اطلعوا
١٤	»	سياة	سيادة
٤	١٦	انتسب	وانتسب
٧	»	لذلك	كذلك
٨	»	نباطل	باطل
١٦	»	يأمر	يأمرنا
«	»	وعزجل	عزوجل
١٧	»	ادب	الادب
٢٠	١٦	اقتفت	اقتضت
»	»	على	عدم
٧	١٧	وشيطانا	وشيطاني حاسد
٧	١٩	فيما	فما
٩	٢١	بابها	باء بها
١٨	»	لى	اي
٣	٢٢	اوباطنا	وباطنا
٧	»	الشيخ أثر	الشيخ أثر ذلك
١٢	٢٦	صاهب	صاحب
٨	٣٠	فيبراءه	فيربيه
٧	٣٥	سكر	مبكرا
٢	٣٦	المرء	المرائي
١٢	»	ولاتيم	والاتيم
١٣	»	وقدما	وقدم اماما
١	٣٧	خلقت	خلت
٢	»	انطبقت	انطبعت
١٩	٣٨	ظلى	ظلمنى
١٧	٤١	وبهم	ونهج
٧	٤٢	ثمارمياهها	ثمارها
١٨	٤٩	يسامحونه	يشاحونه
١٧	٥٠	لهم	تم
١٨	»	الكشافة	الكثافة

سطر	صحيفه	خطا	صواب
١	٥١	لمعارف	المعارف
٢	»	ولاتقول	ولاتعول
٦	٥٢	كاسات	كأسا
١٠	»	اصبابته	اصابته
١٧	»	قوال	قوالا
٨	٥٣	اظننت لليل	ظننت الليل
٥	٥٥	جميكم	جميعكم
٢٠	٥٦	حق للخلق على الحق	حق للحق على الخلق
٢١	٥٧	ماهو	ماهنا
١٢	٥٨	لوجدنا	لووجدنا
٩	٦٣	الفروس	الفردوس
١٧	»	ورسول	وراءرسول
٢١	»	كشافة	كثافة
٥	٦٤	الرسيات	الراسيات
٣	٦٥	اوامري	وامري
١٦	٦٧	الحلى	الحالى
١٧	»	عملوا	علموا
٢٠	»	وظور	وظهور
٩	٦٨	رواوها	رواءها
١٠	٦٩	بكثر	بكثرة
١٨	»	ثوبهما	ثوابهما

سطر	صحيفه	خطا	صواب
١	٧١	الحال لسان	لسان الحال
٤	٧٣	سكارق	سكارى
٣	٧٧	والسلاة	والسلام
١٥	١٠٠	ياحبيبي	ياحي
٢٠	١٠٨	جواز	جوازه
٧	١٠٩	يحرم	يخل
٨	١٠١	اكلام	ادرك
٦	١١٥	قدرس	قدس
١٩	١٢٢	خلفية	الخفيه
١٤	١٢٣	قال	قاله
١	١٢٥	الحاب	الحجاب
١	١٢٩	وتواجدات	وتواجدت
٦	»	فحركته	فحركه
١٧	»	يصيبك	يصبك
١٢	١٣٠	الى صحه الحق	الى الحق
١٤	»	ودقايقه	والدقايق
..	...	تحويلا	تحويل
١٥	...	ارفع صحه حال	ارفع حال
١٦	...	همان	هيمان
١٦	١٣٢	اعقابهم	اعتابهم
٧	١٣٥	عنه	عنده
٥	١٣٦	وكثر	واكثار

سطر	صحيفه	خطأ	صواب
١	٧:١	ياخذا	يأخذوا
٣	...	نزي	زي
٣	١٣٨	لبعوا	اتبعوا
١٨	...	ععرض	معرض
٩	١٣٩	والقين	واليقين
٦	١٤٠	القوم	القول
٦	١٤١	فتهح	فتوح
٨	...	معلومة	معلولة
١٩	...	بالتديج	بالتدريج
١٦	١٤٢	وحفيه	وخيفة
٢	١٤٣	الاعراض	الاعتراض
١١	...	بقلق	تعلق
١٩	...	المولدات	المولد
٦	١٤٤	واعلم لا	واعلم انه لا
٣	٥٤١	موتى	ومتى
١١	...	الارض	ارض
١٧	...	كمثله	كمثل
١٨	...	العكلم	التكلم
١٠	١٥٠	ولرابع	والرابع
١١	...	العبادت	العبادات
٢١	١٥١	بالغريم	بالغرايم
١	١٥٢	لمجاهده	المجاهدة

سطر	صحيفه	خطأ	صواب
١٠	١٥٣	لارواح	الارواح
١١	...	لحبة	المحبة
١٩	...	ذته	ذاته
٢٠	...	الورو	الورد
١١	١٥٤	لجالميات	التجليات
٦	١٥٥	بجاد	بايجاد
١٥	...	والصنعاتي	الصفاتي
١	١٥٦	المجاهدة	مجاهدة
٥	١٥٦	اواما	واما
١١و٣	١٥٧	الله	له
١٦	»	فاعتصصموا	فاعتصموا
٧	١٣٦	وبين	وبين ربه
١٥	١٦٩	لد	له
١٠	١٨٦	متفاح	مفتاح
١٨	»	نهالا	ولا
٢	١٨٩	سيد	سيدي
٤	١٩٥	الميحي	المليجي
٩	١٩٧	لحتى نز	حتى نزل
١٣	٢٠٣	امو	امور
١	٢٠٩	السطن	السلطان
٢٠	٢٠١	وناى	ونادى
٧	٢١٣	سيي	سيدي

فهرست

فهرست مفتاح السعادة في سعة العمر والرزق والزيادة

فهرست مفتاح السعادة فى سعة العمر والرزق والزيادة

صحيفه

فهرست مفتاح السعادة فى سعة العمر والرزق والزيادة

صحيفه

فهرست التقاريض

فهرست الخطأ والصواب

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٢٤	٩	ذلك	وذلك
٢٩	٤	فيها	فيهما
٦٥	٧	ووسمعت	وسمعت
٩٠	٢١	وجودها	وجودها
٩٢	٢٠	اللازم حق فالمزوم	الملزوم حق فاللازم

مفتاح السعادة

فى سعة العمر والرزق والزيادة * المشتملة على تحقيق مهمات من مسائل علم الكلام * كالايمان وخلق افعال البشر * والقضاء والقدر * بالكمال والتمام * تأليف العالم العامل * والمحقق الفاضل * والمدقق الكامل * الاديب الالمعى * والاريب اللوذعى * صاحب المكرمه * شعار زاده الشيخ محمد ضياء الدين افندى ابن الشيخ يحيى افندى القادرى الحاتمى الموصلى * نفعنا الله بطول حياته * وافاض علينا من بحر فيوضاته * ولا برح محلا للافادة * وملجأ للاستفادة * امين

معارف نظارت جليله سنك ٨٧٨ نومرولى رخصتنامه سيله

در سعادت

(مطبعهٔ عثمانيه)

١٣٠٩

مفتاح السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدالله استفتح اقفال الاسرار * وبشكر الله استمنح فيض الانوار * وبمدحه استوضح كشف الاستار * وبثنائه انثنى عن جميع الاغيار * فقد اقتضت ذاته حمده * وحجب عن ادراكها عبده * وبين له ضلاله ورشده * ﴿ثم قضى له اجلا واجل مسمى عنده﴾ * احمده حمداً لايحيط به حدّ * ولاينتهى به عدّ * ولا يحذو حذوه احد * استزيد به جلائل النعم * واستمطر به سحائب الجود والكرم * واستفتح به ابواب السعادة * وسعة العمر والرزق والزيادة * واستفيض به من المبدأ الفياض * بلوغ جميع المقاصد والاغراض * وعلى اول مضمر مستتر فى الذات * وآخر مظهر برزت فيه الاسماء والصفات * محمد الذى به خرج الممكن من كتم العدم * وضحك عن ثغر الوجود وابتسم * اسنى صلات صلوات * بها اتوصل * الى غاية كل مقصود ومؤمل * وازكى سلامة تسليمات * بها اسلم * من شرّ القضاء المبرم * وعلى آله اهل الهدى والسداد * واصحابه المقتصدين فى الاعتقاد ﴿ اما بعد ﴾ فان اعظم العلوم مقدارا *

واجلها شأنا * واعلاها منارا * وارجحها ميزانا ومعيارا * علم العقائد الذى به تحل مشكلات الحقائق * وتنفل معضلات الدقائق * اذ به يتوصل الى معرفة مايجب للحق * ومايمتنع عليه من صفات الخلق * بل هو الوسيلة العظمى * والذريعة القصوى * فى تحقيق مسئلة القضاء والقدر * التى غرقت فى لجج بحارها افكار اولى النهى من البشر * وفى اثبات ان الله تعالى فاعل بالاختيار * منزه عن الاضطرار * متصرف فى الارزاق والآجال والاعمار * يمحو ماأثبت ويثبت مامحى من الآثار * وفى نفى الجبر المحض عن افعال العباد * ووجوب الاقتصاد فى الاعتقاد * وقد رأيت هذه المباحث الشريفة مشتملة على فوائد جمة * وعقائد مهمة * فلاح لى ان اقتبس انوار تلك الحقائق * واشعة تلك الدقائق * ولطائف هاتيك الرقائق من مصباح مشكاة الآيات القرآنية * واقتطف ازهارها من رياض الاحاديث النبوية * والتقط درر فوائدها من فرائد الادلة العقلية * وان اضيف اليها مما سنح لفكرى الفاتر * ولاح لنظرى القاصر * ماتقر به اعين البصائر * وتسرّ به السرائر * وينشرح به الخاطر * وتحلى به اجياد الانظار * وتنصقل به مرايا الافكار * وينجلى به عن عيون العقول الاغبار * تمهيدا لما يجب على الخلق من الحق ان يعتقدونه * ويقفون عند حدّه ولايعدونه * وايفاء بعهد ﴿ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ وحذرا من انقطاع العمل بعد الموت * وطمعا فى ورود احد المناهل الثلاثة قبل الفوت * وانا اذذاك مقيم فى الاستانة العلية * مركز دائرة السلطنة السنية * التى ازهرت رياض جمالها * فزهت على سائر الاقطار والامصار والبلدان * وشرفت بقاعها فحق لترابها ان يكون اثمدا تكتحل به العيون والاجفان * كيف لا وقد تقدست بوطىء اقدام مولانا سلطان

سلاطين الوقت والزمان * ومليك ملوك العصر والاوان * مظهر اسرار
(ان الله يأمر بالعدل والاحسان) ظل الله الظليل فى الارض * وسيفه
الصقيل الذى مهد طولها والعرض * ونائب نبيه صلى الله عليه وسلم
الذى اقام المندوب والسنة والواجب والفرض * المجاهد فى الله حق جهاده *
والقائم بحقوق الله تعالى وعباده * والمعلن الحق فى سائر اقطاره
وبلاده * والمشمر فى مرضاته تعالى ساعد زنده ٢ واجتهاده *
والمورى فى اعلاء دينه بحصاة همته قداح زناده * والمروج لسوق
العلم بعد كساده * والمصحح مزاج الفضل بعد ٥ فساده * من قصرت
همة الدهر دون طويل باعه * واستمد الاكليل من تاجه والذراع من
اخمصيه وذراعه * بل تعالت على هام الثريا مآثر همته * لاشك وشوكته *
واستحكمت فى ضمائر الكون احكامات حكمه وحكمته * وتلألأت
فى جبهة الدهر غرة سلطنته * واشرقت شمس الهدى من سنى طلعته *
وتعطرت انفاس الزمان بعبير شذى انفاسه القدسية * وارتاحت ارواح
العوالم بروح ريحان شمائله الملكوتية * حيث ملأ اقطار الارض عدلا
وجودا وكرما * وعم البرية فضلا واحسانا ونعما * وايد الشريعة الغراء *
والملة الحنيفية البيضاء * وشيد اركانها اى تشييد * وسدد احكامه بمحكمات
التنزيل فهى لعمرى تنزيل من حكيم حميد * فلقد قصر فى مديحه
لسان مقالى حيث قال

شمس مآثره كالشهب اذ نظمت * بسلكه فى عقود دونها الحكم
كأن اوصافه الحسنى اذا نظمت * عقد الثريا بسلك الصبح منتظم
وصورة الحق فى افكاره طبعت * مثل المرايا بها الاشكال ترتسم
كم ابرزت مضمرا فى الكون مستترا * قد اختفت دونه الاكدار والظلم
ترفع الكون بعد الخفض اذ نصبت * فوق السماك له الرايات والعلم
قامت بهمته الاحكام والتحمت * كذاك امر الدنا والدين يلتحم

٢ جده نسخه

٥ غب نسخه

(عمت)

عمت جميع الورى اقسام نعمته * بشراى ان خصصت منه لى القسم
فى كل شأن مهم جل مطلبه * تسمو على الفلك الاعلى له همم
فياله غرة بين الملوك بدا * سيماؤها فى جباه الدهر يتسم
كل الملوك اذا ماسل صيقله * دانت له منهم الهامات والقمم
لقد رعى المصطفى حقا بذمته * ان المليك لترعى عنده الذمم
وقد ملا الارض قسطا والسماء تقى * ففضله فى السما والارض محترم
لذاك قد بهجت فى نور طلعته * لما بدا الفرقتان العرب والعجم
تعزز الملك فى شأواه حين غدا * فخرا لاهل النهى تنهى له الحكم
غوث وغيث للهوف ومفتقر * به الردى والندى يمحى ويغتنم
عزت مناقبه جلت مواهبه * عن ان يحيط بها القرطاس والقلم
وجوهر الفرد فى معناه منحصر * لكونه مفردا اذ ليس ينقسم
وخطة الحد ضاقت عن احاطته * فى مدحه وكذا الاشكال والرسم

قرة اعين العالمين * وبهجة قلوب العالمين * ذى الشوكة والعظمة والجلالة
والمهابة حضرة السلطان ابن السلطان ابن السلطان * والخاقان ابن
الخاقان ابن الخاقان * السلطان الغازى (عبد الحميد) خان * بن السلطان
الغازى عبد المجيد خان * بن السلطان الغازى محمود خان * ابد الله دولته
وايد سلطنته الى انقضاء الزمان * وانتهاء الدوران * ولا زالت اعلام
خلافته على رؤس الاعوام منشورة * ومآثر دولته على صفحات الايام
باقلام النور مسطورة * ورايات جلالته متصلة بهامى الشمس والقمر *
والوية مهابته منعقدة بمعاقد الفتوح والنصر والظفر * ماهب نسيم
ونشا * ودب وليد ومشى وانتشى * واسفر الصبح وادبر العشا * وتلا تال
من صميم الفؤاد والحشا * بلسان التضرع والاختشا * بادشاهم شوكتله
چوق يشا * وهذا دعاء منصوص * من جميع العموم ومن العبد بالخصوص *
آمين سيما وقد اشار الى من لا يساعدنى الا موافقته * ولا يوافقنى الا
مساعدته * الحائز قصبات السبق * فى الفتق والرتق * والراقى الى اقصى

المعالي على جناح البرق * البحر الطامي * الذي استجدى الغيث الهامي *
من روائق مكارمه وعطاياه * والغصن النامي * الذي استعار نسيم
الصبا من الطاف شمائله وسجاياه * شعر * كريم متى امدحه امدحه
والورى * معي واذا مالمته لمته وحدي * صاحب العطف والعطوفة *
والشمائل الشريفة اللطيفة * حضرت سعدي بك افندي * حفظه الله
تعالى من كل ما يردى * ولازال مصدرا للعلماء الاعلام * وموردا
عذبا يرده الخاص والعام * والمورد العذب كثير الازدحام * فعند
ذلك اوردت جواد يراعي افواه المحابر * واطلقت عنانه في ميدان
الطرس فطفق يجري فيسابق الخاطر * فجاءت بحمد الله تعالى رسالة
جامعة مانعة * وارجو من فضل ربي ان تكون نافعة * وان يجعل
اغصانها نامية * واثمارها دانية * وقدسيتها تفؤلا مفتاح السعادة *
في سعة العمر والرزق والزيادة * والمرجو من فضل من عثر على شيء
زلت به اقدام الافكار * وكبابه جواد الانظار * ان يدرئه بالتي
هي احسن * وان يحمله على وجه حسن ما امكن * فانه لا يخلو
عن الخلل والزلل * سوى كتاب الله المنزل * وحديث نبيه المرسل *
صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق * وبيده ازمة التحقيق *
وهو حسبنا ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم * فاقول وبحول الله اصول هذه الرسالة مرتبة على مقدمة
وثلاثة ابواب وخاتمة * فاما المقدمة ففي تعريف الدليل وتقسيمه
وبيان شرائطه وتقديم بعض افراده على بعض عند التعارض وانما
كانت هذه الامور مقدمة في هذه الرسالة لان المقصود الاصلي منها
بيان ان العمر والرزق هل يقبلان الزيادة والنقصان ام لا وان
السعيد هل يمكن ان يكون شقيا وبالعكس ام لا وان ما اثبت في
اللوح المحفوظ هل يجوز محوه ام لا بخلاف العلم الازلي والصحف التي
في ايدي الملائكة فان المحو والاثبات في الاول محال عند عامة اهل

السنة خلافا للرافضة وفي الثاني جائز عند الكل ومعرفة ذلك كله
تتوقف على معرفة تلك الامور والمتوقف عليه للشيء يكون مقدمة
له على كل معنى من معاني المقدمة * فان قلت ان اهل الاصول قد بحثوا
عن حقائق الادلة واستوفوا اقسامها وشرائطها وبينوا ترجيح
بعضها على بعض عند التعارض على اكمل وجه فلم يحتج الى مثل هذه
المقدمة في مثل هذه الرسالة * قلت نعم لكن كتب الاصول * يصعب اليها
الوصول * لكثرة ذكر الاختلافات الموجبة لبعض الاطناب والتطويل
الذي ربما يوجب الملل * ويورث الكسل * لاصحاب الهمم القاصرة
والسعي القليل * فانا اخذت ملخص ما فيهما يحتاج اليه في هذه الرسالة
على وجه يسهل اخذه على الناظر * ويسرع لتلقيه الخاطر * والا فالناظر
فيها ان قدح زند الاجتهاد * اقتبس اشعة ما اراد * من غير احتياج
الى هذه المقدمة التي لا تشفي كل عليل * ولا تبل كل غليل * اذا عرفت
هذا فاعلم ان الدليل ما يمكن ان يتوصل فيه الى حكم جازم اوغير
جازم بناء على اطلاقه على ما يعم الامارة وقد يطلق على ما يقابل
الامارة فيقال ما يتوصل فيه الى حكم جازم فقط * وانما اخذنا
قيد الامكان * لئلا يخرج عنه الافراد التي ما توصل بها الى
الآن * بل ربما لا يتوصل بها في سائر الازمان * مع انها منه
لدى العيان * وههنا سؤال وجواب لاحا للفقير * في اثناء
التحرير * فنظمتهما في سلك التقرير * وهو أن يقال ان المعرف الذي
هو الدليل تتوقف معرفته على معرفة كل جزء من اجزاء تعريفه
ومن جملة الاجزاء الحكم الذي هو المدلول ومن المعلوم ان المدلول
تتوقف معرفته على معرفة الدليل فاذا توقف معرفة الدليل على
الحكم الذي هو المدلول ومعرفة المدلول على الدليل لزم الدور
* والجواب ان المتوقف عليه للدليل هو الحكم الملحوظ من حيث
كونه حكما فقط وهو اسناد امر الى آخر ايجابا او سلبا كما هو عند

المنطقيين اوخطاب الله المتعلق بافعال المكلفين كما هو عند الاصوليين
اعنى مفهوم الحكم لاافراده الخارجية الملحوظة باوصاف خارجة عن
حقيقته التى بمجرد ملاحظتها ربما يذهل الذهن عن كونها حكما والمتوقف
على الدليل هو هذه الافراد الخارجية الملحوظة بتلك الاوصاف
لا الحكم الملحوظ من حيث كونه حكما فالمتوقف غير المتوقف
عليه فلا دور وبهذا يجاب ايضا عن اشكال آخر وهو أن المدلول
خارج عن الدليل اذ النتيجة غير المقدمات فكيف وقع جزأ
من الدليل فيقال الجزء مفهوم كلى ملحوظ من حيث هو اشتمل
عليه مفهوم كلى اشتمال الكل على الجزء والخارج عن الدليل هو
فرد خارجى دل عليه فرد آخر فالداخل غير الخارج وينقسم الى
قسمين نقلى وعقلى فالنقلى ماتوقف بجميع مقدماته او بعضها على نقل
وسماع من المخبر الصادق والعقلى مالايتوقف بشىء منهما على ذلك
وكل منهما ينقسم الى قطعى وظنى فالقطعى ما افاد حكما لا يحتمل
النقيض والظنى بخلافه وقد يستفاد من النقل لمعرفة القرائن القطع
كما فى ادلة وجوب الصلاة مثلا فان الصحابة علموا معانيها المرادة
بالقرائن المشاهدة ونحن علمناها بواسطة نقل القرائن الينا تواترا
ومن شروط التوصل فيه الى الحكم مطلقا ان لايقوم القاطع على
خلاف ما اقيم هو عليه انكان قطعيا ولاالظنى المساوى بالقوة الذاتية
اوالعرضية ان كان ظنيا وهذا هو معنى التعارض واما قيام الظنى على
خلاف ما اقيم عليه القطعى وبالعكس وكذا قيام الظنى الاضعف بالذات
على خلاف ما اقيم عليه الاقوى بالذات فليس بتعارض اذ الاضعف
بالذات لايعادل الاقوى بالذات ولا يقاومه ليكون تعارضا وانما قيدنا
الاضعف والاقوى بكونهما بالذات لان الاضعف بالوصف يعارض
الاقوى فيه لانه يعادله ويقاومه نظرا الى الظاهر ٢ وسنورد تلك
الامثلة مفصلة لتنطبع فى مرآة فكرك الصورة* وترتسم فى عين البصيرة*

٢ قيد بالنظر الى الظاهر لانه بالنظر الى الحقيقة لايقاومه والا لم يرجع عليه منه

(ثم)

ثم التعارض يجرى فى الادلة النقلية والعقلية قطعية كانت اوظنية سواء
قلنا ان النقلية قدتكون قطعية كما تكون ظنية كما هو الصحيح وعليه
الجمهور اوقلنا ان النقلية لا تكون قطعية كما ذهب اليه البعض بناء على
انها وان كانت قطعية الثبوت كالاخبار المتواترة الا انها لاتمكن
ان تكون قطعية الدلالة اذ احتمال التجوز والاشتراك والتخصيص
وغيرها من الاحتمالات العشرة المشهورة قاطع للقطعية ورد بان
احتمالا غيرنا شىء عن دليل لاتعتد به العقول كما فى الادلة العرفية
والعلوم العادية والا فلايجوز أن تؤخذ عقيدة من كتاب وسنة*
لقيام تلك المظنة* مع وجوب اخذها منهما بحكم قوله تعالى ﴿ وهذا
كتاب مبارك فاتبعوه* وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ هذا على مذهب
بعض اهل الاصول وحققه ابن كمال الوزير وذهب صاحب التنقيح
والمرآة ومن تبعهما الى ان التعارض انما يكون فى الادلة الظنية فقط
دون القطعية لامتناع وقوع المتنافيين اذ لايتصور الترجيح لانه فرع
التفاوت فى احتمال النقيض ٧ والجواب عنه بان التفاوت قد يكون بشرط
او زمان اوغير ذلك من الجهات التى لا يتحقق التناقض الا باتحادها
فكيف لا يتصور الترجيح ٨ ليس بشىء لان الدليلين حينئذ ليسا
بمتنافيين بالذات اذلم يرد الايجاب والسلب على شىء واحد وذلك
شرط تحقق التناقض بل الجواب ما اجاب به ابن كمال الوزير وهو أنه
كما لا يتصور الترجيح بين القطعيين لامتناع وقوع المتنافيين لايتصور
بين الظنيين المتساويين لهذه العلة بعينها فلم حكمتم بجواز التعارض
بين الظنيين المتساويين دون جوازه بين القطعيين مع انهما مشتركان فى علة
عدم تصور الترجيح غاية مافى الباب انه يترك الاخذ بكل من الظنيين كما
يترك بكل من القطعيين فالفرق تحكم* واقول الحق انه ان اريد بالتعارض
ماهو فى الواقع فقط فلا يمكن وقوعه بين الظنيين المتساويين كما لايمكن
وقوعه بين القطعيين قطعا وان اريد به ماهو اعم مماهو فى الواقع اوفى

٧ مبتدأ منه

٨ خبر منه

حكم الحاكم كما يدل عليه حكمهم بوقوع التعارض بين الظنيين المتساويين
مع انه لايجوز وقوعه فى الواقع فيقع بين الكل لان الحكم قد لايطابق
* والتعارض ورود دليلين مطلقا يقتضى احدهما عدم مايقتضيه الآخر
لعينه قيد بكونه لعينه ليكون السلب واردا على ماورد عليه الايجاب
فلا حاجة الى اشتراط اتحاد الجهات التى يغنى عن اشتراطه هذا القيد
لاستلزامه اياه وله ثلاث صور كلية ترجع اليها سائر الجزئيات احداها
ان يكونا متساويين سوآء كانا من الكتاب او السنة المتواترة او المشهورة
او خبر الآحاد قال ابن كمال الوزير فى تنقيح التنقيح ولا فرق بين السنة
المتواترة والمشهورة لانهما قطعيان انتهى وهو خلاف ماعليه اهل
الاصول وحكم المتعارضين حينئذ الجمع بينهما ان امكن بان يحكم بتغاير
الحكم فيهما بجهة من الجهات التى هى شرط فى اتحاد الحكم فيندفع
التعارض وذلك مثل قوله تعالى فى حكاية قول نوح عليه السلام
لقومه ﴿ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم
الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لايؤخر﴾ فقوله تعالى ﴿ويؤخركم
الى اجل مسمى﴾ يدل على ان الاجل يقبل التأخير وقوله تعالى
﴿ان اجل الله اذا جاء لايؤخر﴾ يدل على انه لايقبله وهل هذا الا
تناقض فيدفع التناقض ويجمع بينهما بان يقال الاجل الذى يقبل
التأخير الاجل الذى قدره الله تعالى على تقدير المعصية لانه قد يؤخر
بالطاعة والاجل الذى لايقبله الاجل الذى قدره على تقدير الطاعة
فما وراء عبادان قرية او يقال الاجل الذى يقبل التأخير هو المثبت
فى اللوح فيجوز أن يمحى ويثبت له ٢ التأخير والاجل الذى لايقبله
هو الامد المضروب فى الازل الذى تعلق به العلم الازلى بانه عند
حلوله يقع لامحالة او يقال ٣ الاجل الذى يقبل التأخير الاجل المطلق
الذى يقتضيه الاستعداد طبعا بحسب هويته المسمى اجلا طبيعياً
بالنظر الى نفس ذلك المزاج الخاص والتركيب المخصوص بلا اعتبار

٢ اى للانسان
منه

٣ هذا وماقبله
اشارة الى فقد
اتحاد الموضوع
فاندفع التناقض
منه

(عارض)

عارض من العوارض الزمانية والاجل الذى لا يقبله هو الاجل
المقدر الزمانى الذى يجب وقوعه عند اجتماع الشرآئط وارتفاع
الموانع المثبت فى كتاب النفس الفلكية التى هى لوح القدر المقارن
لوقت معين ملازماله ٣ او يقال الاجل يقبل التأخير بشرط
الطاعة الاجل لايقبل التأخير بشرط المعصية ٤ او يقال الاجل
يقبل التأخير قبل حلوله الاجل لا يقبل التأخير عند حلوله
وسيجىء لهذه المباحث زيادة تحقيق ان شاء الله تعالى وان لم يمكن
الجمع بينهما صير من الكتاب الى السنة لقوله تعالى ﴿وانزلنا اليك الذكر
لتبين للناس مانزل اليهم﴾ ومنها الى قول الصحابى لانه اعرف بمواقع
الكلام واكثر تصفحا لاحوال سيد الانام عليه الصلاة والسلام
فيفهم القصد والمرام وفى هذه الصورة تعارض ولا ترجيح على ماهو
الصحيح لانه ان اخذ باحدهما دون الآخر لزم الترجيح ولا رجحان*
او بهما اجتمع الضدان* اولم يؤخذ بشىء منهما ارتفع المتعاندان* مثلا
الآية المتقدمة على تقدير عدم الجمع نصير منها الى قوله عليه الصلاة
السلام ﴿الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان فى العمر﴾ ومثال
المصير من السنة الى قول الصحابى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
﴿الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحول
الشقاوة سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء﴾ وقوله صلى الله
عليه وسلم ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة﴾ نصير
منهما الى قول عمر رضى الله تعالى عنه وابن عباس وابن مسعود
رضوان الله عليهم فى قوله تعالى ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت﴾ يمحو
مايشاء من الاجل والرزق وكذا الايمان والكفر والسعادة والشقاوة
فان قلت لم لم تعتبر نسخ احدهما الآخر اذا علم التاريخ كما اعتبره اهل الاصول
قلت لان مطلبنا هذا من قبيل الاحكام الشرعية الاعتقادية التى يمتنع
رفعها فى وقت من الاوقات بخلاف الاحكام الشرعية العملية التى هى

٣ هذا اشارة الى
فقد اتحاد الشرط
منه

٤ هذا اشارة الى
فقد اتحاد الزمان
منه

مطلب الاصوليين فان النسخ واقع فيها بالاجماع * فان قلت كما لايجرى النسخ فى الاحكام الشرعية الاعتقادية لاتجرى فى ادلتها الاحكام المذكورة فى هذا المقام مما عدا الجمع من الصور الثلاث ٣ لانهم خصوا هذه الاحكام بادلة الفقه الذى هو العلم بالاحكام الشرعية العملية فاخرجوا بقيد العملية الاحكام الاعتقادية عن الحد * قلت لانسلم انهم خصوها بادلة الفقه كيف ولو خصوها بها لماتعلق ترجيح بدليل فى سائر العلوم اذ وجوه الترجيح منحصرة فى هذه الصور الثلاث واللازم باطل فكذا الملزوم وايضا انهم انما اخرجوا بقيد العملية نفس الاحكام الاعتقادية عن نفس الاحكام العملية لا الاحوال التى تعرض لادلة الاحكام الاعتقادية عن الاحوال التى تعرض لادلة الاحكام العملية اين هذا من ذاك واما ذكر هذه الاحوال والتفحص عنها فى علم الاصول دون غيره فلانها من وظائفه اذهو المتكفل ببيان الادلة واحوالها دون غيره والمنطق متكفل بالادلة العقلية دون غيرها فتأمل * الصورة الثانية ان يكون احد الدليلين اقوى بوصف ذاتى وفى هذه الصورة لامعارضة ولاترجيح فلا يقال النص راجح على القياس مثلا * الصورة الثالثة ان يكون احدهما اقوى بوصف تابع عرضى وفى هذه الصورة تعارض وترجيح والترجيح فيها اما من جهة المتن كترجيح المحكم على المفسر والمفسر على المجمل والنص على الظاهر والحقيقة على المجاز والصريح على الكناية والعبارة على الاشارة والاشارة على الدلالة اذا تساويا رتبة ٧ واما من جهة السند وهو اما باعتبار الراوى ككونه مزكى بالاختبار ومعروف النسب ومشهوره ومعروف العدالة والرواية ومشهورهما وككونه اعرف بمواقع الكلام واكثر تفحصا عن احوال سيد الانام صلى الله عليه وسلم فيرجحون على من لم يكن فى درجتهم واما باعتبار الرواية كترجيح الصحيح على الضعيف والمسند على

٣ انما استثنى الجمع من الصور الثلاث للاتفاق على جريانه فى جميع الادلة فى سائر العلوم فلم يمكن انكاره منه

٧ راجع الى الكل منه

المرسل والمرفوع على الموقوف واما باعتبار المروى كترجيح المسموع من النبى عليه الصلاة والسلام على مايحتمل السماع وكترجيح الاكثر طرقا على الاقل واما باعتبار المروى عنه كترجيح مالم يثبت انكار من احد الرواة لروايته على ماثبت انكار لاحد منهم ويعتبر فى زماننا كما قال ابن السبكى الرجوع الى ائمة ذلك واما من جهة امر خارج كترجيح ما كان اقرب للدليل العقلى على الابعد ووجوه الترجيح كثيرة لاتكاد تضبط وفيما ذكرناه كفاية لمن تأمل به ولنشرع فى المقصود فنقول وبالله المستعان

﴿الباب الاول﴾

فى الآيات القرآنية الدالة على جواز تاخير الاجل وفى كيفية الاستدلال بها مع ما يعضدها من الادلة النقلية والعقلية ومايعارضها منها والجواب عن كل منها الآية الاولى قوله تعالى ﴿ هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون ﴾ ولنتكلم اولا على تفسيرها بما هو الاحرى من التأويل والاليق بشان التنزيل مع بيان بعض المعانى اللغوية التى يحتاج اليها فى هذا المقام ودفع الشبه التى ربما تعرض لبعض الافهام لتدور رحى الاستدلال على التحقيق وتلفظ من فمها كل معنى دقيق فنقول وبالله التوفيق لماساق سبحانه وتعالى الآية السابقة ٢ لبيان بطلان اشراك المشركين به مع معاينتهم مايوجب توحيده من الدلائل القاطعة لعرق الشركة كخلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور عقبها بسوق مايليها لبيان بطلان امترائهم بالبعث مع مشاهدتهم فى انفسهم من الشواهد الحسية مايقطع مادة ذلك بالكلية استبعادا لعقولهم الفاسدة واستبداعا لعقائدهم الكاسدة وتوبيخا لهم بابلغ عبارة والطف اشارة وذلك انه سبحانه وتعالى دمغ اباطيلهم باقرب مايشاهدونه عيانا ويعترفون به ايقانا وهو ابتداء خلقهم من الطين اذهم بشئون انفسهم اعرف فدلالته على المقصود اوضح والتعامى عن الحجة الساطعة اقبح قيل ولذا خصصه سبحانه وتعالى بالبحث من بين سائر ادلة البعث مع ان

٢ وهى قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون منه

خلق السموات والارض اوضحها كما فى قوله تعالى ﴿ اوليس الذى خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى ﴾ واقول لما كان التوحيد
اقوى مراتب الايمان والايمان بالبعث من لواحقه وكان خلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس بل خلقهم كاللاحق لخلقها سبق سبحانه
الاستدلال بالسابق على السابق * ولحق الاستدلال باللاحق على اللاحق *
ايفاء بحق المقام * ورعاية لنظم الكلام * فقال سبحانه وتعالى ملتفتا من الغيبة الى
الخطاب * لمزيد التشنيع والتوبيخ والعقاب ﴿ هو الذى خلقكم من طين ﴾
اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لخلق الاب منه او خلق
مادة اصلكم منه وهو آدم عليه السلام او اصل مادتكم منه وهى الاغذية
التى منها تتكون النطفة اذ الغذاء اما حيوانى او نباتى والحيوانى ايضا
متكون من النطفة المتكونة من الغذاء النباتى فرجع الكل الى النباتى
والنبات متكون من الارض التى هى الطين فاصل المادة الطين وعلى
كل تقدير من التقادير الثلاثة فى الكلام تجوز وهو على الاول فى النسبة
الايقاعية وعلى الثانى والثالث فى الحذف وعلى التقدير الاول ٧ فانما علق
النسبة بهم دون آدم عليه السلام مع كفاية علمهم بها فى وجوب الايمان *
وبطلان الكفران * توضيحا لمنهاج القياس * ومبالغة فى ازاحة الالتباس *
وتنبيها على حكمة خفية * هى ان كل فرد من الذرية * له حظ من هذا
الانشاء * الذى ليس لهم فيه امتراء * حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة
على نفسه * بل كانت انموذجا منطويا على سائر ابناء جنسه * انطواء اجماليا *
نشر آثارها على الكل نشرا تفصيليا * لان خلقه على هذا النمط البديع *
السارى على الجميع * ابدع من قصره عليه وادل على الحكمة الباهرة
فنسبة الخلق اليهم احرى * والله سبحانه بخطابهم ادرى * وحال المخاطبين
ابتداء * اولى بان يكون معيارا وانتهاء * ثم ضم سبحانه الى بدأ الخلق دليلا
آخر يترتب عليه ترتيب الفرع على الاصل تتميما للاستدلال * وتطبيقا على
مقتضى الحال * فقال وهو اعظم من قال ﴿ ثم قضى ﴾ اى قدر وكتب ﴿ اجلا ﴾

٧ اى من التقادير الثلاثة وهو ابتداء خلقكم منه اذ هو ابلغ تقدير كما تقف عليه الآن

منه

(معلوما)

معلوما مضروبا له غايتان غاية على تقدير الطاعة وغاية على تقدير المعصية
لا بد أن يبلغ الانسان احد الغايتين على احد التقديرين هذا هو المذهب
الصحيح كما ستطلع عليه والقضاء يستعمل بمعنى الايجاب والالزام كقوله
تعالى ﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ﴾ اى اوجب والزم وبمعنى
الاخبار والاعلام كقوله تعالى ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب
لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ اى اخبرناهم واعلمناهم
وبمعنى الخلق والتقدير كقوله تعالى ﴿ فقضيهن سبع سموات فى يومين ﴾
اى خلقهن وقدرهن فى هذه المدة وهذا المعنى هو المقصود من قضى هنا
والاجل فى اللغة هو الامد المضروب لانقضاء المدة واجل الحيوان
زمن بطلان حياته ويطلق ايضا على نفس المدة يقال اجل الدين
شهر كما يقال آخر الشهر واصله من التأخير يقال اجل يأجل
اجولا فهو آجل اذا تأخر واختلف فى المعنى المقصود من الاجل
فى هذه الآية فقيل الاجل الاول هو مابين الولادة والموت والثانى
مابين الموت والبعث وهو مدة البرزخ وهذا هو المروى عن ابن
عباس رضى الله عنهما حيث قال ﴿ ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا
من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا
للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا
للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث ﴾ وقد رواه عنه
عطاء والحاكم وصححه واليه ذهب الحسن وابن المسيب وقتادة
والضحاك وكثير من المحدثين ورواه عنه ايضا الفريابى وابن ابى
شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ واختاره
الزجاج وقيل الاجل الاول الموت والثانى البعث وهذا ايضا
مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما لكنه غير مصحح عنه وقيل
الاجل الاول الذى يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا والثانى اجل
الآخرة اى لا نهاية لها ونسب الى مجاهد وسعيد بن جبير ويضعفه

ان اطلاق الاجل على مالانهاية له غير معهود فى كلامهم وقيل الاول اجل من مضى والثانى اجل من بقى ومن يأتى ونسب الى ابى مسلم وقيل الاجل الاول النوم والثانى الموت وروى عن قعى لكن اطلاق الاجل على النوم خلاف المتعارف انما المتعارف اطلاق الموت على النوم وقيل الاول ماخلق فى ستة ايام والثانى ماكان بعد ذلك الى يوم القيمة وروى هذا عن ابن يزيد الايلى لكنه يلزم منه عطف المتقدم زمنا على المتأخر بثم الموضوعة للتراخى الزمانى اذ المعطوف عليه وهو الخلق من الطين متأخر عن المعطوف وهو ماقضى فى ستة ايام وقالت الفلاسفة للحيوان اجل طبيعى بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين بحيث لو بقى ذلك المزاج مصونا عن العوارض الخارجية لانتهت مدة بقائه الى الوقت الفلانى واجل اخترامى وهو الذى يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالقتل والحرق والغرق فهذه سبعة مذاهب اصحها الاول وعليه المعوّل اذمع مافى بعضها مما اشرنااليه لاتناسب ماسيقت له الآية الكريمة لانه سبحانه وتعالى جمع لمنكرى البعث فى الاستدلال بين امرين رتب ثانيهما على الاول ترتيب الفرع على الاصل وهما بدأ مادة اصلهم اواصل مادتهم من طين ٩ مع مايتفرع عليه من لبثهم فى مدة حياتهم على الاوصاف التى ستذكر والاول ٢ على الاول ٣ محسوس لهم بطريق التواتر بحيث لايمكنهم انكاره وعلى الثانى ٤ مشاهد لهم بطريق الابصار كما ان الثانى ٥ على التقديرين ٦ مشاهد لهم بطريق الابصار وهو ٧ انهم بعد خلقهم المستتبع لخلق ابيهم اوبعد خلق ابيهم من الطين اوبعد خلقهم من الاغذية المتولدة منه تولدت لهم انواع الاعضاء المختلفة فى الصفة واللون والشكل مثل القلب والدماغ والكبد وانواع الاعضاء البسيطة كالعظام والغظاريف والرباطات والاوتار وغيرها ثم ترتب على كل عضو خاصة من الخواص

٩ انما ترك التقدير الاول وهو ابتدأ خلقكم منه لانه داخل فى الثانى اوفى الثالث وانما ذكر اولا لان المقام هناك يقتضيه منه

٢ اى من الامرين منه

٣ اى على التقدير الاول وهو بدأ مادة اصلهم منه

٤ اى وهو بدأ اصل مادتهم منه

٥ اى من الامرين وهو لبثهم فى مدة حياتهم على الاوصاف التى ستذكر منه

٦ اى بدأ مادة اصلهم او اصل مادتهم منه

٧ اى الثانى المتفرع على الاول وهو لبثهم الخ منه

وقوة من القوى التى لايحصى تفصيلها وجميع هذه المواد والاوصاف تترتب على بدء الخلق ترتب الفرع على الاصل والمدة الزمانية التى يمكث فيها الانسان على هذه الاوصاف هى الاجل الاول الذى قضاه الله تعالى من بين الاجلين المقابل للاجل المسمى عنده وهو قابل للزيادة والنقصان كما فى الحديث السابق وكما سنحققه انشاء الله تعالى فكأنه قال سبحانه وتعالى ان من قدر على افاضة الحياة * وما يتفرع عليها من الصفات * على مادة لم تشم رائحة ذلك فى وقت من الاوقات * كان اقدر على افاضتها على عين مادة قد اكتحلت بامد ذلك فى بعض الاوقات * فعلى هذا يكون قضاء الاجل الاول داخلا فى الاستدلال وهو اوفق لمقتضى الحال اذ الاوصاف الوجودية البديعة المتفرعة على الحياة ابدع دليل على البعث بخلاف ما اذا جعل الاجل الاول الموت فلايكون داخلا فى الاستدلال لان الموت لايدل على البعث لانه عدم بل هو منشأ لانكار البعث كما فى قوله تعالى ﴿ أئذامتنا وكنا تراباوعظاماأئنالمبعوثون ﴾ من الدلالة على انه منشأ للانكار ويشهد للمعنى الذى قلناه تشاكل المتعاطفتين بالفعلية الماضوية وان كان العطف بثم للتباعد بين الخلق الصورى والقضاء المعنوى فقد حصل التناسب بين المفعولين ٢ معنى كما كان حاصلا بين الفعلين ٣ لفظا فتكون جميع اجزاء ٤ الدليل وجودية بخلاف ما اذا جعل الاجل الاول الموت فان بعضها يكون حينئذ عدميا واستوضح ذلك من قوله تعالى ﴿ ياايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقرّ فى الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر ﴾ كيف شاكل سبحانه المتعاطفات الوجودية متناسقة فى مقام الاستدلال بكل منها على البعث * ثم بعد الفراغ من الاستدلال غير الاسلوب الى اسمية الجملة فقال

٢ هما ضميركم فى خلقكم ولفظ الاجل منه

٣ هما خلق وقضى منه

٤ اى الفعلين والفاعلين والمفعولين منه

(ومنكم من يتوفى) كما غير الاسلوب هنا الى اسمية الجملة عند الشروع
فى المدلول بعد أن فرغ من الاستدلال لما ان البرزخ ليس من الامور
المشاهدة التى يمكن بها الاستدلال على وقوع غايتها وهو البعث بل
هى منشأ للانكار كما مر فانظر ما اعذب هذا الاسلوب واحلى هذا
النظم وابدع هذا النمط فعلى هذا جملة قوله تعالى (واجل مسمى
عنده) مستأنفة عما قبلها اى الاجل الذى تجحدون انه له غاية هى البعث
هو أجل محدود موقت له غاية معلومة عند الله مستأثرة فى علمه
لابد أن ينتهى اليها اوغاية الاجل الذى تجحدون وقوعها هى معلومة
عند الله مستأثرة فى علمه لابد وان تقع وهى البعث ففى الكلام تجوز
باعتبار الاول على الاول و بالحذف على الثانى وتنكير الاجل
للتفخيم وتقديمه على خبره الظرف مع ان الشائع تقديم الخبر الظرف
على مبتدأه النكرة وفاء بحق التفخيم فان ماقصد به ذلك حقيق
بالتقديم فالمعنى واى اجل عنده وعندى وجه آخر وهو أنه لما كان
هو موضوع الانكار والقطب الذى عليه المدار استحق الاهتمام
بشانه * فقدم على اقرانه * ثم لما كان انكارهم للبعث مستبعداً جدا
منحطا عن درجة الاعتبار عطفه سبحانه على ماقبله بثم فقال (ثم انتم)
ايها المنكرون للبعث (تمترون) ترددون فى وقوعه وتطلبون الامارة
عليه مع وضوح هذه الحجج النيرة فلا تدركون قياس الغائب
الاضعف على الشاهد الاقوى فى ايصال القدرة اليه * والامتراء مأخوذ
من مرى الضرع اذا مسحه للدر والمناسبة ظاهرة لان الممترى كما
يطلب تخلص الضرع من اللبن يطلب تخلص الذهن من التردد وبعضهم
قال معنى تمترون تشكون وليس بصواب لان الشك وقوع النفس بين
امرين متقابلين بحيث لاترجح احدهما على الآخر بالامارة * واما
الريب فهو التوقف فى الشىء ثم ينكشف وتقديم المبتدأ هنا لزيادة
التوبيخ بزيادة الالتفات مع تحقيق القصر عليهم لقصور عقولهم بالنسبة

الى من لاينكر وتوجيه الاستبعاد بثم الى الامتراء مع انهم جازمون
بانتفاء البعث مصرون على جحوده كما ينبىء عنه كثير من الآيات
للدلالة على ان جزمهم بذلك فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار
فقد تبين مما قررناه فى نظم الآية العظيمة وشيدناه بالكتاب والسنة
الكريمة ان الاجل الاول هو مابين الولادة والموت والثانى مابين
الموت والبعث والاول قابل للتقديم والتاخير باعتبار النهاية والثانى
قابل لهما باعتبار البداية * فان قيل هذا معارض بقوله تعالى (فاذا
جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) فان هذه الآية تدل
على امتناع قبول الاجل التقديم والتأخير والاولى على العكس * قلت
نجمع بينهما بان المقصود من الاجل فى الآية الثانية اجل
استئصالهم فى الاهلاك والمعنى ان الله تعالى امهل كل امة كذبت
رسلها الى وقت معين وهو تعالى لايعذبهم الى ان يبلغوا ذلك
الوقت الذى يصيرون فيه مستحقين لعذاب الاستئصال فاذا جاء ذلك
الاجل نزل ذلك العذاب لامحالة اذا كانوا باقين على التكذيب وهذا
هو مذهب ابن عباس والحسن ومقاتل ولا نسلم ان المراد منه غاية
عمر كل احد كيف وقد صدرها تعالى بقوله (ولكل امة اجل) فذكر
لفظ امة ولم يذكر لفظ احد ولئن سلم بناء على ان المقصود كل
واحد من كل امة وذكر الامة فيما يجرى مجرى ٥ الواحد افخم
او بناء على ان الامة الجماعة فى زمان واحد والمفهوم من حالها التقارب
فى الآجال فلا نسلم انها تدل على الامتناع كيف وان الله تعالى لايمتنع
عليه مقدور ولايجب عليه شىء لانه مختار فى افعاله غير موجب فى
ذاته ولئن سلمنا الامتناع بناء على ان ما اخبر عنه تعالى بانه يقع فمحال
ان لايقع او بانه لايقع فمحال ان يقع وذا لاينا فى الاختيار فلا نسلم انه
ممتنع مطلقا بل وقت مجيئه عند اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع كما
يفصح عنه لفظة اذا الموضوعة للزمان واما قبل مجيئه فيجوز تأخيره

٥ الوعيد نسخه

بدعاء اوطاعة كما روى عن كعب رضى الله عنه انه قال حين طعن
عمر رضى الله عنه لوأن عمر دعا الله لاخر فى اجله فقيل له أليس
قد قال تعالى ﴿ فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾
فقال ذلك وقت مجيء الاجل لا قبله وكما قرروه فى نكتة عطف
يستقدمون على الجزاء وهو يستأخرون من ان العطف للدلالة على
انه كما يمتنع تقديم ٢ الاجل اذا جاء على الوقت الذى جاء فيه يمتنع تأخيره
عنه وان كان الاول ممتنعا لذاته والثانى لغيره لاشتراكهما فى مطلق
الامتناع فهذا صريح فى ان المقصود بامتناع تأخيره امتناعه وقت مجيئه
والا فلا يمتنع التقديم كما لا يمتنع التأخير ولئن سلمنا الامتناع قبل مجيئه
ايضا ورفضنا هذه الحجج الساطعة والبراهين اللامعة بناء على احتمال
اسقم من طرف ليلى هو أن معنى اذا جاء اذا قارب المجيء ٣ فلا
نسلمه على كل تقدير بل على تقدير عدم الدعاء والطاعة والا فيجوز
تأخيره على تقديرهما ولا يمتنع كما روى احمد عن معاذ رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ لن ينفع حذر من قدر ولكن
الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ﴾ فان قيل الاصل العموم وعموم
الاشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمان والبقاع وخبر الواحد
لا يخصص العام القطعى فيما تناوله قلنا لا نسلم ان العام قطعى فيما تناوله
هنا من الاحوال والازمان والبقاع كيف وقد تطرق عليه الاحتمال
الناشيء عن الدليل فيخص سيما وهذا الحديث مستفيض المعنى على ان
الآيات الآتية معضدة له كما ستطلع عليه ان شاء الله تعالى الآية الثانية
قوله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ولنتكلم
على هذه الآية بما تكلمنا به على الآية السابقة فنقول وبحوله نصول
لما اوهم ظاهر قوله تعالى ﴿ لكل اجل كتاب ﴾ اى حد مكتوب فى
اللوح لا يتجاوزه انه لا يتجاوزه مطلقا فى كل وقت وعلى كل تقدير
فالحياة والموت والغنى والفقر والسعادة والشقاوة لا تقبل المحو

٢ المقصود من الاجل فى هذه العبارة نفس بطلان الحياة فقط فلا يلزم ان يكون للوقت وقت فافهم منه

٣ كقولهم جاء الشتاء اذا قارب المجيء منه

(والاثبات)

والاثبات * بل لكل منها على تقدير وجوده وقت معين من الاوقات *
وهذا يلزم منه تعطيل بعض الصفات * بل الايجاب بالذات * وهو نقص
فى حق خالق الارضين والسموات * اذ له تعالى حضرة الاطلاق
عن القيودات * محا سبحانه هذا الامر الموهوم * واثبت ضده المعلوم *
بان آثار قدرته تابعة لارادته * وجميع افعاله باختياره ومشيئته * وان كل ما يقع
فى ملكه وملكوته * فهو منقاد بزمام سلطنته وعظيم جبروته * وان ما اوهمه
الظاهر من عدم الامكان * لا ينبغى ان يعول عليه انسان * اذ الامر
ممكن بل واقع كل يوم هو فى شان فقال عز من قائل ﴿ يمحو الله
ما يشاء ﴾ اى كل شيء يشاء محوه اى تعلقت مشيئته بمحوه اى
اذهاب اثره بعد أن كان ثابتا والمشيئة صفة من شانها ترجيح
احد المقدورين على الآخر ايجادا او اعداما فهى مرادفة للارادة
عند الجمهور وعند البعض الارادة اخص منها لان من شانها ترجيح
احد المقدورين ايجادا فقط قال تعالى ﴿ انما امرنا ﴾ اى مشيئتنا ﴿ لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ فاجتمعت هنا مع الارادة فى
الايجاد وقال تعالى ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ فافترقت هنا عنها فى الاعدام * اقول
الحق ما عليه الجمهور لا لما قاله بعضهم من ان كل صفة من صفاته تعالى
تفعل فعل اخواتها فتتعدى الى ما تعدت اليه الاخرى لانا لا ندعى
انها صفة اخرى غير الارادة بل لعدم الدليل على الغيرية ولا يلزم
من اطلاق الارادة على ما من شانها الايجاد عدم اطلاقها على ما من شانه
الاعدام قال تعالى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ﴾ وليت
شعرى كيف غفل القائل بالتفرقة عن مثل هذه الآية ولهذه المباحث
تحقيقات تأتى فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى ﴿ ويثبت ﴾ اى كل شيء
تعلقت مشيئته باثباته من حياة او موت او غنى او فقر او سعادة
او شقاوة الى غير ذلك من المقدورات سواء كان ممحوا قبل ذلك
او ثابتا لان الاثبات يتصور بعد الثبوت كما يتصور بعد المحو بخلاف

المحو فانه لايتصور الا بعد الثبوت وقرأ نافع وابن عامر ويثبت
بتشديد الباء الموحدة وحذف المفعول هنا للاختصار قيل ولدلالة
ماقبله عليه كقوله تعالى (والحافظين فروجهم والحافظات) قلت
ولتأكيد العموم المستفاد من المفعول السابق واختلف فى المقصود مما
يمحوه ويثبته على اقوال * الاول يمحو الحكم الاول اى ينسخه
ويثبت بدله حكما آخر لحكمة ارادها عند اهل السنة ولوجوب رعاية
المصلحة عند المعتزلة * الثانى يمحو من ديوان الحفظة ماليس بحسنة
ولاسيئة ويثبت الحسنة والسيئة * الثالث يثبت الذنب ويمحوه بالتوبة
* الرابع يمحو من جاء اجله ويثبت من لم يجئ * الخامس يثبت
فى اول السنة حكمها ومايكون فيها فاذا خرجت محاها واثبت حكم
غيرها ومايكون فيها * السادس يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس
* السابع يمحو الدنيا ويثبت الآخرة * الثامن يمحو مامضى
ويثبت مابقى * التاسع يمحو رزق هذا الميت ويثبت رزق هذا الحى
* العاشر يمحو طاعة من مات على المعصية اى الكفر ويثبت طاعة
من مات على الطاعة وان عمل قبل معصية * الحادى عشر يثبت
فى البطن السعادة والشقاوة وما هو كائن فيقدم ماشاء ويؤخر ماشاء
* الثانى عشر يمحو ويثبت مايشاء من حكمه لايطلع على غيبه احد
ولايخفى تداخل بعض هذه المذاهب فى بعض * الثالث عشر ان الآية
عامة فى كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ ولان الاصل العموم فتدخل
الاقوال كلها فى هذا القول وهذا هو مذهب عمر وابن مسعود
ومن تبعهما رضى الله تعالى عنهم قالوا ان الله تعالى يمحو من الرزق
ماشاء ويزيد فيه وكذا العمر والسعادة والشقاوة والغنى والفقر
والايمان والكفر وجميع المكتوبات حتى ان اصحاب هذا المذهب كانوا
يدعون ويتضرعون الى الله فى ان يجعلهم سعداء ويمحو عنهم الشقاء
فقد اخرج عبدالله بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب

رضى الله تعالى عنه انه قال وهو يطوف فى البيت ﴿ اللهم ان كنت كتبت
علىّ شقاوة اوذنبا فامحه فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك ام الكتاب
فاجعله سعادة ومغفرة ﴾ وهو المذهب الذى رواه سيدنا علىّ كرم الله
وجهه وجابر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد اخرج
ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ رضى الله عنه انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ﴿ لاقرن عينك بتفسيرها
ولاقرن عينى امتى بعدى بتفسيرها الصدقة على وجهها وبر الوالدين
واصطناع المعروف يحول الشقاوة سعادة ويزيد فى العمر ويقى
مصارع السوء ﴾ وقد صح من دعائه صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم احينى
ان كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ان كانت الوفاة خيرا لى ﴾ واخرج
ابن سمرة وابن جرير وابن مردويه فى الآية قال ﴿ يمحو من الرزق
ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد فيه ﴾ فقيل له من حدثك بهذا
قال ابو صالح عن جابر بن عبدالله بن رياب الانصارى عن النبى صلى الله
عليه وسلم * فان قلت فما تصنع بحديث ابن عمر رضى الله عنهما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت الا الشقاوة
والسعادة والحياة والموت ﴾ فانه صريح فى عدم العموم حيث استثنى
هذه الاربعة مما يمحى ويثبت * قلت اولا هذا الحديث ضعف
سنده الامام السيوطى فى الدر المنثور حيث قال اخرج الطبرانى
فى الاوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر رضى الله تعالى
عنهما الحديث * وثانيا خبر واحد لا يخصص القطعى * وثالثا لا يدل
على عدم قبول هذه الاربعة المحو والاثبات لان الاستثناء من الاثبات
ليس بنفى ولا اثبات كما ان الاستثناء من النفى كذلك بل هو
مسكوت عنه غير محكوم عليه بنفى ولا اثبات فيطالب الدليل على الحكم
من خارج كما عليه امامنا الاعظم واصحابه وقد تنورنا الدليل
من خارج فاشرقت لنا شموس البراهين الواضحة فى ان كلا من السعادة

والشقاوة والحياة والموت داخل فى مايمحى ويثبت * فان قلت ألستم
تزعمون ان المقادير سابقة جف بها القلم وليس الامر بآنف كما فى آخر
حديث ابن عباس رضى الله عنهما « رفعت الاقلام وجفت الصحف »
فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات قلنا ذلك المحو والاثبات
ايضا مما جف به القلم وسبق به العلم وبهذا يجاب عن حديث « ان العبد
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لم يبق بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان العبد ليعمل بعمل اهل
النار حتى لم يبق بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل الجنة فيدخلها » ذلك بان يقال هذا ايضا من جملة المحو والاثبات
الذى جف به القلم ولان الله تعالى محا شقاوته التى اقتضتها معصيته
فاستحق بها النار بطاعته التى اقتضت سعادته فاستحق بها الجنة وبالعكس
فالمحو والاثبات للسعادة والشقاوة مسببان عن الطاعة والمعصية اللذين
هما فعل العبد الاختيارى وهذا عين مطلوبنا واما سبق الكتاب الذى
هو عبارة عن العلم الازلى فهو ليس بمجبر لان الله تعالى علم الخلائق
فى الازل على الصفة التى سيكونون عليها فيما لا يزال فاراد بهم ماهم
عليه ولوكانوا على غير ذلك لعلم انهم على غير ذلك واراد بهم ماهم عليه
فليس للعبد حجة على الله تعالى ولله الحجة البالغة وبهذا يجاب ايضا
عن حديث « يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر فى الرحم باربعين
اوبخمس واربعين يوما فيقول اى رب أشقى ام سعيد أذكر أم انثى
فيقول الله ويكتبان ثم يكتب عمله ورزقه واجله واثره ومصيبته ثم
تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها » فيقال ان تلك الصحيفة
قدكتب فيها ان ذلك العبد سيكون سعيدا بطاعته اوشقيا بمعصيته
وليس مكتوبا فيها انه سيكون سعيدا اوشقيا على كل تقدير اذقدعلم
بالنصوص القاطعة وبالاجماع ان العبد اذامات على الطاعة لايكون شقيا
واذا مات على المعصية لايكون سعيدا بل السعادة والشقاوة فرعا

(الطاعة)

الطاعة والمعصية وهذا ايضا عين مطلوبنا والى هذا اشار حديث
« اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم ان هذه الصحيفة هى الكتاب السابق
فى الحديث السابق المطابق للعلم الازلى وهو غير الصحف التى يدخلها
المحو والاثبات لانه عنوان العلم الازلى لكنهما فى النهاية يتطابقان فتكون
الثلاثة على نمط واحد فى النهاية وبهذا التقرير تحل جميع الاشكالات *
ويحصل الجمع بين المتعارضات * ثم لما اوهم هذا المحو والاثبات جواز البدأ
على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له ان الواقع خلافه كما توهمه
الرافضة وهو محال لان علمه من لوازم ذاته والتغير فى اللازم يستلزم
التغير فى الملزوم فيلزم تغير ذاته كذا قاله الامام الرازى ٧ محاسبحانه
هذا الوهم بان هذا المحو والاثبات من جملة معلوماته الازلية ومع هذا
فلا يطلع عليها احد غيره كما هو مستفاد من تقديم الظرف فقال (وعنده)
اى لا عند غيره اذ لا يطلع على غيبه احد (ام الكتاب) اصل كل كتاب
وهو العلم الازلى والعرب تسمى كل ما يجرى مجرى الاصل من الشئ
اماله كام الرأس للدماغ وام القرى لمكة وكل مدينة فهى ام لما حولها
من القرى وقيل ام الكتاب اللوح المثبت فيه احوال العالم العلوى
والسفلى لقوله عليه السلام « كان الله ولاشئ ثم خلق اللوح واثبت
فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيمة » فعلى هذا ما فى اللوح ايضا
لايتغير وانما الذى يتغير ما فى الصحف التى بايدى الملائكة والذى
اثبت فى لوح القلب ان الحق هو الاول لقوله عليه السلام « ان الله
تعالى فى ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه
احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت مايشاء » اذ قدعلم من قوله عليه السلام
« فيمحو مايشاء ويثبت ما يشاء » انه ليس العلم الازلى لانه لايدخله
محو ولا اثبات وهذا معلوم بالاجماع وعلم من قوله « الذى لا ينظر
فيه احد غيره » انه ليس الصحف التى بايدى الملائكة فتعين ان يكون
هو اللوح اذ لا رابع وهذا هو مذهب ابن عباس رضى الله تعالى

٧ اخرج نفسه من عهدة هذا القول بقوله كذا قاله الامام الرازى وذلك لامكان ان يقال لايلزم من تغير علمه تغير ذاته لان العلم كما سيأتى اضافة وتعلق بين العالم والمعلوم فلا يلزم من تغير الاضافة تغير المضاف فى ذاته على ان العلم لوكان صفة حقيقية لايلزم التغير فيه نفسه ايضا انما التغير فى التعلق وهذا جائز عند الكل فالاولى الاستدلال بالنصوص القاطعة بانه تعالى بكل شئ عليم عد

عنهما فقد اخرج ابن جرير عنه انه قال ﴿ ان لله تعالى لوحا محفوظا
مسيرة خمسة مائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت والدفتان
لوحان لله كل يوم ثلاث وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب ﴾ ولا دليل لهذا القائل فيما استدل به لان اثبات احوال
الجميع لايستلزم اثبات جميع الاحوال فيه وحديث ان اصل الاضافة
للاستغراق على تقدير تسليمه ففيما لم يقم دليل على خلافه وما تقدم من
السبر يدفع جريان هذا الاصل هنا فافهم قيل وانما اثبت فيه نقوش صور
الكائنات ليظهر الملائكة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات * قلت وليطلعهم
بما يحدثه فيه من المحو والاثبات على انه فاعل بالاختيار لاموجب
بالذات ﴿ الآية الثالثة ﴾ قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير) هذه الآية مع قرينتها
مسوقتان لبيان احاطة علمه ونفوذ ارادته كما انهما مسبوقتان بما
سيق لبيان كمال قدرته وذلك انه تعالى بين كمال قدرته بقوله (والله
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا) فهذا الخلق
المتداول على المواد المختلفة مع انتهائه الى الجعل دال باسناده اليه
تعالى بل بتكرير الاسناد على انه كامل فى القدرة باهر فى الحكمة
اذ الاصل فى الاسناد الحقيقة والله تعالى منزه عن الآلة وهذا
الاسناد نص فى هذا المدلول لان النظم مسوق له * ثم بين احاطة
علمه بتفاصيل الاحوال والاوضاع بقوله (وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه) فان ما فى الارحام قبل الانخلاق بل بعده لايعلم
حاله احد كيف والام الحاملة له لاتعلم منه شيئا وهذا البيان ايضا
بطريق النص * ثم بين تعالى نفوذ ارادته فيما هو مستتبع لهذا الخلق
والجعل والحمل والوضع وهو تصرفه بالعمر الطبيعي الذى تقتضيه
طبيعة الانسان واخراجه عن مقتضى طبيعته والحاصل ان هذه
الآيات الثلاث نص فى ان جميع احوال الانسان التى تعرض له

(من)

من ابتداء خلقه الى نهاية عمره هى بتصرف قدرة الله تعالى ونفوذ
ارادته واحاطة علمه لا لطبيعة اقتضتها اذ هو خالق الطبائع فله
التصرف فيها كيف مايشاء فمعنى قوله تعالى (ومايعمر من معمر)
اى من شخص يؤول امره الى التعمير مثل من قتل قتيلا وانى
ارانى اعصر خمرا فيكون مجازا باعتبار الاول لئلا يلزم تحصيل
الحاصل كذا قالوا * اقول يجوز أن يحمل الكلام على حقيقته من غير
ارتكاب تجوّز وهو أن المعمر هو الذى بلغ عمراً ما فبعد بلوغه
ذلك العمر مثلا يجوز أن يعمر مرة ثانية بسبب اقتضاء من دعاء
او طاعة فهذا المعمر اوّلا بالعمر الاول تعمر ثانيا بالعمر الثانى
فاندفع التجوّز وحمل الكلام على حقيقته واىّ داع الى هذا
التجوّز بعد ظهور هذا المعنى الذى هو مسوق الآية بالنسبة
الى مقابله كما ستعرف فالمعنى ومايعمر بعمر ثان من معمر بالعمر
الاول فمعنى مقابله وهو قوله تعالى (وماينقص من عمره) اى
من عمر ذلك المعمر بالعمر الثانى الذى يبلغه بالطاعة ونقصانه
باعتبار أنه اذا لم يعمل تلك الطاعة لايبلغ ذلك المقدار من العمر
بل انقص منه فهذا المقدار من العمر الثانى هو عمر للمعمر بالعمر
الاول فان بلغه يكون قدزيد فى عمره بالنسبة الى الاول والا يكون
قدنقص من عمره بالنسبة الى الثانى فالزيادة والنقصان انما هما باعتبار
اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح كما قال تعالى (الا فى كتاب) عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله تعالى وقيل صحيفة كل انسان
والاول عليه المعوّل كما عرفت سابقا قيل وذلك مثل ان يكتب فيه
ان حج فلان مثلا فعمره ستون وان لم يحج فعمره اربعون * اقول
قدقررنا سابقا ان اللوح هو محل المحو والاثبات فالمناسب ان يقال
مثل ان يكتب فيه عمر فلان اربعون سنة مثلا فبعد مدة محيت تلك
الاربعون واثبت مكانها ستون ليكون المحو والاثبات حقيقة وذلك

بسبب اقتضاه من دعاء اوطاعة وبالعكس ومع هذا فلايلزم التغير
فى التقدير لان الانسان لابد وأن يوافق ما اريدبه الذى هو عليه
وهو اما الزيادة التى تترتب على كسبه الطاعة او النقصان الذى يترتب
على كسبه المعصية وهذا هو مذهب ابن عباس كما تقدم واليه الاشارة
بقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الصدقة والصلة يعمران الديار
ويزيدان فى العمر ﴾ وقيل معنى نقصان عمر الشخص ذهاب عمره
تدريجا بان يكتب فى اللوح تحت عمره ذهب يوم ذهب يومان مثلا
* اقول هذا مع مافيه من عدم المقابلة لمعنى الزيادة لايلايم سوق الآية
الذى هو لبيان نفوذ الارادة وقيل الضمير فى عمره يرجع الى
الشخص باعتبار نوعه لاباعتبار عينه اى وما ينقص من عمر شخص
آخر لان الزيادة والنقصان يمتنع ان يعرضا لشخص واحد لانهما
ضدان لايجتمعان وهو من التسامح فى مثل هذا المقام المعتمد فيه على
الافهام * اقول قد عرفت كيفية اجتماعهما من غير احتياج الى ارتكاب
هذا التجوز والخروج عن ظاهر نظم الآية واخراج ضمير الغائب
عن موضوعه الذى هو الشخص المعين الذى سبق ذكره وان كان
الوضع عاما فالموضوع له خاص وهو نادر جدا بل لايكاد يوجد الا
على طريق الاستخدام * وهو غير مناسب فى مثل هذا المقام * لاخراجه نظم
الكلام * عن سلك القصد والمرام * فضلا عن ضعف التسامح وسقم الاعتماد
على الافهام * ثم انه تعالى بعد ذلك البيان النضير * العديم النظير * اشار
الى ان هذا المبين هين عليه بقوله ﴿ان ذلك﴾ اشارة الى الخلق والجعل
والحمل والوضع والتعمير والنقص والى نفوذ ارادته وتصرف قدرته
واحاطة علمه بالكل اللذين كل منهم فى اقصى مراتب البعد بالنسبة الى العبد
بل محال ﴿على الله يسير﴾ هين عليه فالآية ايضا صريحة فى ازدياد العمر
ونقصه ﴿ الآية الرابعة ﴾ قوله تعالى حاكيا قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ان
اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى

(اجل)

اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون﴾ ولنتكلم
فيها على سياق سوابقها فنقول قوله تعالى ﴿ان﴾ تفسير لقوله تعالى ﴿انى لكم
نذير مبين﴾ لان الانذار فيه معنى القول دون حروفه والمصدرية لاتدخل
الامر الا على اضمار القول كالمخففة مع ان فيها حذف الجار وفى المخففة
حذف ضمير الشان ايضا والكل تكلف فتعين الاول والمعنى انذارى
لكم ﴿ان اعبدوا الله﴾ اى اعترفوا وصدقوا بعبوديتكم له وبربوبيته
عليكم اذ هو حقيقة العبادة ولان المطلوب منهم اولا هو الايمان اذ لا
تكليف بماعداه قبله لمثلهم واما بعده فقد كلفهم بالفروع بقوله ﴿واتقوه﴾
اى قوا انفسكم اى احفظوها منه اى من الوقوع فى مناهيه والتقوى
اجتناب المناهى ولكون التقوى تستوعب سائر الاوقات دون الطاعة
قدمها سبحانه فى الذكر عليها اهتماما بشانها ثم عطفها عليها كما عطف
التقوى على الايمان بالواو لاشتراك الكل فى سببية تأخير الاجل
وغفران الذنوب فقال واطيعون اى فيما آمركم به من المأمورات لان
من يطع الرسول فقد اطاع الله والطاعة امتثال المأمورات وللاعتناء
بشان طاعتهم له عليه السلام اضاف الطاعة اليه ويجوز أن يراد بالطاعة
مايعم التقوى فيكون عطفها عليها من قبيل عطف العام على الخاص
للتنبيه على شرف التقوى حيث ذكرت مستقلة تارة وفى ضمن غيرها
اخرى وهذه النكتة موجودة فى عطف التقوى على الايمان المقصود
من العبادة لانه تقوى الشرك او مستلزم لها ويجوز أن يراد بكل منهما
مايعم الآخر فيكون الثانى تقريرا للاول ويجوز أن يراد بكل من الثلاثة
مايعم الآخر فيكون كل من الثانى والثالث تقريرا للاول وايا ما كان فكل
من قوله تعالى ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ وما يليه مرتب على مجموع هذه
الامور الثلاثة ترتيب السبب على المسبب وان كان ترتيبا عاديا اى ان
تعبدوا الله وتتقوه وتطيعون يحصل لكم منفعتين احداهما وهى الاهم
ولذا قدمت راجعة الى اخراكم وهى ستر ما تقدم لكم من الذنوب وعدم

المؤاخذة به قيل وعلى هذا التقدير فمن للتبعيض لان ذنوبهم المتقدمة بعض من مجموع ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة * قلت لايجوز أن تكون عليه من للتبعيض الا تجوزا بعد ماسيصنعونه فى المستقبل من ذنوبهم وقت خطابهم وبارتكاب الجمع بين الحقيقة والمجاز فلو اريد بعض ذنوبهم التى هى حقوق الله كان له وجه على ان الله تعالى يغفر الذنوب جميعا ويجوز أن تكون من زائدة اى يغفر لكم ذنوبكم وابتدائية اى يبتدأكم بغفران ذنوبكم تفضلا منه وبيانية فيقدر قبلها مايفسره مدخولها اى يغفر لكم افعالكم التى هى الذنوب والاولى عندى ان تكون للجنس فتكون لتأكيد عموم النفى المستفاد من معنى الغفران المسلط على الجمع المعرف بالاضافة الذى هو للعموم فكأنه قال تعالى لا يؤاخذكم بشىء من ذنوبكم فهذه هى المنفعة الاولى الراجعة الى الاخرى واما المنفعة الاخرى الراجعة الى الاولى فهى قوله تعالى ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ اى امد مضروب قدره الله لكم بشرط حصول هذه الامور الثلاثة اقصى مما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى ولفظ التأخير وانتهاء التأخير الى ذلك الاجل وتعليق انتهائه بتلك الامور الثلاثة صريح فى ان لهم اجلين اقصى وهو هذا وادنى وهو المقدر المضروب الذى لايتجاوزونه الى الاقصى على تقدير بقائهم على ماهم عليه ولما لم يمكن التجاوز من الادنى الى الاقصى عند حلول الادنى وهم على ماهم عليه من الكفر والمعصية كما لم يمكن تجاوز الاقصى مطلقا بل يحتاج التجاوز الى وجود مجموع هذه الامور الثلاثة قبل حلوله علل سبحانه الامر بهذه الامور بقوله ﴿ان اجل الله اذا جاء لايؤخر﴾ اى ان الاجل الذى قضاه وقدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان اذا جاء وانتم باقون على ماانتم عليه لايؤخر لفقد شرط التأخير وهو الايمان والطاعة اذ لا يمكنكم حينئذ الايمان والطاعة بل لايقبل منكم لانه ايمان يأس فبادروا

(الى)

الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لايتحقق شرطه الذى هو بقائكم على الكفر والعصيان فلا يجىء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فعلى هذا الجملة تعليل للامر بالايمان والطاعة قبل حلول الاجل لامطلقا كما قيل وكأن هذا القائل اوهمه عدم تقييد الايمان والطاعة بكونها قبل حلول الاجل مع ان قوله تعالى ﴿ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ ينادى على التقييد باعلى صوت وعندى ان الجملة تعليل لتعليق التأخير بوجود هذه الامور الثلاثة وهذا وان كان عين الاول مآلا لكنه اقوى منه صناعة لان المقصود من الشرطية اولا وبالذات تعليق الجزاء بالشرط فما امكن جعل التعليل له فهو اولى من جعله لاحد الطرفين اللذين كل منهما مقصود بالعرض فيكون التقدير ان علة ترتيب تأخير الاجل على حصول هذه الامور الثلاثة قبل حلوله ومشروطيته بها عدم امكان تأخيره عادة عند حلوله وهى غير حاصلة فالقبلية ايضا ملحوظة وعند الزمخشرى ومن تابعه الجملة تعليل لانتهاء التأخير الى الاجل المسمى وهو عدم التجاوز له كما يفهم من تعليق التأخير بالاجل المسمى وتغييه به فيكون المعنى انما لايتجاوز التأخير الاجل المسمى بل هو انتهاء غايته لان اجل الله وهو الاجل المسمى ﴿اذا جاء لايؤخر﴾ والاول عليه المعول لان الاجل المنفى عنه التأخير عند مجيئه وهم على ماهم عليه حرى بان يكون هو الاجل الموعودين بتأخيره بشرط الايمان والطاعة اذ هو المفروض مجيئه فكيف يتصور أن يكون المفروض مجيئه هو الاجل المسمى الذى هو آخر الآجال والحال ان عدم تأخيره معلوم عندهم لايحتاج الى اخبار الرسول بخلاف الاجل الاول ولهذه النكتة اللطيفة اوقع سبحانه التأخير عليهم فى قوله ﴿ويؤخركم﴾ دون الاجل ونفاه عن الاجل فى قوله ﴿لايؤخر﴾ دونهم لانه على تقدير ايمانهم وطاعتهم لايتصور مجيئه حتى يؤخر عنهم فحق ثبوت

التأخير لهم لاله بخلاف ما اذا جاء وهم على ماهم عليه فانه حينئذ حق
نفى التأخير عنه لاعنهم لانه هو موضوع البحث ولهذا ايضا قال
سبحانه ﴿ لو كنتم تعلمون ﴾ اى لو كنتم من اهل العلم لعلمتم ان الاجل
المقدر اذا جاء لايؤخر فجواب لو مما يتعلق بالعلة ويجوز أن يكون
مما يتعلق بالمعلول اى لو كنتم من اهل العلم لسارعتم الى ما امرتم به
حتى لايجيء الاجل المقدر مع ان ذنوبكم تغفر والاولى عندى ان يكون
جواب لو مما يتعلق بالعلة والمعلول ليكون ابلغ فى نفى العلم عنهم وعلى
كل تقدير فالفعل منزل منزلة اللازم ويجوز أن يكون المفعول محذوفا
لقصد التعميم وعدم التقدير اولى والجمع بين صيغتى الماضى والمضارع
للدلالة على استمرار النفى المفهوم من لو ولجعل العلم المنفى هو العلم
النظرى فقط لا الضرورى ولا مايعمه اللهم الا على سبيل المبالغة
وقد تبين مما قررناه من جميع الوجوه انه لاتنافى بين ثبوت التأخير
للاجل ونفيه عنه لتسبب كل منهما عن غير ماتسبب عليه الآخر فهذه
هى الآيات الدالة على جواز تأخير الاجل وفى ضمنها مايدل على جواز
محو الشقاوة والسعادة ونقص العمر والزيادة وانما اطنبنا الكلام
فيها ليتبين القول الصحيح من الاقوال فيتضح لنا وجه الاستدلال
﴿ واما الآيات ﴾ الدالة على جواز ازدياد الرزق بالاستقلال فكثيرة
جدا ﴿ فمنها ﴾ ماحكاه تعالى من قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ قال مقاتل ان قوم نوح لما كذبوه
زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة
فرجعوا الى نوح عليه السلام فقال لهم استغفروا من الشرك حتى
يفتح الله عليكم ابواب الرحمة فكأنه قال عليه السلام لهم اذا استغفرتم
فكما يمن الله عليكم بمطلوبكم الذى هو دفع ضرر الدنيا يمن عليكم
بما هو اعظم منه وهو دفع ضرر الاخرى ويروى ان قوم نوح

عليه السلام قالوا له ان ديننا الذى نحن عليه ان كان حقا فلم يأمرنا
الهك بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا اذا رجعنا عنه وقد مضت
علينا السنوات العديدة ونحن عليه فوعدهم انهم اذا استغفروا
ورجعوا فمع قبوله لهم وغفران ذنوبهم الذى هو عندهم مستبعد
جدا واصلاحه لهم امر اخراهم يمنحهم ماهو سعادة لهم فى
دنياهم لان السعادة منحصرة فى نوعين نوع تبلغ غايته فى الدنيا
وسيأتى ونوع تبلغ غايته فى العقبى وهو الاهم عندهم بل فى
الواقع ولكونهم يستبعدونه استبعادا بلغ حد الانكار كما تدل عليه
الرواية الثانية اشار سبحانه الى ترتيب حصوله على الاستغفار باسمية
الجملة المصدرة بان فى قوله ﴿ انه كان غفارا ﴾ كثير المغفرة فيما مضى كما انه
كثيرها فيما بقى حسبما وعدكم به هذا على تقدير أن تكون كان للزمان
واما اذا كانت لمجرد الربط والتقوية للحكم كما فى قوله تعالى ﴿ وكان الله
عليما حكيما ﴾ فالمعنى ان كثرة مغفرته ازلا وابدا لاتنقطع اولتنزيلهم
منزلة المنكرين حيث ان فعلهم فعلهم اوللتعليل كما تدل عليه الرواية
الاولى والنوع الذى تبلغ غايته فى العقبى منحصر فى خمسة اشياء صرح٣
سبحانه بترتيب حصولها على الاستغفار بقوله ﴿ يرسل السماء ﴾ اى من
السماء اومائها او من السحاب اومائها او يرسل المطر ﴿ عليكم ﴾ من فوقكم
﴿ مدرارا ﴾ كثيرة الدرور وهو حلب الشاة حالا بعد حال اى متتابعا
وصيغته مما يستوى فيه المذكر والمؤنث فتنمو اشجاركم وزروعكم
وتكثر اثماركم وارزاقكم وتنتج مواشيكم ويخصب عيشكم ﴿ ويمددكم
باموال ﴾ كثيرة كما هو المفهوم من تنوين التنكير ﴿ من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث وبنين ﴾ كثيرة وتأخير البنين عن
الاموال لاحتياجها اليهم فى بقائها لا فى ابتدائها ﴿ ويجعل لكم جنات ﴾
بساتين ﴿ ويجعل لكم انهارا ﴾ جارية لمزارعكم وبساتينكم ولاحتياج
البساتين من اصلها ووجودها الى الانهار كرر العامل فقد رتب

٣ انما قال فى الاول
اشار وفى الثانى
صرح لظهور
الفرق بين ترتيب
الجزاء على الشرط
هنا وبين ترتيب
ماهو واقع موقع
الجزاء اذ معناه
استغفروا يغفر لكم
فالترتيب صريح
فى الثانى دون
الاول منه

سبحانه وتعالى حصول نوعى السعادة الدنيوية والاخروية على الاستغفار وهو المطلوب ومنها قوله تعالى خطابا لنا على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله ﴾ فانه تعالى سبب التمتيع الحسن فى الدنيا الى الاجل المسمى الذى هو آخر الآجال واتيان كل ذى فضل مايستحقه فى الاخرى من الفضل عن الاستغفار اى ان تطلبوا مغفرة ذنوبكم اى سترها وعدم المؤاخذة بها بالاقبال على الله ثم تستكملوا ذلك الاقبال بالاعراض عن الذنوب فى المقبل ﴿ يمتعكم متاعا حسنا ﴾ اى تمتيعا حسنا او بمتاع حسن اى يبسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ماتعيشون به عيشا راضيا لا يفوتكم فيه شئ مما تشتهون صافيا لايكدره شئ مماتكرهون منتهيا ذلك العيش بكم او منتهين بذلك العيش ﴿ الى اجل مسمى ﴾ هو اقصى ماقدره لكم فى الدنيا واما فى الاخرى فيجازيكم بمقتضى فضلكم فى الدنيا لايبخس منكم شئ كما قال تعالى ﴿ ويؤت كل ذى فضل ﴾ صاحب طاعة وعبادة ﴿ فضله ﴾ مقتضى فضله من الدرجات فى الجنة او يؤت كل ذى فضل فضله الذى يتفضل به على عباده المقربين من مضاعفة الحسنات ورفع الدرجات زيادة عن مقتضى الاعمال قال ابو العالية ﴿ من كثرت طاعته فى الدنيا زادت حسناته فى الآخرة ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة فى الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها فى الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات هلك من غلبت آحاده اعشاره ﴾ فكما ان هذه الآية صريحة فى ترتب ترفيه العيش فى الدنيا ورفع الدرجات فى الاخرى على الاستغفار والتوبة

(صريحة)

صريحة فى ترتب بلوغ العمر الطويل البالغ اقصى الآجال عليهما وكلاهما المطلوب فان قيل ماقررته من ترتب ترفيه العيش للمؤمن فى الدنيا على الطاعة ينافى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ﴾ قلنا لامنافاة لان الدنيا سجن المؤمن من حيث تقييد نفسه وتكليفها بالمأمورات وحبسها عن المنهيات واستعداده للموت وخوفه من هول يوم القيمة لكونه لايدرى ماذا يصنع الله تعالى به حتى يلقى ربه فيخرج من هذه العهدة وان كان مترفه العيش فان كان ضيقه فمن باب اولى وجنة الكافر فى اطلاق نفسه عن التكاليف وانهماكها فى اللذات والشهوات وان كان ضيق العيش فان كان مترفها فيه فمن باب اولى او نقول المؤمن مهما كان واسع العيش فى الدنيا فبالنسبة الى ما اعد الله له من النعيم الدائم ورفع الدرجات فهو فى سجن والكافر مهما كان ضيق العيش فى الدنيا فبالنسبة الى ما اعد الله له من الجحيم المقيم وخفض الدركات فهو فى جنة هذا على تقدير أن تكون اللام فيهما للاستغراق فان كانت للجنس الصادق ببعض الافراد فلا اشكال فى انها سجن على بعض المؤمنين جنة على بعض الكافرين من كل جهة واما ضيق العيش على الرجل المؤمن الصالح فى بعض الاوقات فهو لزيادة رفع الدرجات ومنها ماحكاه تعالى من قول هود عليه السلام لقومه ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ فقد سبب ايضا سبحانه وتعالى ارسال المطر الغزير الذى ينمو فيه الخير الكثير وضم ازدياد القوة الى القوة فى الابدان والاموال على الاستغفار والتوبة اللذين هما عبارة عن الاقبال على الله والاعراض عما سواه وهذا ايضا هو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ﴾ فقد الزم سبحانه وتعالى وجود فتح البركات من السماء

والارض التى هى عبارة عن تتابع الامطار ونمو الاشجار وكثرة الثمار ونتاج الانعام للايمان والتقوى وهو المطلوب ومنها قوله تعالى (ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) فقد الزم ايضا سبحانه الاكل من فوقهم اى سببه وهو المطر الغزير التى بها تنبت الزروع وتنمو سائر النعم كما تقدم فيأكلون ومن تحت ارجلهم وهو ما تسبب عن المطر من الارزاق النباتية والحيوانية لاقامة التورية والانجيل وما انزل اليهم من كتب انبيائهم او القرآن وذلك ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ابتلاهم الله تعالى بالقحط والسنين حتى قالوا يد الله مغلولة فاخبرهم الله تعالى بان تبديل الشدة والضيق بالسعة والخصب مترتب على تصديق محمد صلى الله عليه وسلم فاذا حصل التصديق حصل التبديل وهو المطلوب ومنها قوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) اى لئن شكرتمونى واعترفتم بنعمتى وعظمتمونى على ما اوصلت اليكم من النعم السابقة لازيدنكم من النعم اللاحقة واضم لكم نعمة على نعمة لان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود فقد اوجب سبحانه وتعالى وجود زيادة النعم وانضمام المفقوم الى الموجود عند وجود الشكر الذى هو الاعتراف بالنعم على وجه يشعر بتعظيم المنعم واكد هذا الوجوب زيادة التأكيد كما يدل عليه اللام المؤذنة بالقسم المحذوف واللام الداخلة على ماهو واقع موقع الجزاء الموضوعتين لتأكيد الحكم وهو المطلوب * واعلم ان معنى الشكر شرعا هو صرف العبد جميع ما انعم الله عليه به الى ما خلق له فكل نعمة انعم الله تعالى بها على العبد من النعم الظاهرة والباطنة يتعلق بها نوع من الشكر حسبما تقتضيه وتؤديه تلك النعمة من الشكر الذى هو من جنسها فيجب على العبد أن يصرف تلك النعمة الى ما خلقت له من المصلحة وبذلك الصرف يحصل ذلك النوع المتعلق بها من الشكر مثلا انعم

الله تعالى على العبد بالعقل الذى هو نعمة عظيمة من النعم الباطنة اذ هو معدن لسائر الكمالات فيجب على الانسان ان يصرفه الى النظر فى مصنوعات الله تعالى وعجائب ملكه وملكوته ليستدل على وحدانية الصانع واحاطة علمه وعلى عظمته ونفوذ ارادته وتصرف قدرته وباهر حكمته وعزة سلطنته وانه متصف بصفات الكمال منزه عن سمات النقصان ثم يجب عليه ان يصرفه بعد ذلك الى الاشتغال بالعلوم التى بها يتوصل الى معرفة المعتقدات الغيبية كالحشر والنشر والقبر والموازين والصراط والجنة والنار والحساب والعقاب والى معرفة الامور التى هى راجعة الى معاده كمعرفة الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح وما يترتب عليها من الثواب والعقاب والى معرفة الامور الراجعة الى معاشه والمخالطة مع ابناء جنسه كمعرفة احكام البيع والشرآء والنكاح والهبة وما اشبه ذلك من معرفة الحرف والصنايع وغيرها مما يحتاج اليها فى ذلك الزمان فمعرفة هذه الامور كلها واجبة على الانسان فاذا اداها فقد اقام بنوع الشكر الذى هو متعلق بنعمة العقل ثم نعمة القدرة يجب الشكر عليها بما تقتضيه مثل تنفيذ هذه المعلومات وابرازها من القوة الى الفعل والعمل بموجبها وترويج احكامها ومثل اغاثة الملهوف واعانة المظلوم واسعاف الفقير واعطاء الحقوق لاربابها فادائها هو النوع من الشكر الذى متعلقه نعمة القدرة ثم من النعم الظاهرة مثلا المال يجب صرف بعضه فى الصدقات والاستعانة بباقيه على الطاعات لا على اللهو واللذات المنكرات الذى هو خلاف ما خلقت له نعمة المال ومن النعم نعمة الجاه يجب صرفه فى قضاء حوائج المسلمين وتبكيت الظالمين وهكذا السمع يجب صرفه الى استماع المواعظ والقرآن وشكوى المظلومين وكذا البصر يجب صرفه الى النظر فى القرآن والكتب الشرعية وما فيه مصلحة وكذا اليد

يجب صرفها الى تناول المنافع ودفع المضار والرجل يجب صرفها
الى السعى الى المساجد والى قضاء حوائج الناس والى الخيرات
وصلات الارحام واصلاح ذات البين مثلا واللسان يجب صرفه
الى الاشتغال بقرآئة القرآن وتسبيح الرحمن والاوراد والاذكار
والصلوات وفى الكلام فى قضاء حوائج المسلمين لا فى الكذب
والغيبة والنميمة والزور والبهتان والفحش والرفث واللغو ومالا يعنيه
ونحو ذلك مما يؤدى الى ضد ما خلقت له تلك النعمة وهكذا سائر النعم
الظاهرة والباطنة ومن المعلوم ان نعم الله تعالى لا يحيط بها حد
ولا ينتهى بها عد كما قال تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾
فاذا لم يمكن احصائها عدا فكيف يمكن القيام بشكرها فعلا فاذا قام
الانسان بشكر بعضها على قدر الاستطاعة والتمكن كما قال تعالى
﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ واعترف بعجزه وقصوره عن اداء شكر
جميعها بناء على عدم الاستطاعة بالقيام بحق حقيقة الشكر الذى
هو الصرف كما تقدم فقد شكر الله تعالى على جميعها كما ورد ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام ما معناه اشكرلى نعمائى فقال يارب وهل
يقدر احد على شكر نعمائك والحال ان الشكر عليها ايضا هو نعمة
يجب الشكر عليها وهلم جرا فقال الله تعالى الآن شكرتنى باعترافك
بعجزك عن القيام بحقيقة الشكر بل الانسان لا يقدر على القيام بشكر
نعمة واحدة لما تقدم من لزوم التسلسل فكيف يمكن القيام
بشكر الجميع فلهذا ❊ قلنا الاعتراف بحقيقة النعمة على وجه يشعر
بتعظيم المنعم هو الشكر فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ومنها
قوله تعالى ﴿ وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه ﴾ اى ﴿ان﴾ الشان ﴿لو استقاموا﴾ على طريقة الاسلام ﴿لاسقيناهم
ماء ﴾ جاريا كما هو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما لان رياض
عيشهم فيه تزهر واغصان خيرهم فيه تثمر اوعيشا رغدا كما هو المروى

عن عمر رضى الله عنه وعن عكرمة مثله فيكون من اطلاق اسم
السبب على المسبب واليه الاشارة بقول عمر رضى الله عنه حيثما كان
الماء كان المال وحيثما كان المال كانت الفتنة وعليه فالسقى ترشيح
للمجاز اوالماء الغدق مستعار للعيش الرغد لاشتراكهما فى تلذذ
النفوس وتروية الصدور وتغذية القلوب وارتياح الارواح واثبات
السقى ترشيح ايضا او فى هذا الكلام تشبيه للهيئة المنتزعة منهم ومن
العيش الرغد الحاصل لهم حال كونه حاصلا لهم بالهيئة المنتزعة من
الشارب الظمآن ومن الشرب الحاصل له حال كونه حاصلا له من
حيث اشتراك الهيئتين فى وجه لطيف هو اشعار كل منهما بانهماك من
قامت به بالتلذذ الذى بين يديه واعراضه بالكلية عن غير ما هو عليه
ولهذه النكتة اللطيفة قال سبحانه وتعالى ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ كما قال تعالى
﴿انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ ولانه يورث الاعراض عن الله تعالى
قال سبحانه ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ﴾ تنبيها
على عاقبته فقد الزم سبحانه وتعالى وجود العيش الرغد الصافى
من شوائب الكدورات المستجمع لسائر انواع اللذات لوجود الاستقامة
على طريقة الاسلام وهو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ نزلت هذه الآية
فى عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اسر العدو ابنى وشكا ايضا اليه فاقة فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ اتق الله واصبر واكثر من لاحول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم ﴾ ففعل الرجل ذلك فبينما هو فى بيته اذ
اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى
ابيه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاستاق غنمهم وهى اربعة
آلاف شاة وقيل اصاب غنما ومتاعا فجاء ثم رجع الى ابيه فانطلق
ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسئله أيحل له

اكل ما اتى به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿نعم﴾ ونزلت فمعنى الآية
كل ﴿ من يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ من كل شدة لان خصوص السبب
لايمنع عموم الحكم خصوصا اذا كان نصا فى العموم وقال ابن مسعود
﴿ يجعل له مخرجا ﴾ من كل شئ وقيل من كل شئ ضاق على الناس
ويرزقه من حيث لايحتسب اى من جهة لايحسب ان له فيها رزقا كما
رزق ابن عوف وقال ابن مسعود هو أن يعلم انه من قبل الله يعنى لعدم
وجود سبب ظاهر يتعلق رجائه به فيعلم قطعا انه من عند الله كما
يشير اليه قوله تعالى ﴿ ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ اى من غير
حسبان من المرزوق وعلم منه فقد دلت الآية الكريمة على وجوب
وجود الاخراج من الشدائد والضيق والخوف والفقر الى الفرج
والامان والسعة والغنى عند وجود التقوى من الانسان وهو
المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ﴾
قيل يسر الله له امر الدنيا والآخرة وقيل يسر الله له من امره
ويحلل له من عقده فى الدنيا وايا ما كان فقد اوجب سبحانه وجود
تيسير الامور وحل المشاكل والعقد عند وجود التقوى وهو المطلوب
ومنها قوله تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما الحيوة الطيبة السعادة وعنه
ايضا الرزق الحلال فى الدنيا والجزاء باحسن ما كان يعمل فى الآخرة وعنه
الكسب الطيب والعمل الصالح وعنه القناعة وعن الضحاك الاكل والشرب
واللبس الحلال وعن ابن جبير لا يحوجه الى احد وايا ما كان فقد اوجب
سبحانه وجود الحيوة الطيبة التى هى السعادة فى الدنيا عند وجود
الايمان والعمل الصالح واكد هذا الايجاب كما يدل عليه اللام واما فى الاخرى
فقد قال تعالى ﴿ ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ﴾ اى باحسن
الجزاء الذى يترتب على العمل الصالح بشرط الايمان الذى هو اساس لكل
خير والآيات كثيرة يعسر حصرها وفيما ذكرناه كفاية وجميع ما فى هذه

(الآيات)

الآيات من القضايا الشرطية دالة على وجوب وجود تواليها عند
وجود مقدماتها بحيث يمتنع انفكاك التالى عن المقدم وان كان
الوجوب عاديا بمعنى ان الله تعالى اوجب وجود هذا عند وجود هذا
لكن هذا الايجاب العادى كالعقلى لانه تعالى اذا اوجب وجود شئ
عند شئ واخبر بذلك الايجاب فهل يتصور حينئذ جواز الانفكاك
كلا بل هذا اشد من الايجاب العقلى واقوى لان الممتنعات العقلية
كاجتماع النقيضين ووجود الجسم فى آن واحد فى مكانين قد جوز
بعض الصوفية وقوعها بخلاف ما نحن فيه فان امتناع انفكاكه متفق
عليه * واعلم ان الايمان والطاعات مفاتيح لابواب الخيرات ومطامح
لانواع السعادات وهذا واضح عقلا ونقلا اما نقلا فلما تقدم
من الآيات وعلى نحوها كثير لا يضبط واما عقلا فلان الكفر
والعصيان لما كانا سببا لخراب العالم فبالضرورة ان يكون الايمان
والطاعة سببا لعمارته اما كون الكفر والعصيان سببا لخراب العالم
فلدلالة قوله تعالى ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ فكأنه تعالى يقول كدت
ان افعل كذا لكن لاجل خلق لم افعل اوكادت السموات والارض
والجبال ان تتفطر وتنشق وتخر لو كان لها عقل من فظاعة هذه
الكلمة وغلظها او هذا الكلام استعظام لهذه الكلمة وتهويل لها
من فظاعتها وتصوير لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده
كما تهدم الجبال وتشق الارض وتفطر السماء لو عقلت اوان السموات
والارض والجبال كانت سليمة فلما قيل هذا القول عيبت وظهرت
العيوب فيها وكل مروى عن بعض وعلى كل فالكفر مستعد لسببية
خراب العالم ولما كان الايمان والطاعة مناقضين لهما من كل وجه
وجب ان يكون ماتسبب عنهما ايضا مناقضا لما تسبب عن الكفر
والعصيان من كل وجه وقد تسبب ٢ عن الكفر والعصيان الخراب

٢ اى استعد للتسبب منه

فيجب ان يتسبب ٣ عن الايمان والطاعة العمارة وان شئت ان تعلم حقيقة الايمان لغة وشرعا فالق الىّ السمع وانت شهيد ❊ فاقول وبالله استعين الايمان لغة التصديق القلبى ولم ينقل الى غيره شرعا لان النقل خلاف الاصل ولان العرب كانوا يمتثلون من غير استفسار ولا توقف الا بما يجب الايمان به وقد بين المؤمن به بقوله صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره دون الايمان اعتمادا على الوضوح ولولاه كان اشكالا لا بيانا غايته انه التصديق بامور مخصوصة شرعا واصله افعال من الامن للصيرورة او التعدية كأن المصدق صار ذا امن من ان يكون مكذوبا اوجعل الغير آمنا من التكذيب ولان مآله اخذ الشئ صادقا والصدق يوصف به المتكلم والكلام والحكم تعلق بالشئ باعتبارات مختلفة مثل آمنت بالله اى بانه واحد متصف بما يليق منزه عما لا يليق وآمنت بالرسول اى بانه مبعوث من عندالله صادق فيما جاء به وآمنت بالملائكة اى بأنهم عبادالله المكرمون المعصومون المطيعون لا يتصفون بذكورة ولا انوثة ليسوا بنات الله ولا شركاء وآمنت بكتبه اى بانها منزلة من عندالله صادقة فيما تضمنته من الاحكام وآمنت باليوم الآخر اى بانه كائن البتة وآمنت بالقدر اى بان الخير والشر بتقدير الله تعالى ومشيئته ومرجع الكل الى القبول والاعتراف وقد اختلف فيه هل هو اسم لفعل القلب فقط اواللسان فقط اولهما معا فقط اولهما مع فعل الجوارح واختلف القائلون بالاول على اربعة مذاهب احدها انه اسم للتصديق بما علم به مجئ محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا والاقرار شرط فيه يسقط بعذر شرعى حتى ان من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو كافر عندالله مستحق

٣ اى يستعد منه

للخلود فى النار ومن صدق بقلبه ولم يتمكن من الاقرار فهو مؤمن عندالله مستحق لدخول الجنة واما اظهار الاقرار فهو شرط لاجراء احكام المسلمين فى الدنيا على المقر وهذا مذهب الجمهور ثانيها انه اسم للمعرفة اى معرفة الله تعالى بوحدانيته وسائر ما يليق به فقط وهو مذهب الشيعة وجهم بن صفوان وابى الحسين الصالحى من القدرية ثالثها انه اسم لمعرفة الله تعالى والرسل وما جاءت به والاقرار شرط ايضا وهو مذهب الفقهاء رابعها انه اسم لمعنى آخر غير المعرفة والتصديق يؤول اليهما بالآخرة وعليه اهل التحقيق وستعرف ان لا فرق بين المعرفة والتصديق والاعتقاد والتسليم والاقرار ايضا شرط فيه والقائلون بالثانى اختلفوا على ثلاثة مذاهب احدها انه يشترط معه معرفة القلب حتى لا يكون الاقرار بدونها ايمانا وهو مذهب الرقاشى ثانيها يشترط معه التصديق وهو مذهب القطان ثالثها لا يشترط معه شئ منهما وهو مذهب الكرامية فمن اضمر الكفر واظهر الايمان كالمنافقين فهو عندهم مؤمن لكن يستحق الخلود فى النار وبالعكس لا يكون مؤمنا ومن اضمر الايمان ولم يتفق له الاقرار لا يستحق دخول الجنة والخلاف بين المذاهب الثلاثة لفظى فى الحقيقة والقائلون بالثالث ليس بينهم خلاف وهو مذهب كثير من المحققين وهو المروى عن ابى حنيفة رحمه الله ويقع تارة منهم مكان التصديق علم وتارة معرفة وتارة اعتقاد وهذا يدل على ان الكل عندهم بمعنى واحد فمن صدق بقلبه و لم يتفق له الاقرار لا يكون مؤمنا والقائلون بالرابع اختلفوا على اربعة مذاهب احدها ان العمل الذى هو فعل باقى الجوارح الجزء من الايمان هو فعل جميع الطاعات وهو مذهب ابى الهذيل والثانى فعل الواجبات وترك المحظورات فقط وتاركها خارج عن الايمان داخل فى الكفر وهو مذهب الخوارج والثالث

خارج عن الايمان غير داخل فى الكفر وهو المنزلة بين المنزلتين وهو
مذهب المعتزلة والرابع داخل فى الايمان خارج عن الكفر وهو مذهب
اكثر السلف وجميع ائمة الحديث وكثير من المتكلمين والمروى
عن مالك والشافعى والاوزاعى رحمهم الله فالاعمال عندهم جزء
من الكامل والا فانتفاء الشئ بانتفاء جزئه ضرورى فهذه اثنا عشر
مذهبا اصحها الاول وعليه المعول وهو أنه اسم للتصديق فقط الذى
هو غير المعرفة والعلم والاعتقاد لا انه اسم للاقرار فقط وليس الاقرار
وحده اومع فعل الجوارح داخلا فيه ٢ امانه غير المعرفة والعلم فلما
قاله بعض المحققين من ان من الكفار من كان يعرف ولا يصدق كما قال تعالى
﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ❊ وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ❊ وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا ﴾ وبين الفرق بان المقابل للتصديق الانكار والتكذيب
وللمعرفة النكرة والجهالة ولهذا قد يفسر بالتسليم وبالعكس
وبان التصديق ربط القلب بما علم من اخبار المخبر وهو كسبى اختيارى
ولهذا يؤمر به والمعرفة ربما تحصل بلا كسب وزاد بعضهم فقال المعتبر
فى الايمان التصديق الاختيارى ومعناه نسبة الصدق الى المتكلم
اختياراً وبهذا يمتاز عما جعل فى المنطق مقابلا للتصور لخلوه عن الاختيار
فلا يكون تصديقا لغة فلا يكون ايمانا شرعاً كيف والتصديق مأمور به
فيكون فعلا اختياريا هو ايقاع النسبة اختيارا والعلم كيف او انفعال
انتهى وفى القلب من هذا كله شئ ❊ اما اولا فلانه لو كان غير العلم والمعرفة
لما حصل عقيب النظر والتقليد اللذين ليست ثمرتهما الا العلم والمعرفة
اجماعا ❊ واما ثانيا فلتعبير عظماء الملة وعلماء الامة عنه تارة بالاعتقاد
وتارة بالعلم وتارة بالمعرفة ولو كان غير هذه الثلاثة لما صح ذلك منهم
❊ واما ثالثا فلان عدم الاعتداد بايمان بعض من حصلت له تلك المعرفة
كما فى الآيات السالفة ليس لعدم حصول التصديق اللغوى بل لعدم

٢ اى فى حقيقة الايمان منه

الاقرار الذى هو شرط فيه مع تمكنهم منه ولفظ الجحود والاستكبار
والكتمان فى الآيات السابقة ينادى على هذا باعلى صوت وليت شعرى
ما معنى الاستيقان فى الآية الثالثة هل هو الا التصديق اللغوى ❊ واما
رابعا فلان عدم مقابلة المعرفة للانكار ممنوع كيف وقد قال تعالى
﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ ❊ واما خامسا ❊ فلانه لو كان فعلا لا كيفا
او انفعالا لما صح اتصاف المؤمن بالايمان الا حالة التصديق كما لا يخفى
على من يعرف هذه المقولة واللازم باطل اجماعا اذ لا يزال متصفا به ما
يطرأ عليه ضده ❊ واما سادسا فلانه لو وجب ان يكون اختياريا لما صح
ايمان الانبياء والملائكة لانه ضرورى لا اختيارى وهو باطل بل كفر
وحديث صحة التكليف به انما هو لصحة تعلق القدرة بمباشرة اسبابه
كالقاء النظر وصرف الذهن وتوجيه الحواس او التكليف به
تكليف بابقاعه كما فى سائر الكيفيات فلا ينافى كونه غير مقدور ❊ واما
سابعا فلان مافسره به هذا القائل لا يدل على مغايرته للتصديق المنطقى
اذ لا يفهم من نسبة الصدق الى المتكلم اختيارا سوى الاذعان والقبول
والادراك على ان ابن سينا فسر التصديق المنطقى بما معناه نسبة الحكم
الى الصدق فالمآل واحد فتأمل واما انه اسم للتصديق القلبى دون
الاقرار فلقوله تعالى ﴿ كتب فى قلوبهم الايمان ❊ وقلبه مطمئن بالايمان ❊
قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ❊ ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾
وفى الحديث ﴿ اللهم ثبت قلبى على دينك ❊ ومن كان فى قلبه مثقال ذرة
من حبة من خردل من ايمان ﴾ واما استدل به المخالف من قوله تعالى
﴿ فاثابهم الله بما قالوا جنات ﴾ حيث رتب ثواب دخول الجنة على القول
❊ فجوابه ان ما ان كانت موصولة فالقول تحقيقا هو المعنى وان كانت
مصدرية فالقول ان حمل على اللفظى فالثواب عليه لدلالته على وجود
المعنى فى النفس وان حمل على النفسى فهو نفس التصديق ويدل على
ماذكرنا ﴿ قوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ﴾

حيث رتب على القول الخالى عن تصديق القلب العقاب بالنار والمخالف
لايخالف فى ذلك وقوله تعالى ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وماهم بمؤمنين﴾ حيث نفى الايمان عمن اقر باللسان دون
القلب واما ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يكتفون من
كل احد بمجرد الاقرار والتلفظ بكلمتى الشهادة حتى قال صلى الله
عليه وسلم «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله»
فلانه يكفى فى حق احكام الدنيا يدل عليه آخر الحديث «فاذا قالوا
ذلك عصموا منى دمائهم واموالهم» والنزاع فى احكام الآخرة واما
ان الاقرار ليس جزأ من حقيقته فلما تقدم انه لانقل وللاجماع
على صحة ايمان من صدق فادركه الموت من غير أن يتمكن من الاقرار
واما ان الاعمال ليست جزأ منه فلعدم النقل ايضا وللنص والاجماع
على انه لاينفع عند معاينة العذاب ويسمى ايمان اليأس ولامجال
للاعمال حينئذ وللنصوص الدالة على الاوامر والنواهى بعد اثبات
الايمان مثل ﴿ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ وشبهها
وللنصوص الدالة على اجتماع المعاصى مع الايمان كقوله تعالى
﴿ولم يلبسوا ايمانهم بظلم * والذين آمنوا ولم يهاجروا * وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا * وان فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ ولانه
لوكان اسما لجميع الطاعات لانتفى بانتفاء بعضها فلم يكن من صدق واقر
مؤمنا قبل الاتيان بالعبادات والاجماع على خلافه او لكل طاعة على
حدة لزم ان يكون المنتقل من طاعة الى طاعة منتقلا من دين الى دين
ولان النبى صلى الله عليه وسلم مااجاب جبريل حين سئله الا بالتصديق
دون الاعمال والجمهور على ان الاسلام والايمان واحد بمعنى
رجوعهما الى القبول والاذعان للاجماع على انه يمتنع ان يأتى احد
بجميع مااعتبر فى الايمان ولايكون مسلما او بجميع مااعتبر فى الاسلام
ولايكون مؤمنا وعلى ان ليس للمؤمن حكم لايكون للمسلم ولاللمسلم

حكم لايكون للمؤمن وعلى ان دار الايمان دار الاسلام ودار الاسلام
دار الايمان وعلى ان الناس كانوا فى عهده عليه السلام ثلاث فرق مؤمن
وكافر ومنافق ولارابع ولشهادة النصوص كقوله تعالى ﴿ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾ والايمان مقبول اجماعا ولصحة
الاستثناء منه كقوله تعالى ﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وسوق احد الاسمين مساق
الآخر كقوله تعالى ﴿يمنون عليك ان اسلموا قل لاتمنوا على
اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان * ان تسمع الامن يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون * ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن
الا وانتم مسلمون قولوا آمنا بالله وماانزل الينا وماانزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى
وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون﴾
الى غير ذلك من الآيات وذهب الحشوية وبعض المعتزلة الى تغايرهما
لان متعلق الايمان الاخبار ومتعلق الاسلام الامر والنهى وتمسكوا
بتفارقهما كقوله تعالى ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا﴾ وتعاطفهما
كقوله تعالى ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات * فما زادهم
الا ايمانا وتسليما﴾ وتخالفهما فى البيان بعد الاستفسار كحديث «الايمان
ان تؤمن بالله» الى آخره «والاسلام ان تقيم الصلوة» الحديث والجواب
عن الاول ان تغاير المفهوم كاف والمرجع الاذعان والقبول والتصديق
كما يتعلق بالاخبار بالذات يتعلق بالاوامر والنواهى بمعنى كونها حقة
واحكامها من الله تعالى وكذا التسليم وعن الثانى بان المراد انقياد
الظاهر خوفا من السيف والكلام فى الاسلام المعتبر فى الشرع المقابل
للكفر المنبئ عنه قولنا آمن فلان واسلم وعن الثالث بان مغايرة
المفهوم كاف فى صحة العطف وبانه قد يكون للتفسير كما فى قوله تعالى
﴿اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ وعن الرابع بان المراد

السؤال عن شرائع الاسلام واحكامه التى هى اساس على ما وقع صحيحا فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم وفدوا عليه ﴿اتدرون ما الايمان﴾ فقالوا الله ورسوله اعلم ﴿فقال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس﴾ وكقوله صلى الله عليه وسلم ﴿الايمان بضع وسبعون شعبة فاعلاها كلمة لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق﴾ والصحيح الذى عليه الجمهور أن الايمان لا يزيد ولا ينقص لما انه اسم للتصديق البالغ حد اليقين وانما يتفاوت اذا جعل اسما للطاعات اذ لا شك فى قبولها الزيادة والنقصان ولذا جعل الامام الرازى الخلاف فى زيادته ونقصه مبنيا على الخلاف فى انه اسم للطاعات جميعها او للتصديق فقط لكن الخلاف حينئذ يكون فى كمال الايمان لا فى اصله الذى هو محل النزاع مع انه لا يمشى على مذهب من يجعل ترك العمل خروجا عن الايمان واقول الحق ان الخلاف فى قبول الايمان الزيادة والنقصان فرع الخلاف فى انه غير العلم اليقينى زائدا عليه او نفسه فمن قال بالزيادة هنا والغيرية قال بزيادته ونقصانه هناك ومن قال بعدمهما هنا كما تقدم عن ابى حنيفة واصحابه من تعبيرهم عنه بالعلم والمعرفة والاعتقاد قال بعدمهما هناك اذ لا يتصور فيه حينئذ زيادة ولا نقصان قطعا لانهما انما يكونان باحتمال النقيض واحتمال النقيض يخرجه عن كونه علما يقينيا وقد نبهناك على ان الايمان عين العلم اليقينى لا زائد عليه فالحق ما عليه الامام الاعظم واصحابه فحينئذ يكون الخلاف فى اصل الايمان الذى هو محل النزاع لكنه لفظى فاعرف واما ما استدل به المخالف من قوله ﴿تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * ويزداد الذين امنوا ايمانا * ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ ومن قوله عليه السلام ﴿الايمان يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار﴾ ومن

(لزوم)

لزوم مساواة ايمان آحاد الامة لايمان الانبياء عليهم السلام فجوابه ان المقصود بالزيادة الزيادة بحسب الدوام والثبات وكثرة الازمان والساعات والاعداد او المقصود زيادة ثمراته واشراق انواره فى القلب او الزيادة بحسب زيادة ما يجب الايمان به عند ملاحظة التفاصيل وتفصيله ما قال امام الحرمين لا يفضل علم علما ولكن النبى يفضل من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله اياه من مخامرة الشكوك والتصديق عرض لا يبقى فيقع له متواليا ولغيره على الفترات فثبت له اعداد منه لا يثبت لغيره الا بعضها وايضا كانوا يؤمنون فى الجملة ويأتى فرض بعد فرض فيؤمنون بكل فرض خاص والناس متفاوتون فى ملاحظة التفاصيل كثرة وقلة فيتفاوت ايمانهم زيادة ونقصا نسئل الله الثبات عليه عند الممات

﴿الباب الثانى﴾ فى الآثار الواردة فى جواز تأخير الاجل وتقديمه وزيادة الرزق ونقصانه وعلى جواز تبديل الشقاوة بالسعادة وعكسه ونحو ذلك مما يتعلق به التبديل والتحويل وترتب الكل على الطاعة والمعصية ٢ فمنها ما اتفق على روايته كثير من المحدثين وهو قوله عليه السلام ﴿الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان فى العمر﴾ فهذا صريح فى ترتيب تأخير الاجل وتعمير الديار بعد خرابها على الطاعة ومنها ما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿من سره ان يبسط له فى رزقه وان ينسأ له فى اجله فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم﴾ قوله وان ينسأ له فى اجله اى يؤخر له فيه فهذا ايضا صريح فيما هو المطلوب ومنها ما رواه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل ومثراة فى المال ومنسأة فى الاجل﴾ قوله عليه السلام ﴿مثراة فى المال﴾ بالكسر اى مكثرة له اسم آلة من الثروة وهى كثرة العدد فى المال والزيادة فيه وقوله ﴿منسأة فى الاجل﴾

٢ اى على التوزيع منه

ايضا بالكسر اى مأخرة فيه ايضا اسم آلة شبه صلى الله عليه وسلم صلة الرحم لقوة سببيتها فى تكثير المال وتأخير الاجل وشدة تأثيرها فيهما بالآلة التى يتأثر عنها الشيء المتأثر من حيث انها واسطة فى وصول اثر فعل الفاعل اليه ولولاها ماوصل اثره اليه ويروى ايضا مثراة ومأخرة بالفتح فيهما مفعلة يقال هذا مثراة للمال ومكثرة ومكثار له فهذا ايضا صريح فى ترتيب تأخير الاجل وتكثير الرزق على الطاعة ومنها مااخرجه البيهقى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من احب ان يمد الله فى عمره ويزيد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه﴾ فهذا ايضا كسوابقه صريح فى المطلوب ومنها مارواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿صدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفعل المعروف يقى مصارع السوء﴾ وفى رواية ابن صصرى عن نبيط بن شريط عنه عليه الصلاة والسلام ﴿صدقة السر تطفئ غضب الله وصنايع المعروف تقى مصارع السوء وصلة الرحم تزيد فى العمر﴾ فهذان ايضا صريحان فيما هو المطلوب ومنها مارواه غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ﴿ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث﴾ وذلك قوله تعالى ﴿ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب﴾ ومنها مااخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ﴿اللهم اغفر للمعلمين واطل اعمارهم فانهم يعلمون كتابك المنزل﴾ ومحال ان يطلب حبر الامة المحال ومنها مااخرجه احمد وابن ماجه والنسائى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ان العبد ليحرم

الرزق بالذنب يصيبه ولايرد القدر الا الدعاء ولايزيد فى العمر الا البر﴾ فهذا صريح فى حصر السببية لزيادة العمر ورد القدر فى الدعاء والطاعة كما انه صريح فى تسبب حرمان الرزق عن الذنب وهو المطلوب ومنها مااخرجه ابن مردويه وابن عساكر عن على رضى الله عنه وكرم وجهه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت﴾ فقال عليه الصلاة والسلام ﴿لاقرن عينيك بتفسيرها ولاقرن عينى امتى بعدى بتفسيرها الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحول الشقاوة سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء﴾ قوله الصدقة على وجهها معناه على الوجه الذى شرعت فيه بان تكون لوجه الله تعالى لا لغرض دنيوى ولامشوبة بمن ولا اذى وان تكون من مال حلال وان تكون لمستحقيها الى غير ذلك من الشروط التى تذكر فى بابها وقوله ويقى مصارع السوء اى يحفظ من مصارع السوء جمع مصرع وهو الموضع الذى يصرع فيه الانسان اى يهلك فيه وهو مصدر ميمى بمعنى الهلاك اى تحفظه من الوقوع فى المهالك ولو وقع لابد أن تحيه هذه الثلاثة وعلى كل تقدير فاضافة المصارع الى السوء يجوز أن تكون بيانية وان تكون لامية وهذا الحديث الشريف يدل على زيادة تأثير الصدقة وبر الوالدين واصطناع المعروف فى تبديل الشقاوة سعادة وزيادة العمر والحفظ من المهالك وعلى قوة سببيتها حيث اسند التحويل وما عطف عليه اليها وهو المطلوب ومنها مارواه الطبرانى عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿الصدقة تسد سبعين بابا من السوء﴾ ومنها مارواه الخطيب فى تاريخه عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص﴾ فهذان ايضا صريحان فى قوة سببية الصدقة لدفع ابواب السوء وانواع البلاء

وهو المطلوب ومنها مااخرجه البيهقى من طريق سلمة بن عبدالرحمن عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونوا فجارا تنمى اموالهم ﴾ اى تتزايد ﴿ ويكثر عددهم ﴾ اى بكثرة اولادهم من نتاج ارحام نسائهم ﴿ اذا وصلوا الرحم وان اعجل المعصية عقابا البغى ﴾ اى قطيعة الرحم بدليل مقابله ﴿ واليمين الفاجرة ﴾ اى اليمين الغموس وهى ان يحلف الانسان على شئ يعلم وقوعه بانه ماوقع او يحلف على شئ يعلم عدم وقوعه بانه وقع ﴿ تذهب المال وتعقم الرحم وتذر الديار بلاقع ﴾ اى خراب ومنها مااخرجه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان اهل البيت اذا تواصلوا اجرى عليهم الرزق فكانوا فى كنف الرحمة ﴾ فهذا الحديث الشريف وماقبله ايضا صريحان فى ان صلة الرحم هى اقوى سبب فى سرعة تزايد الاموال وتكثير الاولاد والادخال فى كنف الرحمة بمعنى انها تحيط بهم وتحفهم كما يحيط الظرف بالمظروف ويحفه كما ان الاول صريح ايضا فى ان قطيعة الرحم واليمين الفاجرة اقوى سبب فى سرعة اخذ الاموال واذهابها وتقليل الاولاد وتعقيم الارحام وتقليل التناسل وتخريب الديار وكلاهما المطلوب ومنها مااخرجه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ الزنا يورث الفقر ﴾ ومنها ماروى عن حذيفة بن اليمانى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿ يامعشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة اما التى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار ﴾ ومنها مااخرجه احمد عن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ مامن قوم يظهر فيهم الزنا الا اخذوا بالسنة ﴾ اى قحط المطر والغلاء ﴿ ومامن قوم

(يظهر)

يظهر فيهم الرشا ﴾ جمع رشوة ﴿ الا اخذوا بالرعب ﴾ اى خوف العدو ومنها مااخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ مانقص قوم المكيال والميزان الا سلط الله عليهم الجوع ﴾ ومنها مااخرجه الترمذى وضعفه وابن عدى وابن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يامعشر التجار انكم وليتم امرا هلكت فيه الامم السالفة قبلكم المكيال والميزان ﴾ ومنها مااخرجه الحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ مانقض قوم العهد قط الا كان القتل فيهم ولاظهرت الفاحشة فى قوم الا سلط الله عليهم الموت ولامنع قوم الزكوة الا حبس الله عنهم القطر ﴾ فهذا وماقبله من الاحاديث الشريفة كل منهم صريح فى تسبب اذهاب البهاء والفقر ونقص العمر والرعب والجوع والهلاك والقتل والموت وحبس المطر عن الزنا والرشا ونقص المكيال ونقض العهد وظهور الفواحش ومنع الزكاة بطريق العموم للسببية فى هذه الاشياء فى كل وقت كما يفهم من ماوالا اى كلما نقض قوم العهد الى آخره وهو المطلوب فان قيل ألستم تزعمون ان المقتول ميت باجله كالميت حتف انفه فكيف يستقيم مع هذا المعنى ترتب القتل على نقض العهد فانه يدل على انه لولم يوجد نقض العهد لما وجد القتل وهذا ينافى ان المقتول ميت باجله قلنا لا نسلم ان ترتب القتل على نقض العهد وتسببه عنه يدل على انه لولم يوجد نقض العهد لما وجد القتل كيف وان انتفاء السبب لايدل على انتفاء المسبب لجواز أن يكون المسبب اعم من السبب فلاينتفى عند انتفائه ولو سلم بناء على ادعاء المساواة اوبناء على ان نقض العهد شرط فى وجود القتل فلا نسلم ان قولنا لولم يوجد نقض العهد لما وجد القتل ينافى قولنا المقتول ميت باجله وانما ينافيه لو دل على انه لولم يقتل لعاش الى امد آخر هو اجله قطعا فيكون القاتل قد قطع عليه

اجله بالقتل كما هو مذهب المعتزلة فحينئذ يلزم ان يكون نقض العهد قد
قطع عليه الاجل لانه سبب لوجود القتل السبب لقطع الاجل فيحصل
المنافاة والحال انه لادلالة له على شيء من ذلك اصلا لجواز أن يقال
انه لولم يقتل لمات حتف انفه ٧ فى ذلك الوقت قطعا كما هو مذهب
ابى الهذيل فلا منافاة بين انتفاء الموت بالقتل بانتفاء نقض العهد و بين
القطع بالموت حتف انفه فى ذلك الوقت لان الذى انتفى بانتفاء نقض
العهد انما هو الموت بالقتل لاالموت حتف الانف وان يقال انه لو
لم يقتل لجاز أن يموت فى ذلك الوقت اذا كان اجل موته متصلا باجل
قتله وان لايموت فيه اذا كان اجل موته متراخيا عنه كما هو مذهب
عامة الاشاعرة فحينئذ نقول لولم يوجد نقض العهد لما وجد القتل
ولولم يوجد القتل لجاز أن يؤخر اجل الموت فنقض العهد رفع هذا
الجواز ومنعه واوجب ضده وهو الموت بالقتل فى ذلك الوقت فمع
عدم المنافاة على هذا المذهب يثبت المطلوب لانه اذا انتفى القتل
بانتفاء نقض العهد يجوز أن يؤخر الاجل بدعاء او طاعة على انه
لامنافاة على المذهب الاول ايضا اذ القاتل انما قطع على المقتول الاجل
الثانى الذى علم الله تعالى ان ذلك العبد سيؤخر اليه لولم يقتل لاالاجل
الاول الذى علم الله انه سيقتل فيه بسبب نقض العهد مثلا وتفصيل
الكلام فى هذا المقام ان فى المقتول ثلاثة مذاهب احدها ان له
اجلين اجل القتل بسبب عارضى واجل الموت حتف انفه بانتفاء
ذلك السبب فلولم يقتل لعاش الى اجل اخر قطعا هو اجل الموت
حتف انفه فيكون القاتل قد قطع عليه اجله الثانى بالقتل لاالاول فمعنى
المقتول ميت باجله انه ميت باجله الاول الذى هو اجل القتل لاالثانى
الذى هو اجل الموت حتف انفه وهو مذهب المعتزلة الثانى ان له
اجلا واحدا مطلقا هو اجل الموت وهو الوقت الذى قتل فيه ولابد
ان يموت فيه سواء وجد القتل او لم يوجد فلولم يقتل لمات قطعا فى ذلك

(الوقت)

٧ قد يتوهم ان لو هنا مثلها فى لولم يخف الله لم يعصه ومنشأه الغفلة عن الموت حتف الانف فافهم منه

الوقت وعليه فمعنى المقتول ميت باجله واضح وهو مذهب ابى الهذيل
والثالث ان للمقتول اجلا واحدا هو اجل الموت لامطلقا بل بشرط
القتل ولابد أن يموت فيه بالقتل فلولم يقتل لم نقطع بموته فى ذلك
الوقت او بعدم موته فيه ٨ لجواز أن يكون زمن موته متراخيا عن زمن
القتل وان يكون متصلا فيه وعليه فمعنى المقتول ميت باجله انه مقتول
باجل علم الله انه يقتل فيه وهو مذهب جمهور الاشاعرة وعلى المذاهب
الثلاثة لامنافاة بين قولنا لولم يوجد نقض العهد لما وجد القتل وقولنا
المقتول ميت باجله بل مع عدم المنافاة على المذهب الثالث يثبت
المطلوب كما عرفت فان قلت اذا كان الاجل عبارة عن زمان بطلان
الحياة فى علم الله لم يكن للمقتول اجلان قطعا وان قيد بطلان
الحياة بان لايترتب على فعل من العبد كالقتل مثلا كان له اجلان قطعا
من غير تصور خلاف فيكون الخلاف لفظيا وقد قال به الاستاذ وكثير
من المحققين قلنا المقصود باجل المقتول المضاف اليه هو زمن بطلان
حياته بحيث لامحيص عنه ولا تقدم ولاتأخر ومرجع الخلاف ان
ذلك هل يتحقق فى حق المقتول ام المعلوم فى حقه انه ان قتل مات
وان لم يقتل فالى وقت هو اجل له فان قيل فيلزم على الاول القطع
بالموت ان لم يقتل كما ذهب اليه ابو الهذيل وعلى الثانى القطع بامتداد
العمر كما ذهب اليه المعتزلة فلا يكون لما ذهب اليه الاشاعرة وجه
قلنا نمنع لزوم الثانى لجواز أن لايكون الوقت الذى هو اجل
الموت متراخيا عن اجل القتل بل متصلا فيه كما عرفت واما الاول
فيمكن دفعه بان يقال ان عدم القتل سيما مع تعلق علم الله بانه يقتل محال
لايبعد أن يستلزم محالا هو انقلاب الاجل واما مع تعلق علم الله تعالى
بانه لايقتل فانتفاء القطع بكون ذلك الوقت هو الاجل واضح لان
القطع بذلك انما كان من جهة القطع بالقتل فمع عدم القطع به بل القطع
بعدمه ينتفى القطع بكون ذلك الوقت هو الاجل فمذهب الاشاعرة له

٨ الفرق بين هذا المذهب والمذهب الاول ان الاجل الثانى مقطوع به على الاول وغير مقطوع به على هذا المذهب منه

وجه وجيه فتأمل فى هذا المقام فانه من مطارح الافهام * واعلم ان للمعتزلة
حجة قوية على ان للمقتول اجلين وعلى فساد القول بانه لولم يقتل لوجب
ان يموت فى ذلك الوقت قطعا وهى قوله تعالى ﴿ ولكم فى القصاص حيوة ﴾
قال الامام الرازى فى التفسير الكبير احتجت المعتزلة على فساد قول
اهل السنة فى قولهم ان المقتول لولم يقتل لوجب ان يموت قالوا اذا
كان الذى يقتل يجب ان يموت لولم يقتل فهب ان شرع القصاص يزجر
من يريد أن يكون قاتلا عن الاقدام على القتل لكن ذلك الانسان
يموت سواء قتله هذا القاتل اولم يقتله فحينئذ لا يكون شرع القصاص
مفضيا الى حصول الحياة فان قيل انا انما نقول فيمن قتل لولم يقتل كان
يموت لافيمن اريد قتله وان لم يقتل فلا يلزم ماقلتم قلنا أليس يقال
فيمن قتل لولم يقتل كيف يكون حاله فاذا قلتم كان يموت فقد حكمتم
فى ان من حق كل وقت صح وقوع قتله ان يكون موته كقتله وذلك
يصحح ماالزمناكم به هذا كله الفاظ القاضى انتهى مافى التفسير الكبير *
اقول وانت تعلم مما حررناه لك من المذاهب الثلاثة ان هذه الحجة غير
قائمة على اهل السنة لعدم منافاتها لمذهبهم اذ يجوز أن يكون اجل موت
المقتول على تقدير عدم قتله متراخيا عن اجل القتل فحينئذ يجوز أنه
لولم يقتل لعاش الى امد آخر هو اجل الموت فلاينافيه كون شرع
القصاص مفضيا الى حصول الحياة وانما ينافى مذهب ابى الهذيل
اذهو القائل بان المقتول لولم يقتل لوجب ان يموت وكان الامام اراد
باهل السنة بعضهم الموافق لابى الهذيل لاجمهورهم لكن الآية ظاهرة
فى مذهب المعتزلة اذ الاصل العموم وانما يستقيم هذا الاصل قطعا على
مذهبهم واما على مذهب اهل السنة فيستقيم جوازا لا قطعا ولهذا
لم يتعرض الامام للجواب عن هذه الحجة مع شدة حرصه وقوة تمكنه
من المصادمة والمزاحمة لهم والكرّ والفرّ معهم وتتبع الصدّ والردّ عليهم
حتى انه لم يبق للقوس من منزع ولا للسهم من مرمى وسبب اطلاع

الفقير على هذا الدليل المنير مع انه غير محرر فى الكتب الكلامية المعتبرة
المطولة والمختصرة ان حضرة الذكى الالمعى * والفاضل اللوذعى * من هو
لهذا التأليف كالعلة الغائية * حضرة ذى العطف والعطوفة سعدى بك
افندى لاحظه الله تعالى بعين العناية * ورعاه اكمل الرعاية * وحماه ووقاه
احمى حماية * واوقى وقاية * كان قد تكلم مع الفقير فى هذا البحث على وجه
تحقيق ان اىّ المذاهب الثلاثة هو الحق فاقمت البرهان الساطع * والدليل
اللامع * على ان مذهب اهل السنة هو الحق القاطع فعارضنى على البداهة
بهذه الآية الكريمة والحجة المستقيمة فلم يبق لى ملجأ الجأ اليه ولا
مستندا اعول عليه غير تفسير الامام فوجدت ما ترى فيه من الكلام ولله دره
على هذا الفكر الوقاد * والذهن النقاد * كأنه شهاب ثاقب يضىء على سائر
الكواكب والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب * ومنها
ما اخرجه ابن جرير وابن مردويه عن الكلبى فى قوله تعالى ﴿ يمحو الله
مايشاء ويثبت ﴾ قال يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد
فيه فقيل له من حدثك بهذا قال ابو صالح عن جابر بن عبد الله بن
رياب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم * ومنها ما اخرجه ابن
جرير عن الضحاك فى الآية قال يقول انسخ ماشئت واصنع فى الآجال
ماشئت ان شئت زدت فيها وان شئت نقصت وعنده ام الكتاب جملة
الكتاب وعلمه يعنى بذلك ماينسخ ومايثبت فهذان الاثران
صريحان فى المطلوب * ومنها ما اخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال ﴿ لاينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء
مايشاء من القدر ﴾ * ومنها مااخرجه احمد عن معاذ رضى الله عنه ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لن ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما
نزل ومما لم ينزل ﴾ فهذان صريحان فى تسبب دفع القدر الذى هو
تعيين المقضى فى وقت معين عن الدعاء وسيجىء تحقيق القضاء
والقدر ان شاء الله تعالى * ومنها مااخرجه الخطيب وابن عساكر عن ابن

عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿كان فى بنى اسرائيل ملكان استوليا على مدينتين وكان احدهما بارا برحمه عادلا على رعيته وكان الاخر عاقا برحمه جائرا على رعيته وكان فى عصرهما نبى فاوحى الله الى ذلك النبى انه قد بقى من عمر هذا البار ثلاث سنين ومن عمر هذا العاق ثلاثون سنة فاخبر النبى عليه السلام رعية هذا العادل ورعية ذاك الجائر فاحزن ذلك رعية العادل واحزن ذلك رعية الجائر ففرقوا بين الامهات والاطفال وتركوا الطعام والشراب وخرجوا الى الصحراء يدعون الله ان يمتعهم بالعادل ويزيل عنهم الجائر فاقاموا ثلاثا فاوحى الله الى ذلك النبى ان اخبر عبادى انى قد رحمتهم واجبت دعاءهم فجعلت مابقى من عمر هذا البار لذلك الجائر ومابقى من عمر الجائر لهذا البار فرجعوا الى بيوتهم ومات العاق لتمام ثلاث سنين وبقى العادل فيهم ثلاثين سنة﴾ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب) فانظر كيف اغاثهم الله تعالى وازال احزانهم بخلوص النية والدعاء وقصم عمر صاحب الثلاثين ٢ الى العشر وضاعف عمر صاحب الثلاثة ٣ الى العشر * ومنها مااخرجه ابن ابى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن مجاهد قال ﴿قالت قريش حين انزل (وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) ماراك يامحمد تملك من شئ ولقد فرغ من الامر فانزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم يمحو الله مايشاء ويثبت انا ان شئنا احدثنا له من امرنا ماشئنا ويحدث الله فى كل رمضان فيمحو مايشاء ويثبت من ارزاق الناس ومصائبهم ومايعطيهم ومايقسم لهم﴾ فهذا صريح فى تبديل ارزاق الناس ومايصيبهم ومايعطى لهم ومايقسم وهو المطلوب * ومنها مااخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﴿ان الله لوحا محفوظا مسيرة خمس مائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت والدفتان ٤ لوحان لله كل يوم ثلاث وستون لحظة يمحو مايشاء

٢ اى منتهيا ذلك القصم الى عشر الثلاثين وهى الثلاثة منه

٣ اى منتهيا ذلك التضعيف الى العشر منه

٤ قوله والدفتان لوحان يحتمل ان يكون من كلام ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الراوى منه

ويثبت وعنده ام الكتاب﴾ ومنها مااخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والطبرانى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ان الله ينزل﴾ اى نزولا يليق بذاته كما هو رأى السلف او ينزل نزول تجل من التجليات لانزول جرم من المخلوقات بمعنى انه تعالى يتنزل فى تجليه على قدر استطاعة المتجلى عليه لاعلى حسب عظمته التى هى مستندة اليه كما هو مذهب الخلف والا لجعل كل شئ تجلى له دكا ﴿فى ثلاث ساعات يبقين من الليل﴾ اى فى كل واحدة منهن ينزل مرة والمراد بالساعة هنا الساعة التى هى لحظة من الزمان لا الساعة الفلكية التى هى عبارة عن جزء من اربعة وعشرين جزأ من مقدار دورة فلك ﴿فينسخ الذكر﴾ وهو اللوح ﴿فى الساعة الاولى منها﴾ اى من تلك الساعات الثلث وكيفية النسخ ماقال صلى الله عليه وسلم ﴿ينظر فى الذكر الذى لاينظر فيه احد غيره﴾ اى يلحظه بالتجلى والا فلا يغيب عن نظره شئ كما لايغيب عن علمه شئ ﴿فيمحو مايشاء ويثبت ثم ينزل الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين﴾ اى من اعين البشر ﴿ولا تخطر على قلب بشر لايسكنها من بنى آدم غير ثلاث النبيين والصديقين والشداء ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه﴾ وهو رئيس الملائكة جبرئيل ويجوز أن يكون الروح الاكبر وهو غير جبريل عليهما السلام ﴿وملائكته فتنتغص﴾ اى تزدحم فتثقل من كثرة الملائكة ﴿فيقول قومى بعزتى﴾ اى تثبتى ﴿ثم يطلع على عباده فيقول هل من مستغفر فاغفر له هل من داع اجيبه حتى يصلى الفجر وذلك قوله تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يقول يشهده الله وملائكة الليل والنهار﴾ ومنها مااخرجه ابن جرير عن قيس بن عباد قال ﴿العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه مايشاء﴾ ومنها مااخرجه ابن المنذر وابن ابى حاتم والبيهقى

فى شعب الايمان عن قيس بن عباد قال ﴿ لله امر فى كل ليلة العاشر من الشهر الحرام اما العشر من الاضحى فيوم النحر واما العشر من المحرم فيوم عاشوراء واما العشر من رجب ففيه يمحوالله مايشاء ويثبت ونسيت ماقال فى ذى القعدة ﴾ اراد أن كل يوم عاشر من كل شهر من الاشهر الحرم له خصوصية وامر مبارك من الله تعالى فاما العاشر من شهر ذى الحجة فيوم عيد ونحر وبركة وغفران واما العاشر من شهر محرم فيوم غفران وسعة كذلك واما العاشر من شهر رجب فيوم محو للشقاوة واثبات للسعادة ونسى ماقال فى اليوم العاشر من شهر ذى القعدة * فان قلت قد اضطربت الآثار فى تعين وقت النسخ * فمنها كالحديث السابق مايدل على انه فى رمضان * ومنها مايدل على انه كل يوم ومنها مايدل على انه فى الساعة الاولى من الساعات الثلاث * ومنها مايدل على انه فى اليوم العاشر فى شهر رجب فبأيها نأخذ * قلت نأخذ بالكل اذلامانع من ان يكون النسخ فى الساعة الاولى من الساعات الثلاث التى تبقى من الليل والنسخ فى رمضان وفى اليوم العاشر من رجب داخل فى النسخ الذى هو من آثار الثلاث وستين لحظة فى كل يوم وتخصيص رمضان واليوم العاشر من رجب والساعات الثلاث من الليل بالذكر لاظهار شرف رمضان على الشهور والعاشر من شهر رجب على الايام والساعات الثلاث على بقية الساعات ولا مانع ايضا من ان تكون خارجة عنه زيادة على اثر الثلاث وستين لحظة اذلادلالة للحديث على عدم النسخ خارجها * ومنها ماخرجه ابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن ابى حاتم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (يمحوالله ما يشاء ويثبت) قال ﴿ من احد الكتابين يمحو مايشاء من احدهما ويثبت ﴾ (وعنده ام الكتاب) ﴿ اى جملة الكتاب ﴾ فالمقصود من احد الكتابين الذى يمحو منه مايشاء ويثبت هو اما اللوح المحفوظ اوالصحف التى بايدى

الملائكة التى فيها الاعمال والكتاب الذى لايدخله محو ولااثبات هو اما العلم الازلى لما تقدم انه قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا واما الصحيفة التى يكتب فيها عمله واجله ورزقه وأشقى ام سعيد من بطن امه لانها عنوان للعلم الازلى كما قررناه سابقا لكن قوله (وعنده ام الكتاب) اى جملة الكتاب يرجح ان المقصود بالكتاب الذى لا يدخله محو ولا اثبات هو الصحيفة لا العلم الازلى فتفكر * ومنها ما اخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف وابن ابى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ﴿ مادعا عبد قط بهذه الدعوات الاوسع الله له فى معيشته ياذا المن ولايمن عليه ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول لااله الا انت ظهر اللاجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين ان كنت كتبتنى عندك فى ام الكتاب شقيا فامح عنى اسم الشقاء واثبتنى عندك سعيدا وان كنت كتبتنى عندك فى ام الكتاب محروما مقترا علىّ فى رزقى فامح حرمانى ويسر رزقى واثبتنى عندك سعيداً موفقا للخيرات فانك قلت فى كتابك الذى انزلت ﴿ يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ومنها مااخرجه عبد الله بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال وهو يطوف فى البيت ﴿ اللهم ان كنت كتبت علىّ شقاوة اوذنبا فامحه فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك ام الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة ﴾ * ومنها مااخرجه ابن جرير عن كعب انه قال لعمر رضى الله عنهما ﴿ ياامير المؤمنين لولا آية فى كتاب الله لانبئتك بماهو كائن الى يوم القيمة قال وماهى قال قول الله تعالى يمحوالله مايشاء ويثبت ﴾ معناه ان الله تعالى علمنى ماهو كائن بواسطة الكتب الالهية او بغيرها لكن لما كانت هذه الآية تدل على المحو والاثبات فانا لاانبئك بما اعلم لانه يجوز أن يبدل الله ما اعلم انه واقع على كيفية كذا ولايوقعه اويوقعه على غير الكيفية التى اعلم وقوعه عليها فانظر

الى هذه الدعوات من مثل هولاء الذوات والى قول كعب الاحبار
الذى عنده علم الكتاب هل يدلان على انه تعالى يمحو ويثبت وهو
مطلق فى افعاله لايتقيد بشئ ام لا ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم
ومن عنده علم الكتاب ﴾ * ومنها ما اخرجه ابن مردويه ويعقوب
ابن سفيان وابو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﴿ كان ابو
رومى من شر اهل زمانه وكان لايدع شيئا من المحارم الا ارتكبه
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لئن رأيت ابا رومى فى
بعض ازقة المدينة لاضربن عنقه وان بعض اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم اتاه ضيف فقال لامرأته اذهبى الى ابى رومى وخذى
لنا منه بدرهم طعاما حتى ييسر الله فقالت له انك لتبعثنى الى ابى رومى
وهو من افسق اهل المدينة فقال اذهبى فليس عليك منه بأس
ان شاء الله فانطلقت اليه فضربت عليه الباب فقال من هذا قالت
فلانة قال ما كنت لنا بزوارة ففتح لها الباب فاخذها بكلام رفث
ومد يده اليها فاخذها رعدة شديدة فقال لها ماشانك قالت ان هذا
عمل ما عملته قط قال ابو رومى ثكلت ابا رومى امه هذا عمل عمله
منذ هو صغير لاتأخذه رعدة ولايبالى على ابى رومى عهدالله ان
عاد لشئ من هذا ابدا فلما اصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم
فلما رأه النبى صلى الله عليه وسلم من بعيد قال مرحبا بابى رومى
واخذ يوسع له المكان فقال له ياابا رومى ما عملت البارحة قال
ماعسى ان اعمل يانبى الله انا شر اهل الارض فقال النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله حول مكتبك الى الجنة فقال يمحوالله مايشاء
ويثبت ﴾ فهذا صريح فى ان مكتبه قدكان فى النار ثم حول الى الجنة
* ومنها ما اخرجه ابن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم عن قتادة
فى قوله تعالى ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ﴾ قال ﴿ حق على الله ان
يعطى من سئله ويزيد من شكره والله منعم يحب الشاكرين فاشكروا

الله على نعمه ﴾ معناه ان الله تعالى اوجب على نفسه ذلك تفضلا
منه واحسانا والافلا يجب على الله شئ وايجاب الشئ الذى اوجبه
على نفسه الفاعل المختار بالاختيار لاينافى الاختيار بل هو عين
الاختيار * ومنها ما اخرجه ابن النجار فى تاريخه والضياء المقدسى
فى المختار عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿ من الهم خمسا لم يحرم خمسا من الهم الدعاء لم يحرم
الاجابة لان الله تعالى يقول ادعونى استجب لكم ومن الهم التوبة
لم يحرم القبول لان الله تعالى يقول وهو الذى يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات ومن الهم الشكر لم يحرم الزيادة لان الله
تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم ومن الهم الاستغفار لم يحرم
المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن
الهم النفقة لم يحرم الخلف لان الله تعالى يقول وما انفقتم من شئ
فهو يخلفه ﴾ فانظر الى ترتيب هذه الخمسة على الخمسة أفيها مايدل
على ازدياد الرزق ام لا وقد روى الحكيم الترمذى فى نوادر
الاصول عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
نحوه وابن مردويه عن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام
مايضاهيه وابن ابى الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى
زهير يحيى بن عطارد بن مصعب عن ابيه عنه عليه الصلاة والسلام
مايقرب منه * ومنها ما اخرجه البيهقى عن انس رضى الله عنه
﴿ ان سائلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاعطاه تمرة فقال الرجل
سبحان الله نبى من الانبياء يتصدق بتمرة فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم اوما علمت ان فيها مثاقيل ذر كثيرة فاتاه آخر فاعطاه تمرة
فقال تمرة من نبى لاتفارقنى هذه التمرة مابقيت ولا ازال ارجو
بركتها ابدا فامر له النبى صلى الله عليه وسلم بمعروف ﴾ اى بعث
الجارية الى ام سلمة رضى الله عنها ان تعطيه اربعين درهما كما فى رواية

احمد ﴿ وما لبث الرجل ان استغنى ﴾ فانظر الى بركة الشكر ما اسرعه لجلب الزيادة ❊ ومنها ما اخرجه ابو نعيم فى الحلية من طريق مالك ابن انس رضى الله عنهما عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم قال ﴿ لما قال له سفيان الثورى حدثنى قال اما انى احدثك وما كثرة الحديث لك بخير ياسفيان اذا انعم الله عليك بنعمة فاحببت بقائها ودوامها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله تعالى قال فى كتابه لئن شكرتم لازيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى قال فى كتابه استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ياسفيان اذا احزنك امر من سلطان اوغيره فاكثر من لاحول ولاقوة الا بالله فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة ﴾ ❊ ومنها ماروينا بسندنا من طريق الشيخ عبدالرحمن الكزبرى الشامى عن اشياخه عن موسى بن سهل عن الربيع قال ﴿ لما استوفت الخلافة لابى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال لى ياربيع ابعث الى جعفر بن محمد بن زين العابدين ابن الحسين سبط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فقمت من بين يديه وقلت اى بربة تريد أن تفعل واوهمته انى افعل ثم اتيته بعد ساعة قال الم اقل لك ابعث الى جعفر بن محمد فوالله لتأتينى به ولاقتلنه شر قتلة قال فذهبت اليه فقلت يا اباعبدالله اجب امير المؤمنين فقام معى فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه ثم دخل فسلم فلم يرد عليه ووقف فلم يجلسه ثم رفع رأسه فقال ياجعفر انت الذى آليت٣ وكثرت حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ينصب للغادر لواء يعرف به ﴾ فقال جعفر حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ينادى مناد يوم القيمة من بطنان اوقال من بطان العرش الا فليقم من كان اجره على الله فلا يقوم من عباده الا المتفضلون ﴾ فمازال

٣ من الألية وهى اليمين سعد

يقول حتى سكن مابه ولان قال له اجلس ابا عبدالله ارتفع اباعبدالله ثم دعا بمدهن غالية فدافه بيده والغالية تقطر من بين اصابع امير المؤمنين قال انصرف ابا عبدالله فى حفظ الله وقال لى يا ربيع اتبع ابا عبدالله جائزته واضعفها قال فخرجت فقلت ابا عبدالله تعلم محبتى لك قال انت منا حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ مولى القوم منهم ﴾ فقلت ابا عبدالله شهدت مالم تشهد وسمعت مالم تسمع وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك اليه قال دعاء كنت ادعو به فقلت له دعاء حفظته عند دخولك اليه ام شىء تأثره عن آبائك الطاهرين قال بل حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر دعا بهذا الدعاء وكان يقول ﴿ دعاء الفرج اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بكنفك الذى لايرام وارحمنى بقدرتك علىّ انت ثقتى ورجائى فكم من نعمة انعمت بها علىّ قلّ لك بها شكرى وكم من بلية ابتليتنى بها قلّ لك بها صبرى فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويا من قلّ عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ويامن رأنى على الخطايا فلم يفضحنى اسئلك ان تصلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم اعنى على دينى بدنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرت يامن لاتضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة هب لى مالا ينقصك واغفر لى مالا يضرك ياآلهى اسئلك فرجا قريبا وصبرا جميلا واسئلك العافية من كل بلية واسئلك تمام العافية واسئلك الشكر على العافية واسئلك الغنى على الناس ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ﴾ فانظر مااسرع الفرج والغنيمة بعد هذا الدعاء الشريف ❊ ومنها مااخرجه احمد وابو داود والنسائى وابن ماجه والحكيم الترمذى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ﴿ من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ومنها ما رواه ذو النون عن سلم الخواص والدار قطنى فى السنن والديلمى والرافعى وابن النجار عن على كرم الله وجهه وابو نعيم فى الحلية عن مالك كلاهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿ من قال كل يوم مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستجلب بها الغنى واستقرع بها باب الجنة ﴾ * ومنها ما اخرجه الطبرانى وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ يا ايها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة ثم قرأ (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقد رتب صلى الله عليه وسلم الفرج من الهم والمخرج من الضيق واتيان الرزق بالسهولة على الاستغفار والتقوى * ومنها ما رواه الشعبى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل ما سمعناك استسقيت فقال ﴿ طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ﴾ ثم قرأ قوله تعالى (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) قوله بمجاديح جمع مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثا فى تشبيها بالمجدح الذى له شعب ثلاث وهى ٢ عند العرب من الانواء الدالة على المطر شبه عمر رضى الله عنه الاستغفار بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجذب فقال له ﴿ استغفر الله ﴾ وآخر الفقر وقلة النسل فقال له ﴿ استغفر الله ﴾ وآخر قلة ريع ارضه فقال له ﴿ استغفر الله ﴾ فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فأمرتهم كلهم

٢ اى تلك الكواكب الثلاث . منه

(بالاستغفار)

بالاستغفار فتلا هذه الآية * ومنها ما اخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ﴿ لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله الا ابدله الله فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك ﴾ فالتبديل بالاحسن مسبب عن مخافة الله تعالى وهو المطلوب * ومنها ما اخرجه الطبرانى فى الاوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ من جاع واحتاج فكتمه الناس وافضى به الى الله كان حقا على الله ان يفتح له قوت سنته من حلال ﴾ ومنها ما اخرجه احمد فى الزهد عن وهب قال ﴿ يقول الله تعالى فى بعض كتبه انى مع عبدى حتى يطيعنى اعطيه قبل ان يسألنى واستجيب له قبل ان يدعونى وان توكل علىّ عبدى لو كادته السموات والارض جعلت له من بين ذلك المخرج ﴾ والآثار الواردة فى هذا المطلب تضيق عن حصرها هذه الرسالة وفيما ذكرناه كفاية * واعلم ان هذه الترتبات والتسببات لزيادة العمر والرزق ولمحو الشقاوة وعكسها على الدعاء والطاعة او المعصية معناها ان الله تعالى يوجد هذه الاشياء الخيرية او الشريرة عند وجود الطاعة او المعصية فتكون الطاعة والمعصية اسبابا عادية لوجود هذه الاشياء ولا بأس بذلك فانه امر ممكن وقد اخبر عن وقوعه الصادق فوجب علينا الاعتقاد به والعمل بموجبه اذ قد اخبرنا عن الغيبيات التى هى مستحيلة عقلاً عند بعض وعادةً عند البعض الآخر كالاستواء على العرش ورؤية المؤمنين لذاته تعالى فى الآخرة وككونه تعالى معنا وكونه ينزل الى السماء الدنيا وكونه له يد ووجه وكتعذيب الميت فى قبره مع كونه بلا روح وكوزن الاعمال يوم القيمة مع انها اعراض لا تقوم بذاتها وكمشى الخلائق على الصراط مع انه احدّ من السيف وادق من الشعرة الى غير ذلك مما هو مستحيل عقلا عند اكثر الملل

وعادة عند الكل ومع هذا فقد صدّقنا بها وفوّضنا امرها وعلمها اليه تعالى كما هو الحق ومذهب السلف فلاىّ شىء لا نصدّق بهذه الترتيبات مع انها امور ممكنة وقد أخبر عنها الصادق صلى الله عليه وسلم فالتصديق بها اقرب الى العقل من التصديق بما مضى ولو فرضنا محاليتها لا ينتفى عنا وجوب التصديق بها ايضا وقد اخبرنا الله ورسوله عنها فى ما مضى من الآيات والآثار غاية ما فى الباب نكل علمها الى الله تعالى ولا نبحث عنها ولا نجحدها فنكون مكذبين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من ذلك ❊ فان قيل اذا كان الدعاء من الامور التى تجلب الخير والسعادة وتدفع الشر والشقاوة بل ربما تدفع القدر كما قررته فما بالنا ندعو ونتضرع فى دفع بعض الاشرار والاقدار فلا تدفع عنا مع ان الله تعالى وعدنا بالاجابة والله لا يخلف الميعاد ❊ قلت ذلك لفقد بعض شروط اجابة الدعاء اذ الاجابة لها شروط ❊ منها الاكل من الحلال والكسب منه فقد ورد عنه صلى الله عليه عليه وسلم ﴿من اكل لقمة من الحرام لن يقبل عمله﴾ وفى رواية ﴿دعاءه اربعين يوما﴾ هذا اذا اكل لقمة من الحرام فكيف اذا كان غذاء جسده كله بل منشاه من حرام ❊ ومنها احضار القلب فى الدعاء بان يعلم معنى مايدعو به عند الدعاء ❊ ومنها اخفاء الصوت كما قال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ ومنها اعتقاد الاجابة لا ان يكون الداعى مشككا فى تحقق الاجابة لا يدرى انه هل يستجاب له ام لا فيلزم عليه ان يوطن قلبه على حسن الظن بالله تعالى انه يستجيب له لان الله تعالى عند حسن ظن العبد به بل يجب عليه عقد قلبه على تحقق الاجابة من غير توهم خلافها والا فلا يكون مصدّقا بما اخبر به القرآن فلا يتم له الايمان الى غير ذلك من الشروط التى تذكر فى محلها فلتراجع فاذا وجدت الشروط باسرها وجدت الاجابة لا محالة واما ما قاله البعض من ان الله تعالى يؤخر المطلوب الى وقت آخر او يعطيه عوضه

فى الدنيا او فى الآخرة فعندى انه خلاف الظاهر لان معنى الاجابة اعطاء المطلوب للطالب على الصفة التى طلب عليها وفى الوقت الذى طلب فيه كما يدل عليه قوله تعالى ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن﴾ بعد قوله تعالى حاكيا قول يوسف عليه السلام ﴿والا تصرف عنى كيدهن﴾ الآية وعلى نحو هذه الآية مما يدل على ان معنى الاجابة ما قلناه فى القرآن العظيم كثير فاذا اعطى سبحانه الداعى غير مطلوبه او اعطاه مطلوبه على غير الصفة التى طلب عليها لم يكن مستجيبا دعاءه اذ ذاك فيلزم خلف الوعد من الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانكر بعض العلماء جواز زيادة العمر والرزق ونقصهما وحملوا الآيات والآثار الواردة فى ذلك على المعنى المجازى واخرجوها عن المعنى الحقيقى وقالوا معنى ازدياد العمر هو رؤية البركة فيه بالصحة والعافية والانفاس الطيبة واللذة فيه وتيسير عمل الطاعات الكثيرة واكتساب الذكر الجميل بالافعال الحسنة وكذا معنى زيادة الرزق هو البركة فيه والتلذذ فى الاكل منه وانفاقه فى محاله واكتسابه من الحلال بالسهولة وصفاء العيش فيه وخلوه عن شوائب الكدر ونقصهما بعكس هذه الاحوال قالوا لانه اذا كان الله تعالى قد علم فى الازل واراد وقدر فيه ان العبد مثلا يعيش الى الستين فمحال ان يتجاوزها او يموت دون بلوغها او كان علم وقدر فيه انه لا يعيش اليها فمحال ان يبلغها وكذا اذا علم واراد وقدر أن العبد يكون فقيرا مقترا عليه فى رزقه فمحال ان يكون غنيا كثير الرزق او علم وقدر أنه يكون غنيا كثير الرزق فمحال ان يكون فقيرا مقتر الرزق والا لزم انقلاب العلم جهلا وتخلف الارادة والقدرة عن الذى اراده وقدره وذلك محال فى حق العليم المريد القادر وايضا ان للغنى وللفقر اوقات موسومة وحدود معلومة فى الازل لا يمكن ان يتجاوزها والا لزم المحذور

المذكور اقول هذا مع ما فيه من اخراج اللفظ عن حقيقته وصرفه
عن ظاهره من غير داع يعول عليه يرد عليه ما يرد على الاول بعينه
وذلك بان نقول كما ان زيادة العمر والرزق معلومة ومقدرة فى الازل
فكذلك البركة والصحة والعافية والانفاس الطيبة وصفوة العيش
وجميع ما ذكرتم معلوم ومقدر ايضا فى الازل فما تعلق العلم والتقدير
بعدمه فمحال ان يوجد او بوجوده فمحال ان لا يوجد وايضا ان
الصحة والعافية واترابها مما ذكرتم لها اوقات معلومة وحدود
موسومة على حد ما تعلق بها العلم والتقدير الازليان لايمكن ان
تجاوزها على كل تقدير فما لزمنا لزمكم وما هربتم عنه وقعتم فيه
وما تجيبون به عن المعنى المجازى الذى اخترتم نجيب به عينه عن
المعنى الحقيقى الذى اخترنا فاى داع الى اخراج اللفظ عن حقيقته
مع بقاء الاعتراض بعينه بل الثواب والعقاب ودخول الجنة والنار
ايضا قد تعلق بها العلم والتقدير الازليان فلا يمكن وقوع الكل الا على
حد ما تعلق بها العلم والتقدير الازليان مع ان الله تعالى رتب حصول
كل منها على الطاعة او المعصية ولو كان الترتيب هناك باطلا لكان هنا
ايضا باطلا لهذه العلة بعينها فيلزم منه تعطيل الاوامر والنواهى اذ من علم الله
تعالى وقدر أنه سيدخل الجنة فلا بد أن يدخلها على كل تقدير او علم وقدر أنه
سيدخل النار فلا بد أن يدخلها على كل تقدير ايضا على مقتضى ما قلتم واللازم
باطل بالضرورة فالملزوم مثله وهذا الالزام مما لم يمكن دفعه قطعا
مع انه يترتب عليه الزامات تذكر فى آخر الباب الثالث ان شاء الله
تعالى ﴿الباب الثالث﴾ فى الادلة العقلية الدالة على جواز تبديل
الشقاوة والسعادة والنقصان فى العمر والرزق والزيادة وكيفية
ترتبهما على فعل العبد الاختيارى وانه ليس له حجة على الله ولله
الحجة البالغة وهذا البحث الشريف يتوقف على بيان معنى العلم
والقدرة والارادة واقسامها وكيفية تعلقها بمتعلقاتها * فنقول اما

العلم فقد اختلف فى معناه هل هو ضرورى وما يذكر فى تعريفه
فهو تنبيه وعلى تقدير أنه نظرى هل يحد اولا بل ما عرفوه به فهو
شرح الاسم لا الماهية وعلى تقدير أن لا يحد فلتعذره او لتعسره ذهب
كل الى بعض ولنعرفه بتعريف جامع مانع فليسموه ما شاؤا شرح
الاسم او شرح الماهية او تنبيه * قال فى المواقف بعد ذكر
عدة من التعاريف والتنظير فى كل منها والمختار أن العلم صفة
توجب لمحلها تميزا لا يحتمل النقيض فاخرج ماعدا العلم من
جميع الصفات بقوله توجب لمحلها تميزا لانها توجب لمحالها تميزا
بها عن غيرها لا تميزا بها بين غيرها من متعلقاتها فان القدرة
مثلا تميز صاحبها عمن ليس له قدرة وهكذا جميع الصفات ولا يميز
بها صاحبها بين متعلقاتها بخلاف صفة العلم فان صاحبها بها يميز كما
انه بها يميز واخرج ماعدا التصور والاعتقاد الجازم الثابت المطابق
من الظن والوهم والشك والاعتقاد الغير الثابت كاعتقاد المقلد
والثابت الغير المطابق كالجهل المركب بقوله لايحتمل النقيض اذ معناه
لايحتمل ما تعلق به ذلك التميز النقيض وما تعلق به ذلك التميز هو
المعلوم ودخول التصور الذى هو غير الشك والوهم على القول
بانها تصورات فى التعريف لامتناع التناقض بين التصورات من حيث هى
تصورات فضلا عن احتمال النقيض * واعلم ان هذا التعريف انما يتمشى
على مذهب من يدخل احساس الحواس بمحسوساتها فى نوع العلم
كالاشعرى ومن تابعه فانه جعل الابصار علما بالمبصر وهكذا واما
على رأى من جعله نوعا آخر للادراك مقابلا للعلم كالجمهور وهو
الحق لموافقته للعرف واللغة فلا بد أن يزاد فى التعريف قيد فى المعانى
كأن يقال توجب لمحلها تميزا فى المعانى لا يحتمل النقيض ليخرج
عنه ادراك الحواس وقد غفل عن هذا من تكلم على التعريف ثم
العلم هو اما اضافة بين العالم والمعلوم بها يكون العالم عالما والمعلوم

معلوما وهذه الاضافة لابد منها فى كون شئ عالما بآخر ولم يثبت غيرها فلهذا
اقتصر عليها جمهور المتكلمين واما صفة ذات اضافة فهناك امران
العلم والعالمية واليه ذهب جمع منهم وهذا التعريف يتمشى على
المذهبين لانا ان قلنا ان تلك الصفة توجب التميز بنفسها بلا واسطة
تعلق بل هى نفس التعلق فهو المذهب الاول لكنها حينئذ تكون
من الامور الاعتبارية الغير الموجودة فى الخارج كما هو رأى
المتكلمين فى المقولات النسبية ماعدا الاين فيخرج العلم القديم عن
التعريف وان قلنا انها توجب التميز بواسطة تعلقها فهو المذهب
الثانى فيكون لها وجود قائم بالنفس فتكون من الامور الموجودة
فى الخارج فلايخرج العلم القديم عنه وهذا ايضا مماغفل عنه المتكلمون
على التعريف واثبت القاضى وراء العلم والعالمية اضافة اما لاحدهما
فيكون هناك ثلاثة امور اولكل منهما فيكون اربعة امور وهذا
زيادة نغمة فى الطنبور هذا ومايرد على المذهبين من ان التعلق
لا يتصور الا بين شيئين متغايرين وذا مفقود فى علم الشئ بنفسه
اذ لا تغاير بين الشئ ونفسه وبالعلم بالمعدومات اذ لا وجود للمضاف
اليه فى الخارج مدفوع بان العالم من حيث هو عالم يغاير نفسه من
حيث هو معلوم ولو بالاعتبار وهو كاف فى صحة التعلق وان الاضافة
انما تتوقف على الامتياز للمضاف اليه والامتياز له لايتوقف على
وجوده لا ذهنا ولا خارجا اذ قد يحصل بمجرد شبحه وشبهه كما قال
به اهل الشبح وعند الحكماء العلم هو الوجود الذهنى اعنى الصورة
الحاصلة عند العقل من حيث هى حاصلة عنده وتلك الصورة اما
عين الحقيقة المدركة المتحققة فى الخارج ويسمى العلم الحضورى
وعلم البارى عندهم من هذا القبيل لان المدرك حاضر بنفسه عند
المدرك لا يحتاج الى انتزاع صورة منه مساوية له كالعلم بالنفس
وصفاتها فان النفس مدركة لنفسها ولصفاتها بلا واسطة صورة

مغايرة لهويتها الخارجية واما منتزعة منها مساوية لها مرتسمة
فى العقل او آلته كالعلم بالماديات واما مخترعة ومبتدعة كالعلم بالمجردات
والمعدومات وهو عندهم من مقولة الكيف ومعنى الصورة للمعدوم
عندهم ان للمعدوم وجودا ظليا غير متأصل بحيث لو امكن تحققه
فى الخارج وتحقق ذلك المعدوم لكان اياه وتلك الصورة مطلقا من
حيث قيامها بالذهن علم ومن حيث ذاتها معلوم قالوا لان العاقل
قد يعقل ماهو نفى محض وعدم صرف والتعقل انما يتصور بين
شيئين واذ ليس للمضاف اليه وجود فى الخارج فكان فى الذهن
واذا لزم القول بالصورة فى هذه الصورة لزم القول بها فى جميع
الصور لان الادراك معنى واحد لا يختلف الا بالاضافة الى المدرك
والمدرك فما لزم فى فرد منه لزم فى الكل وهو المطلوب وقد مر
الجواب عن هذا فلا تغفل واورد عليهم امور * منها ما للامام
الرازى من انه لوكان العلم حصول الصورة المساوية التى ربما تسمى
ماهية الشئ لزم من تصور الحرارة مثلا كون الذهن حارا وهومع
فساده يستلزم اجتماع النقيضين كالحرارة والبرودة عند تصورهما
واجيب بالفرق بين الصورة والهوية فان الهوية جزئية محفوفة بالعوارض
فاعلة للصفات تترتب عليها الآثار والصورة كلية مجردة لا تلحقها
الاحكام ولا تترتب عليها الآثار ولهذا لايلزم من ادراك الكرم
والبخل والايمان والكفر اتصاف النفس بها مع ان من شانها الاتصاف
بها فما ليس من شانها الاتصاف بها اولى وقد زاد المجيبون مقدمة
اخرى لاحتياجهم اليها فى بعض الاجوبة وهى انه فرق بين حصول
المدرك فى المدرك وبين حصوله عنده والاول يستلزم اتصافه به
لاالثانى وحصول الصورة من قبيل الثانى لا الاول * واقول
ان هذه المقدمة مع عدم الاحتياج اليها فيما زعموا على ما سأطلعك
عليه يرد عليها ماقيل اذا لم يكن حصول الصورة فى الذهن حصولا

اتصافيا واتصاف الذهن بالعلم ضرورى فكيف يكون العلم عبارة عنها واجاب عنه العلامة التفتازانى بان الصورة قد تؤخذ من حيث ان الحصول نفسها فتكون عرضا قائما بالنفس حاصلا لها حصولا متأصلا اتصافيا فتكون موجودا عينيا كسائر صفاتها وقد تؤخذ من حيث ان الحصول غيرها فتكون صورة وماهية للموجود العينى الذى ربما يكون من الجواهر فلا تتصف بها النفس * اقول يرد عليه انه ان اراد بكون الحصول نفسها انها تعتبر حصولا محضا فتكون عرضا فلا يكون العلم حينئذ من مقولة الكيف بل من مقولة الاضافة وهو اعتراف بمذهب المتكلمين وان اراد أن الحصول ليس امرا زائدا عليها بناء على امتناع قيام العرض بالعرض وقد اعترف بان حصولها فى الذهن حينئذ حصولا اتصافيا عاد المحذور فيكون كالرحى الدائرة وهى لم تبرح مكانها على انها حينئذ تكون جوهرا اذا كان ذو الصورة من الجواهر لا عرضا تأمل * ومنها ما للامام ايضا وهو أن الادراك اذا كان نفس الحصول كان المدرك هو الذى له الحصول وكان الجسم الحار مدركا للحرارة واجيب بان الحصول الاتصافى لا يستلزم الحصول الادراكى فيما من شانه الادراك ففيما ليس من شانه الادراك اولى قيل هذا الايراد مبنى على استلزام الحصول الاتصافى الحصول الادراكى والحق ان الكل بصورة منتزعة * قلت عدم استلزام الحصول الاتصافى الحصول الادراكى لا يلزم منه ان يكون الكل بصورة منتزعة بل الغاية انه يتوقف الاستلزام على التفات النفس فان حصل الالتفات حصل الاستلزام والا لا وايضا كون الكل بصورة منتزعة ينفى العلم الحضورى وقد قالوا به * ومنها لزوم عدم التمايز بين الصورة وذى الصورة فى ادراك النفس لذاتها وصفاتها واجتماع المثلين واجيب بان التغاير الاعتبارى كاف وبان التماثل المانع من الاجتماع انما هو بين الهويتين لا بين الصورة والهوية وبان الحصول الاتصافى غير الحصول

(الادراكى)

الادراكى وقد عرفت عدم الاحتياج الى هذه المقدمة مع ما يرد عليها * ومنها ان المدرك بالحس او العقل هو هذا الموجود العينى كهذا السواد وهذا الصوت فالقول بانه صورة منه لا نفسه سفسطة واجيب بان المدرك هذا الشخص لكن ادراكه بحصول صورة منه عند المدرك بحصولها فيه او فى آلته * اقول قد عرفت ان الحاضر لا يحتاج الى الانتزاع عندهم فهل هذا الا رجوع عن المذهب اللهم الا ان يقال انها تحصل بنفسها عند المدرك من غير انتزاع لها من المدرك فحينئذ يكون الفرق بين العلم الحضورى والعلم الحصولى مجرد الانتزاع فى الثانى وعدمه فى الاول اذ الكل بصورة لكنه يشكل فى ادراك النفس لذاتها ولصفاتها اذ لا يحتاج فيه الى الصورة كما انه لا يحتاج الى الانتزاع * ومنها ان الادراك لو كان الحصول لكان المدرك للمحسوسات هو الخيال او الرطوبة الجليدية اذ حصول الصورة فيها لا فى النفس فلو قلنا ان المدرك هو النفس لم يكن الادراك هو الحصول بل معنى آخر واجيب بان ادراك المحسوسات هو الحصول عند المدرك للحصول فى الآلة لا الحصول فى الآلة وفيه ما مر فتذكر ٢ * ومنها انه لو كان مجرد الحضور عند الحس كافيا فى الادراك لكان الحاضر الذى لا تلتفت اليه النفس مدركا وليس كذلك وجوابه ٣ مع ما فيه ٤ مر فلا تغفل * ومنها انكم جعلتم الصورة العلمية التى هى عرض قائم بالنفس كاية مطابقة للموجود العينى الذى ربما يكون من الجواهر بل نفس ماهيته مع ان كون العرض القائم بالنفس الجزئية جزئيا وامتناع مطابقة العرض للجوهر ونفس ماهيته ضرورى وايضا تجعلون العلم تارة نفس الصورة وتارة حصولها مع ظهور الفرق واجيب بعدم منافاة كونها عرضا من حيث قيامها بموضوع هو النفس لكونها جوهرا من حيث وجودها فى الخارج لا فى موضوع وبعدم منافاة جزئيتها من حيث قيامها بالنفس الجزئية لكليتها من حيث مطابقتها للافراد وبان نسبة الحصول الى

٢ لان من المحسوسات ما هو حاضر فلا يحتاج الى الصورة اللهم الا ان يراد المحسوسات الغائبة فقط لا ما يعم الحاضرة ؞

٣ من ان الحصول الاتصافى لا يستلزم الحصول الادراكى فالحصول الحضورى سيما مع عدم اتصاف النفس به اولى بعدم الاستلزام ؞

٤ من القول بالبناء على الاستلزام وان الكل بصورة منتزعة ؞

الصورة فى العقل نسبة الوجود الى الماهية فى الخارج فلا زيادة الا
بالاعتبار ومن ههنا قد يجعل العلم نفس الصورة * اقول ان اراد بقيامها
بالنفس حال اخذها من حيث الحصول فقيامها بها وجزئيتها مسلم
لكنها تكون حينئذ اضافة لا كيفا اوحال اخذها من حيث ذاتها
فقيامها بها وجزئيتها ممنوع كيف وانها حينئذ ربما تكون جوهرا
لكونها نفس ماهية الموجود الذى ربما يكون من الجواهر كما اعترف به
المجيب نفسه على انها فى المعدوم لاتكون من الامور الموجودة على
التقديرين فضلا عن كونها كيفا او جوهرا ثم ان قياس نسبة الحصول
الى الصورة على نسبة الوجود الى الماهية قياس مع الفارق لان الماهية
لاتكون تارة جوهرا وتارة عرضا كما زعموه فى الصورة ثم انهم مع
بقاء هذه الاشكالات عليهم يرد عليهم اشكال لامحيص لهم عنه الا
بالقول بالشبح وهو ما اعترف به رئيسهم ابن سينا حيث قال ان المستحيل
لايحصل له صورة فى العقل ولايمكن ان يتصور شئ هو اجتماع
النقيضين بل تصور المستحيل انما يكون على سبيل التشبيه بان يعقل
بين السواد والحلاوة امر هو الاجتماع ثم يقال مثل هذا الامر لا يمكن
بين السواد والبياض اوعلى سبيل النفى بان يحكم العقل بانه لايمكن
ان يوجد مفهوم هو اجتماع النقيضين كالسواد والبياض انتهى
فاذا لزم القول بالشبح والمثال فى هذه الصورة لزم فى جميع الصور لما
قالوه بعينه من ان الادراك معنى واحد لا يختلف الا بالاضافة الى
المدرك والمدرك فما ثبت لفرد منه ثبت للفرد الآخر وماهو جوابهم
فهو جوابنا * واعلم ان الكل متفق فى الصورة الا ان اهل
الشبح لما لم يقولوا باتحاد الصورة بذى الصورة بل هى عندهم مثال له
ومع هذا فالعلم عندهم ليس ٢ ذلك المثال بل اضافة اوصفة ذات
اضافة اليه اراحوا ارواحهم واشباحهم من شوائب الشبهات واهل
الصورة لما قالوا بالاتحاد ومع هذا فالصورة عندهم نفس العلم

٢ فيه رد على شارح التهذيب حيث توهم ان الخلاف بينهم يشبه اللفظى لان مبناه عنده مجرد القول باتحاد الصورة بذى الصورة عند الحكماء وعدم اتحادها معه عند المتكلمين ومنشأ توهمه الغفلة عن كون الصورة نفس العلم عند الحكماء ومضافا اليها العلم عند المتكلمين منه

(اثاروا)

اثاروا على انفسهم عواصف الاشكال فتراهم كالصورة المعلقة فى
الهواء تتقلب يمينا وشمالا فتارة يقولون بالعينية * وتارة بالغيرية *
وتارة هى كلية * وتارة جزئية * وتارة بالانتزاع * وتارة
بالاختراع * وتارة هى حصول * وتارة ذوالحصول * وتارة قائمة
بنفسها * وتارة قائمة بنفس العالم بها * فقد حملوا انفسهم كلفا * لايجدون
عنها مصرفا * وهذا هو الذى الجأهم الى مااشتهر عنهم من القول
بان الله تعالى لا يعلم الجزئيات لما رأوا ان لكل ذى صورة صورة ولو علم
الله تعالى كلا من تلك الصور بخصوصها مع احوالها المتغيرة لزم
تكثر علمه وتغيره ويلزم منه تغير ذاته وتكثرها لان علمه من لوازم
ذاته بل هو عين ذاته عندهم فحكموا بانه تعالى لا يعلم الجزئيات
بخصوصياتها اعنى على الوجه الجزئى بل على الوجه الكلى فهربوا
من شنيع على زعمهم لكن وقعوا فى اشنع منه فى الواقع وتأول ذلك
من ادخل رقبته فى ربقة اقاويلهم * وانقادت نفسه بازمة اباطيلهم *
بما لم يخرجه عن خطة دورانه * ويدور وهو فى مكانه * من ان علمه
تعالى واحد بسيط اجمالى بحيث تحضر عنده جميع تلك الصور دفعة
واحدة بصورة وحدانية هى مبدأ لتفاصيل الاجزاء فى الخارج كمن
علم مسئلة فيسئل عنها فانه يحضر الجواب عنها فى ذهنه دفعة من غير
تفصيل قال وهو علم بالفعل لا بالقوة لحضور صورة الكل عند
المدرك وعدم التميز بالفعل لايقتضى عدم وجود الاجزاء * اقول
ليت شعرى هل هذا الامجرد تغير فى التعبير وهل عدم التميز بالفعل
الاعدم علم بالفعل ولو تفصيلا وهو نقص يجب تنزيه الله عنه وهل
مثل هذا العلم الا مثل من يرى نعما كثيرة دفعة فلاشك ان الكل
قد حصل فى الرطوبة الجليدية دفعة بصورة واحدة لكن لو سئل عنها
هل يقدر على ان يجيب عن كل منها تفصيلا من غير ملاحظة ثانية
بخلاف مالو أحدق النظر الى كل منها فى المرة الأولى فلاشك فى

انه يقدر أن يجيب عنها تفصيلا من غير ملاحظة ثانية وتقاس
البصيرة فى مدركاتها على البصر فى مدركاته وهذا نقص فى حق العبد
فكيف فى حق الرب بل العبد يقدر على الخروج من هذا النقص
بان يلاحظ المسئلة تفصيلا والله لايقدر على ذلك فى زعمهم والا
رجع المحذور المذكور وايضا العلم الاجمالى ان كان بصورة واحدة
فكيف يطابق صورا متعددة او بصور متعددة فتفصيلى لا اجمالى
والعجب كل العجب حيث قالوا ان علمه تعالى عين ذاته وانه
حضورى ثم قالوا هو عبارة عن صورة واحدة اجمالية فان كان علمه
تعالى صورة منتزعة يلزم قدم الاشخاص حتى تنتزع منها الصورة
او يلزم حدوث علمه فيلزم حدوث ذاته لانه عينها وايضا هو خلاف
ما عرفوا به العلم الحضورى اذ هو حضور المدرك بحقيقته وذاته
عند المدرك وان كان علمه حضور المدرك اى المدرك الحاضر بحقيقته
فكذلك يلزم اما قدم الاشخاص او حدوث العلم الذى هو عين
الذات وان كان علمه صورة مخترعة فمع انه خلاف العلم الحضورى
يلزم ان تكون ذاته التى هى عين علمه مخترعة ثم يلزم على كل التقادير
ان يكون تعالى عين المخلوقات ان قلنا ان الصورة العلمية هى عين
الحقائق الخارجية بل يلزم فى العلم بالممتنع والمعدوم امتناع ذاته
وعدمها او يلزم على بعضها ان يكون عين المخلوقات وعلى البعض
الآخر كيفا من الكيفيات ان قلنا انها غيرها مساوية لها كما اضطرب
به كلامهم * وتزلزلت اقدامهم * وتحيرت افهامهم * واختلجت
اوهامهم * والكل لايقول به عاقل * فضلا عن فاضل * فالحق
ما عليه اهل الحق من ان العلم اضافة او صفة ذات اضافة وان العلم
الاجمالى قسم من العلم الحادث ليس من القديم فى شئ وان علمه
تعالى بل سائر صفاته ازلية لها تعلقات ازلية بالنسبة الى الازليات
والمتجددات باعتبار أنها ستجدد وفيما لايزال بالنسبة الى المتجددات

(باعتبار)

باعتبار وجودها الآن او قبل والتغير والتكثر انما هو فى الاضافات
والتعلقات لا فى الصفات وما يقال من ان التعلق الازلى يستدعى قدم
المعلومات ولو بحسب العلم والا لكان علم بلا معلوم مدفوع بما مر
من ان تعلق العلم بالمعلوم لايتوقف على وجوده لاذهنا ولاخارجا
بل على تميزه الحاصل بمجرد شبحه فتأمل فى هذا المقام * فانه من
فيض العليم العلام * وكم زلت فيه اقدام الافهام * والعلم قسمان قديم
وحادث فالقديم مالم يسبق بالعدم كعلم الله تعالى عند الكل وكعلم
المجردات ايضا مثل العقول العشرة والنفوس الفلكية عند الحكماء
والحادث خلافه كعلم باقى المحدثات عند الكل والعلم الحادث ثلاثة
اقسام لانه اما ان يكون بالقوة المحضة وهو الاستعداد للعلم بالفعل
كاستعداد النفس للعلم بالضروريات بواسطة احساس المحسوسات
وكاستعدادها للعلم بالنظريات بواسطة الضروريات واما ان يكون بالفعل
وحينئذ اما ان يكون اجمالا بان يلاحظ امر بسيط هو مبدأ للتفاصيل
كما عرفت واما تفصيلا بان يلاحظ التفاصيل واحدا بعد واحد وفى
تعدده بتعدد المعلوم خلاف بناه الامام الرازى على الخلاف فى
كونه اضافة فيتعدد بتعدده او صفة ذات اضافة فلا يتعدد بتعدده
ومحله القلب كما دلت الادلة السمعية عليه واما العلم القديم فليس
بجوهر ولا عرض لانهما محدثان بل هو صفة حقيقية ازلية قائمة
بذات الواجب وانه تفصيلى لا اجمالى وانه لايتعدد بتعدد المعلوم
ولايتكثر بتكثره ولا يتغير بتغيره بل التغير والتكثر والتعدد انما
هو فى الاضافات والتعلقات وانه لايتناهى ويتعلق بمعلومات لاتتناهى
اى لا تدخل تحت حد لا يمكن ان تجاوزه كالاعداد والاشكال
وبكل موجود ومعدوم ممكن او ممتنع كلى او جزئى لا يعزب عن
علمه شئ * ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ وزعم بعضهم انه تعالى لا يعلم
كل شئ اذ لو علمه لعلم علمه به وعلمه بعلمه به وهلم جرا فيلزم

التسلسل والجواب ان التسلسل فى الاضافات غير محال لانه ينقطع
بانقطاع الاعتبار مع ان دليله معارض نقلا بما ٤ وعقلا بانه لو
علم البعض دون البعض لزم الترجيح بلا مرجح لان المقتضى للعالمية
هو الذات بنفسها او بواسطة العلم وللمعلومية امكان العلم بالمعلومات
ونسبة الذات الى الكل متساوية فلو اختص علمه بالبعض دون
البعض لكان لمخصص وهو محال لامتناع احتياج الواجب الى المخصص
فى كمالاته الى شئ فلابد أن يعلم كل شئ وقد ادعى الجلال الدوانى
وتبعه الكلنبوى محالية التسلسل فى الاضافات اللازم من علم الله
تعالى بعلمه وبعلمه بعلمه وهكذا زاعمين ان هذا هو الذى الجأ
الحكماء الى القول بالعلم الاجمالى وايداه بانه كما يلزم التسلسل فى
الاضافات وهى ليست بامور اعتبارية قطعا على زعمهما يلزم اجتماع
مفهومات غير متناهية بالفعل فى آن واحد اذ علمه تعالى بعلمه وبعلمه
بعلمه وهكذا ليس بطريق التعاقب والالزم عدم استكماله بالفعل
بل دفعة واحدة فلابد من القول بالعلم الاجمالى هربا من لزوم
عدم علمه بالكل * اقول وانت تعلم ما فى القول بالعلم الاجمالى من
النقص الذى يجب تنزيه الله عنه مع ان اجتماع المفهومات الغير
المتناهية بل الصور الحقيقية فى آن واحد وارد عليهم فان قالوا
يعلمها دفعة واحدة بامر بسيط فنقول هل هى عندكم الانفس
العلم فكما يلزمكم اجتماع المفهومات يلزمكم التكثر فى العلم الذى
هربتم عنه ولو بالقوة وهو محال على الله لان علمه واحد بالقوة
والفعل بل ليس له تعالى صفة كمال بالقوة فكيف يكون له فيها صفة
نقص ولاى شئ يكون اجتماع المفهومات الاعتبارية الذى يلزمنا
محالا ولايكون اجتماع المفهومات الحقيقية الذى يلزمكم محالا
هل هذا الا ترجيح المرجوح بل قلب المستحيل ممكنا بل
واقعا نسأل الله الهداية واذا عرفت ان العلم عند الحكماء هو

٤ من قوله تعالى والله بكل شئ عليم منه

الصورة الحاضرة التى هى باعتبار حضورها تسمى علما وباعتبارها
فى نفسها معلوما بمعنى انها لو وجدت فى الخارج ووجد ذلك المعلوم
كانت عينه وعند المتكلمين اضافة الى الصورة التى هى مثال وشبح
للمعلوم او صفة ذات اضافة اليها فاعلم ان العلم عند الكل تابع للمعلوم
سواء كان تصوريا او تصديقيا وان كان علم الله تعالى لايوصف بانه
تصور او تصديق لابمعنى ان العلم متأخر عن المعلوم اذ هذا محال
فى حقه تعالى بل بمعنى انه تعالى يعلم الشئ كما يقع هو فى حد ذاته وان
العلم والمعلوم يتطابقان والاصل فى هذه المطابقة هو المعلوم ألا يرى
ان صورة الفرس على الجدار مثلا انما كانت على هذه الهيئة
المخصوصة لان الفرس فى حد نفسه هكذا ولا يتصور أن ينعكس
الحال بينهما فان المحال مثلا بنفسه اعطاك العلم به انه محال فلا اثر
لعلمك فيه بل لعلمك منه اثر فلا مدخل للعلم فى وجوب الفعل
وامتناعه وسلب القدرة والاختيار والالزم ان لايكون الله تعالى
فاعلا مختارا لكونه عالما بافعاله وجودا وعدما اذ ما علم الله عدمه
فممتنع الصدور او وجوده فممتنع العدم وواجب الصدور ولو كان
للعلم دخل فى هذا الوجوب والامتناع لبطل الاختيار فما قاله الكلنبوى
من ان العلم تابع للمعلوم التصديقى لا التصورى خلاف الظاهر لان
العلم اذا كان تابعا للوقوع الذى هو النسبة والنسبة لاتتصور الا بعد
تصور المنتسبين فبالضرورة ان يكون تابعا لاطرافها ولان الادراك
معنى واحد فما جاز لفرد منه جاز للفرد الآخر وما امتنع على فرد منه
امتنع على الفرد الآخر والعجب من هذا المدقق كيف ايد كون
العلم هو الصورة الذهنية المطابقة لذى الصورة ونفى تميز المعدومات
فى ذواتها من غير وجودها فى الخارج وفى الذهن ثم ادعى عدم
تبعية العلم للمعلوم التصورى واعجب من هذا انه عد هذا البحث
من نفائس الابحاث * واعلم ان هذا المقام مقام عظيم كم زلت فيه

اقدام * وحارت فيه افهام * ولذا اطنبنا فيه الكلام * وان لم نشبعه
كل الاشباع * لضيق صدر هذه الرسالة عن كثرة الشقاق والنزاع *
لكن بحمده تعالى كشفنا عن وجوه بعض المخدرات القناع * فعليك
بالنظر السديد * واياك والتقليد * واما الارادة فقد اختلف
فى تفسيرها على اقوال مع ان كون معناها واضح عند العقل مما يشهد
به الوجدان فقال كثير من المعتزلة هى اعتقاد النفع لان نسبة القدرة
الى طرفى الفعل على السواء فاذا حصل اعتقاد النفع فى احد طرفيه
ترجح على الآخر عند القادر واثرت فيه قدرته وقال بعضهم هى
ميل يعقب اعتقاد النفع لان القادر كثيرا ما يعتقد النفع فى شئ
ولا يريده مالم يحدث هذا الميل ورد المذهبان بان الارادة قد توجد
بدون اعتقاد النفع او ميل يعقبه فلا يكون شئ منهما لازما للارادة
فضلا عن كونه نفسها فان الهارب اذا عرض له طريقان متساويين
فى النجاة من جميع الوجوه يختار احدهما بمجرد ارادته من غير
توقف فى طلب المرجح واعتقاد نفع او ميل وقالت الفلاسفة هى
العلم بما هو عند العالم كمال وخير واعترض عليهم بان الارادة
لوكانت نوعا من العلم لاختصت بذى العلم واللازم باطل لان
الحركة بالارادة مأخوذة فى تعريف مطلق الحيوان وانما جعلوها
نوعا من العلم لانهم لما ذهبوا الى انه تعالى موجب بالذات لا فاعل
بالاختيار وعلموا ان فى نفى الارادة عنه شناعة والحاقا لافعاله تعالى
بافعال الجمادات حاولوا اثبات كونه تعالى مريدا على وجه لا ينافى
كونه تعالى موجبا ولذا فسروها ايضا بكون الفاعل عالما بما يفعله
اذا كان ذلك العلم سببا لصدور ذلك الفعل حال كون العالم غير
مغلوب فى فعله ولا مكره عليه والله تعالى عالم بذلك فيكون مريدا
وانما قالوا اذا كان ذلك العلم سببا لصدور ذلك الفعل لان علمه
تعالى عندهم سبب لافاضة المعلوم الى عالم الوجود ولاجل انهم نفوا

الارادة المشتركة بين الحيوان عنه تعالى لانها عندهم حالة ميلانية الى
الفعل او الترك وهى منفية عن الواجب لا يرد الاعتراض المذكور عليهم
اذ التعريف لنوع من الارادة وهى الارادة القديمة لا لمطلق الارادة لكن
يرد على ما فسروا به الارادة المشتركة بين الحيوان ما يرد على المعتزلة
فانظر وبعضهم تطفل على الحكماء فى نفى الارادة عنه تعالى فقال معنى
ارادة الله تعالى فعله انه ليس بمكره ولا ساه ولا مغلوب ومعنى ارادته
فعل غيره انه امر به وهذا اشنع مما ارتكبه الفلاسفة لانهم وان
فسروها بنوع من العلم لكنهم لم يجوزوا تخلفها عما اراد الله وهذا
البعض جوز تخلفها عنه حيث فسرها بالامر كيف وقد امر تعالى
كل مكلف بالايمان (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا)
وقال الاشعرى ارادة الشئ نفس كراهة ضده اذ لوكانت مثلها او
ضدها لما جاز اجتماعهما ولوكانت مخالفة لها لجاز اجتماع كل منهما مع
ضد الاخرى كالحلاوة المخالفة للسواد تجتمع مع ضده الذى هو
البياض لان ضد كراهة الضد نفس ارادة الضد واذا انتفى التماثل
والتضاد والتخالف ثبت الاتحاد وهو المطلوب واجيب بانا لا نسلم
لزوم جواز اجتماع كل من المتخالفين مع ضد الآخر لجواز أن يكونا
متلازمين ويمتنع اجتماع الملزوم مع ضد اللازم وايضا ربما يراد
شئ ولا يخطر بالبال ضده فضلا عن ان يكون مكرها
وبهذا بطل حكم القاضى باستلزام ارادة الشئ كراهة ضده وقال
الماتريدى وسائر اصحابنا وهو الاصح انها صفة بها يرجح الفاعل
احد مقدوريه من الفعل والترك واحتجوا بان الضدين نسبتهما
الى القدرة سواء اذ كما يجوز أن يقع بها هذا يجوز أن يقع بها هذا وكل
واحد فرضنا وقوعه بها فنسبته الى الاوقات المعينة سواء فكما يمكن
ان يقع فى وقته الذى وقع فيه يمكن ان يقع قبله او بعده فالارادة
ترجح احد الضدين وتخصص وقوعه فى احد الوقتين واعترض

عليه بان هذا التفسير لايكشف عن حقيقتها اذلا نسلم وجود صفة
كذلك لانها اذا تساوت نسبتها الى الطرفين احتيج فى التعلق باحديهما
الى مخصص وينقل الكلام اليه فيدور اويتسلسل اولا فيلزم الايجاب
والجواب ان نسبتها الى الطرفين سواء * لكن لكونها تابعة للادراك
يرجح بها الفاعل اياشاء * واذا تقرر هذا فاعلم ان الارادة غير
الشهوة التى هى ميلان النفس نحو الامور المستلذة لانها تفارقها
فى الوجود فان المريض قد يريد مالا يشتهيه * كشرب دواء كريه *
وقد يشتهى مالا يريده * كالذى يبطئ مرضه بل يزيده * ولشدة
تعلق الارادة بالقوة الادراكية كشدة تعلق الشهوة بالطبيعة الجبلية
كما ٦ ان ضدها وهو الكراهة مغايرة للنفرة التى هى ضد الشهوة وانه
لافرق بين المشيئة والارادة الا عند الكرامية حيث جعلوا المشيئة
صفة واحدة ازلية تتناول مايشاءالله بها والارادة حادثة متعددة بتعدد
المتعلقات وهذا ٧ باطل لانه يوجب كونه تعالى محلا للحوادث
لوقامت به وقيامها بنفسها على ماهو رأى الجبائية ضرورى البطلان
فان مايقوم بنفسه كيف يكون صفة ولان صدور الحادث من الواجب
تعالى لايكون الا بالاختيار فيتوقف على الارادة وهكذا فيدور
اويتسلسل والكل محال * والارادة قسمان كالعلم قديمة وهى
مالم تسبق بالعدم كارادةالله تعالى وحادثة وهى خلافها كارادة المحدثات
* واعلم ان الارادة القديمة لاتتناهى ولاتتناهى متعلقاتها بمعنى انها
لاتدخل تحت حد لاتجاوزه كافراد نعيم الجنان وما فيها من الاشخاص
الباقية انواعها وانها تتعلق بالمتعلق على حد ماتعلق العلم والقدرة به
لان القدرة كما سنقرره نسبتها الى الكل سواء فتتعلق فى الازل بالفعل
او الترك فيما لايزال تعلقا معنويا لايترجح به احدهما على الآخر
ولا يترتب عليه وجود اوعدم بل ولا تخصيص فى احد الاوقات
بل تعلقا مصححا لايجاده فيما لايزال فى احد الاوقات فاذا تعلقت

٦ تشبيه بمغايرة الارادة للشهوة فهو مربوط بقوله ان الارادة غير الشهوة منه

٧ اى حدوث الارادة وتعددها بتعدد المتعلقات منه

الارادة باحدهما ترجح على الآخر وترتب على ذلك التعلق وجود
او عدم فى الوقت المعين فاذا جاء وقته المعين تعلقت القدرة والارادة
به تعلقا موجدا له فى الحال بالفعل فوجد وعلى هذا فكما ان للقدرة
تعلقين تعلق فى الازل مصحح وآخر فيما لا يزال موجد كذلك
للارادة تعلقان تعلق فى الازل مرجح ومخصص وآخر فيما لايزال
موجد مع القدرة وهذا مفهوم من كلام بعض المشايخ والمفهوم من كلام
البعض الآخر انه يكفى التعلق الازلى للارادة فيما اريد ولا يحتاج الى
تعلقها به مرة ثانية فيما لايزال لان التعلق الاول مستمر غير منقطع فلاتحتاج
القدرة فى الايجاد الى تعلق الارادة مرة ثانية بل تكتفى باستمرار التعلق
الاول فالارادة ترجح وتخصص والقدرة تصحح ثم توجد وقيل القدرة
تصحح فقط والتكوين يوجد بناء على ان القدرة لاتتعلق باحد
طرفى الفعل الا فى الازل تعلقا مصححا لايجاده فيما لايزال وعند
مجئ وقته فالذى يوجده بالفعل انما هو التكوين وان ٩ ارادته تعالى
تعم الكائنات وبالعكس بمعنى ان كل ما تعلقت به فهو كائن وكل ما هو
كائن فهو الذى ارادهالله تعالى وان لم يكن مرضيا ولامأمورا به بل ربما
يكون منهيا عنه خلافا للمعتزلة فى الاصلين ذهابا الى انه تعالى يريد
من الكفار والعصاة الايمان والطاعة ولايقع ماراده ويقع منهم
الكفر والمعصية ولا يريدهما وهو مبنى على ان الارادة عين الامر
كما تقدم وهو ضرورى البطلان ﴿ ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ﴾
* واما القدرة فقيل هى صفة تؤثر على وفق الارادة يعنى سواء كانت
آثارها مختلفة كالقوى الحيوانية او لم تكن مختلفة كالقوى الفلكية
فخرج بالقيد الاول مالا يؤثر كالعلم وان توقف تأثير القدرة عليه
وبالثانى مايؤثر لاعلى وفق الارادة كالقوى النباتية والعنصرية
وقيل هى صفة مبدأ لافعال مختلفة اى سواء كانت على وفق الارادة
كالقوى الحيوانية او لم تكن على وفقها كالقوى النباتية فخرج

٩ عطف على مدخول اعلم منه

ماكانت آثاره على نمط واحد كالقوى الفلكية فبين التعريفين عموم وخصوص من وجه لصدقهما على القوى الحيوانية وصدق الاول دون الثانى على القوى الفلكية وصدق الثانى دون الاول على القوى النباتية فان قيل القدرة الحادثة لاتدخل فى شئ من التعريفين لانها غير موثرة عندنا كما سيجئ فلا بد من القول بكون فعل العبد بقدرته على ماهو مذهب المعتزلة او بنفى قدرة العبد اصلا كما هو مذهب الجبرية قلنا ليس المقصود من تأثير مطلق القدرة تأثيرها بالفعل بل اعم مما هو بالقوة او بالفعل اى صفة من شانها التأثير والقدرة الحادثة كذلك وان لم تؤثر بالفعل لوقوع متعلقها بقدرة الله تعالى فلا يلزم الذهاب الى احد المذهبين والقول بقدم قدرة الله تعالى مع حدوث المقدورات على ماهو رأينا وثبوت القدرة الحادثة قبل الفعل على ماهو رأى المعتزلة يؤيد ماذكرنا اذ لوكانت قدرة الله تعالى موثرة فى المقدور بالفعل فى الازل تأثير ايجاد له فيه لزم قدم المقدورات فى الوجود وكذا لوكانت القدرة الحادثة حين وجودها موثرة بالفعل فى مقدورها فى ذلك الحين لم تكن متقدمة على الفعل على هو المفروض وكلا اللازمين باطل فكذا الملزومين والقوة اعم من القدرة على المعنيين اذ هى صفة مبدأ للتغير فى آخر من حيث هو آخر سواء كانت آثارها على وفق الارادة اولا وسواء كانت الآثار مختلفة اولا فتصدق على القوى العنصرية دونهما وانما قيد تعريف القوة بالحيثية للاشعار بانه يكفى التغاير الاعتبارى بين المؤثر والمؤثر فان النفس المعالجة لنفسها فى تهذيب اخلاقها مؤثرة من حيث هى معالجة موثرة من حيث هى معالجة * واعلم ان لفظ القوة كما قال بعض الافاضل معناه المتعارف عند الجمهور هو أن يتمكن الحى من الافعال الشاقة ثم نقل منه الى سببه المسمى قدرة وهى صفة بها يتمكن الحى من الفعل والترك بالارادة والى لازمه ايضا وهى كونه بحيث لاينفعل سريعا ثم

عمم فاستعمل فى كون الشئ مطلقا حيوانا اوغيره بهذه الحيثية ثم نقل الى لازم القدرة بالنسبة الى المقدور وهو امكان حصوله مع امكان بقاء عدمه ونقل ايضا الى ماهو كالجنس للقدرة بالمعنيين وهو الصفة المؤثرة سواء كان تأثيرها بالايجاب اوبالاختيار وسواء كانت آثارها مختلفة اولا والقوة بهذا المعنى هى مبدأ للتغير فى آخر من حيث هو آخر ولهذا قلنا ان القوة اعم من القدرة بالمعنيين هذا ولهم فى اثبات معنى القدرة طرق * احدها ماللهمدانى من المعتزلة من انه العلم بتأتى الفعل من بعض الموجودين وتعذره على الغير كتأتى الكتابة من زيد دون عمرو بل ربما يتأتى الفعل من بعض الاشخاص ويتعذر عليه غيره كتأتى القراءة من عمرو دون الكتابة فهذا العلم دال على ان فى زيد صفة بها تمكن على الكتابة دون عمرو وفى عمرو صفة بها تمكن على القراءة دون الكتابة ورد بان الممنوع من الفعل قادر عليه عندكم مع العلم بتعذره عليه فطريقكم مسدود لا يقال الممنوع يتأتى منه الفعل على تقدير ارتفاع المانع لانا نقول ويتأتى ايضا من العاجز على تقدير ارتفاع العجز عنه فلم كان ذاك قادرا عندكم دون هذا * قلت لكن الحق ماقاله العلامة التفتازانى من ان بينهما فرقا لان الفعل يتأتى من الممنوع وهو بحاله فى ذاته وصفاته والتغير فى امر خارج بخلاف العاجز فانه يتغير من صفة الى اخرى * الثانى ماللجبائى من انه العلم بصحة الشخص وانتفاء الآفات عنه ورد بان النائم كذلك مع انه ليس بقادر اللهم الا ان يقال ان النوم آفة * الثالث ماالجمهور المتكلمين من انه الوجدان فان العاقل يجد من نفسه ان له صفة بها يتمكن من حركة البطش وتركها دون الرعشة ليست من قبيل القصد والاختيار ولا من قبيل الاجرام خلافا لما نسب الى ضرار وهشام من ان القدرة على البطش نفس اليد وعلى المشى نفس الرجل وهكذا وليست هى سلامة الاسباب والآلات خلافا

لماقاله بشر بن المعتمر فى الحادثة واختاره الامام لان هذه صفة عدمية
لاتؤثر والقدرة مما يؤثر * قلت ولوكانت هى سلامة الاسباب
والآلات لزم ان يتصف كل من فيه سلامة الاسباب والآلات
بكل ما اتصف به كل واحد من سالمى الاسباب والآلات
واللازم باطل ضرورة فتكون غيرها وهو المطلوب *والقدرة ايضا
قسمان قديمة وحادثة فالقديمة مالم تسبق بالعدم كقدرة الله تعالى
عند الكل وكقدرة المجردات ايضا عند الفلاسفة وهى موجودة
قبل الفعل وبعده مستمرة ازلا وابدا ليست من قبيل الاعراض
واعلم ان قدرة الله تعالى غير متاهية بمعنى ان جواز تعلقها لا ينقطع
وشاملة للكل بمعنى ان تعلقها لايقتصر على البعض لان المقتضى
للقادرية هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان ولاتمايز قبل
الوجود يخصص البعض دون البعض وللنصوص الدالة على شمول
قدرته تعالى للكل ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾ وقد يفسر شمول
قدرته للكل بان ماعدا الذات والصفات من الموجودات واقع بقدرته
وارادته ابتداء بحيث لامؤثر سواه كما هو مذهب اهل الحق والنصوص ٢
القاطعة الدالة اجمالا على انه خالق كل شىء وتفصيلا على انه خالق
السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وخالق الموت والحياة
الى غير ذلك من الجواهر والاعراض شاهدة ٣ بذلك واما الاستدلال
عليه بدليلى التوارد والتمانع ففيه ما فيه ولذا تركناهما وخالف فى
المعنى الاول للشمول طوائف فمنهم من قال انه تعالى لا يقدر على
خلق الشرور حتى الاجسام المؤذية وانما القادر على ذلك فاعل
آخر يسمى اهرمن وهم المجوس ومنهم من قال انه لا يقدر على
خلق الجهل والكذب والظلم وسائر القبائح وهم النظام واتباعه
ومنهم من قال انه لايقدر على مثل مقدور العبد وهم الكعبى واتباعه
ومنهم من قال انه لايقدر على نفس مقدور العبد وهم الجبائى واتباعه ومنهم
من قال انه لايقدر على ماعلم انه لايقع لامتناعه ولا على ماعلم انه يقع

٢ مبتدأ سعد
٣ خبر سعد

لوجوبه وهم عباد واتباعه ومالنا بردهم مع قيام النص القاطع لعرق
ماادعوه وخالف فى المعنى الثانى للشمول ايضا طوائف فمنهم من قال
ان الصادر عنه تعالى العقل الاول بلا واسطة فقط وهو مصدر لعقل
ونفس وفلك وهكذا يترتب المعلولات مستندا بعضها الى بعض فالفاعل
للافلاك عقول ولحركاتها نفوس وللحوادث بعض هذه المبادى
او الصور او القوى بتوسط الحركات ولافعال المعدنيات صورها
النوعية ولافعال النباتات والحيوانات نفوسها وهم الفلاسفة ومنهم
من قال ان كل مايقع فى عالم الكون والفساد من الحوادث والتغيرات
مستندة الى الافلاك والكواكب بما لها من الاوضاع والحركات
والاحوال والاتصالات وهم الصابئون والمنجمون ومنهم من قال
ان حوادث هذا العالم مستندة الى امتزاج العناصر والقوى والكيفيات
الحاصلة بذلك وهم الطبيعيون ومنهم من اسند الشرور والقبائح الى
الشيطان وهو قريب من مذهب المجوس واسند الافعال الاختيارية
للانسان وغيره من الحيوانات اليهم وهم المعتزلة وهذه هى مسئلة
خلق الاعمال وتأتى قريبا ان شاء الله تعالى وما تقدم من النصوص
يرد ذلك كله مع ان ادلة الكل فى نفسها مضمحلة فراجعها ان شئت
فى المطولات * والقدرة الحادثة ماسبقت بالعدم وهى لاتوجد الا مع
الفعل عندنا لاقبله خلافا للمعتزلة وهذا مبنى على امتناع بقاء
الاعراض كما هو عند الاشعرى لانها لو وجدت قبله لانعدمت فيلزم
وجود المقدور بدون القدرة والمعلول بدون العلة وهو محال وقد
عرفت ان القدرة القديمة ليست من قبيل الاعراض فلا يرد النقض
بها ورده المعتزلة بانه بعد تسليم امتناع بقاء الاعراض يجوز أن تستمر
تجدد الامثال الى وقت الفعل كالعلم وغيره مما هو قبل الفعل فلا يلزم
وجود المقدور بدون القدرة واجيب بان وجود المقدور حينئذ
ان كان بالقدرة الزائلة يعود المحذور المذكور او بالحاصلة وقت

الفعل فقد اعترفتم بانهـا مع الفعل ثم قالت المعتزلة لو لم تكن القدرة
الا مع الفعل ولم تتعلق به الا حال وجوده ومعنى تعلقهـا به ايجاده
٣يلزم ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وايضـا يلزم امتناع التكليف
لان التكليف بالفعل انما يكون قبل حصوله ضرورة انه لا معنى لطلب
حصول الحاصل واذا كانت القدرة مع الفعل لا قبله كان الفعل قبل
الوقوع غير مقدور فاذا كلف به قبل وقوعه لزم التكليف بما لا يطاق
ولزم منه ان تكون جميع التكاليف تكليفـا بما لا يطاق ورد الاول بان
لزوم ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل مبنى على تأثير القدرة الحادثة
وهو ممنوع ولئن سلم فانما يلزم ايجاد الموجود بالوجود الذى هو اثر
ذلك الايجاد وهو غير مستحيل انما المستحيل ايجاد الموجود بوجود
سابق وهو غير لازم ورد الثانى بانه يكفى فى التكليف كون الفعل
مما يصح ان تتعلق به قدرة العبد فى الجملة كايمان الكافر بخلاف ما لا يصح
ان تتعلق به قدرة العبد اصلا كخلق الجسم بل نقول مناط التكليف
انما هو القدرة بمعنى الاستطاعة التى هى سلامة الاسباب والآلات
والجوارح وهى موجودة قبـل الفعل وبعده ويتفرع على هذه
المسئلة ان الافعال مستندة الى قدرة الله تعالى على القول الاول والى قدرة
العبد على الثـانى وان الممنوع من الفعل غير قادر عليـه على القول
الاول اذ لا فعل حينئذ فلا قدرة وقادر عليه على الثانى لان القدرة
موجودة والمنع لا ينافيها وانما ينـافى المقدور وان القدرة الواحدة
لا تتعلق بمقدورين على القول الاول لان تعلقها بهما انما يكون حين
وجودها اذ لا وجود لها قبل وجودهـا على ما هو المفروض فيلزم
تسبب أثرين متخـالفين عن مؤثر واحد فى آن واحد وهو محـال
وان كان التسبب عاديا وتتعلق بهما على الثـانى اذ لا مانع من تعلقها
بكليهما فى آن واحد تعلق تصحيح لا تعلق تأثير او تعلق تأثير لا فى
آن واحد * واقول الحق ان التكليف بمـا لا يطـاق كما انه لازم على

٣جواب لو منه

(القول)

القول الاول لازم على القول الثانى اذ لا شك فى ان القدرة المتقدمة
على الفعل هى القدرة بمعنى القوة التى هى مبدأ لافعال مختلفة بحيث
اذا انضمت اليها ارادة احد الضدين حصل ذلك الضد لا المستجمعة
لجميع شرائط التأثير بالفعل كما هو عند المعتزلة او لجميع شرائط التسبب
العادى كما هو عنـدنا والا لوجب صدوره عقلا او عادة عندهـا
فلا تكون متقدمة عليه وهو خلاف المفروض وهذه القدرة اعنى
التى هى بمعنى القوة لا يمكن ان تؤثر فى المقدور ما لم تستجمع لجميع
شرائط التأثير كانضمام الارادة للعبد والمباشرة فى الفعل مثلا عند المعتزلة
او لجميع شرائط التسبب العادى كانضمام ارادة الله تعالى وقدرته مثلا
عندنا والا لزم وجود المعلول بدون علته التامة فالفعل حين التكليف
به غير مقدور بالفعل فلا بد من الذهاب الى ما ذهب اليه اهل الحق
من انه يكفى فى التكليف كون الفعل مما يصح ان تتعلق به القدرة
فى الجملة وان الممنوع من الفعل غير قادر عليـه كالزمن وان القدرة
الواحدة لا تتعلق بمقدورين اذ لا يمكن ان تتعلق بضدين معا فى وقت
واحد فتؤثر فيهما كما عرفت بخلاف القدرة التى هى قبـل الفعل
لانها لا يترتب على تعلقها بهما حينئذ ايجاد وتأثير ولو ترتب فليس
فى آن واحد كما مر وان القدرة التامة لا تكون الا مع الفعل فقد
انهدم بهذا التقرير اسـاس المعتزلة من اصله واصلهم من اسه واما
حديث امتناع بقاء الاعراض الذى هو اس لمذهب اهل السـنة
فمبنى على ثلاث مقدمات اثبـات كل منها اصعب من خرط القتاد
فالتعويل على ما قلنا واذا ثبت ان القدرة المستجمعة مطلقا لا تكون
الا مع الفعل فنقول المؤثر الحقيقى فى فعل العبد اما قدرة الله تعالى
وحدها او قدرة العبد وحدها او مجموع القدرتين وعلى الاول اما
ان لا يكون للعبد كسب واختيار ابدا وهو مذهب الجبرية وبطلانه
ضرورى للفرق الظاهر بين حركة المرتعش وحركة المختـار او

يكون للعبد كسب واختيار وهو مذهب الكسبية وعلى الثانى
فاما ان تؤثر فيه قدرة العبد وحدها بطريق الوجوب وامتناع
التخلف وهو مذهب الفلاسفة او بطريق الصحة والاختيار وهو
مذهب جمهور المعتزلة وعلى الثالث فاما ان يتعلقا جميعا باصل الفعل
وهو مذهب الاستاذ منا والنجار من المعتزلة وامتناع اجتماع علتين
مستقلتين على معلول واحد يبطله واما ان تتعلق قدرة الله تعالى
باصل الفعل وقدرة العبد بوصفه ككونه طاعة او معصية كما فى لطم
اليتيم تأديبا او ايذاء وهو مذهب القاضى وقريب من مذهبنا
والمعتزلة لما اتفقوا مع الحكماء على القول بتاثير قدرة العبد بالاستقلال
لم يتميز مذهبهم عن مذهب الحكماء الا بامر خارج عن التأثير وهو
القول بوجوب ذلك التأثير على العبد عقلا وامتناع انفكاكه عنه
عند الحكماء وباختيار العبد فيه عند المعتزلة فلم يبق النزاع الا بيننا
وبينهم فنقول لنا على خلق الله تعالى لافعال العباد دلائل عقلية
ونقلية * فمن العقلية ان فعل العبد ممكن وكل ممكن فهو مقدور لله تعالى
فلو كان بقدرة العبد ايضا لزم اجتماع المؤثرين المستقلين على اثر
واحد وهو باطل فلا بد أن يكون بقدرة الله وحدها وهو
المطلوب * ومنها لو كان العبد خالقا لافعاله لكان عالما بتفاصيلها
﴿الا يعلم من خلق﴾ لكن اللازم باطل فكذا الملزوم فكانت بقدرة الله
وقد يقرر هكذا لو لم يكن العبد عالما بتفاصيل افعاله لم يكن خالقا
لها لكن اللازم حق فالملزوم مثله فكانت بقدرة الله تعالى * ومنها
لو كان فعل العبد واقعا بقدرته واختياره لكان متمكنا من فعله
وتركه وحينئذ يحتاج الى مرجح لاحدهما على الآخر وذلك
المرجح يكون من العبد لغرض الاستقلال فينقل الكلام الى صدوره
عنه وهكذا فيتسلسل او ينتهى الى مرجح لا يكون من العبد فثبت
على تقدير الاستقلال عدم الاستقلال وهو محال فلا يكون واقعا

بقدرة العبد بالاستقلال قطعا وهذا الزام للخصم القائل بالاستقلال
لا تحقيق للمذهب اذ لا يلزم من عدم استقلال قدرة العبد فى فعله
استقلال قدرة الله تعالى فيه ولا يرد النقض بفعل البارى تعالى لان
المرجح ثمه ازلى هى الارادة القديمة * ومنها ان فعل العبد اما معلوم
الوقوع لله تعالى فيجب او اللاوقوع فيمتنع وان كان فى نفسه ممكنا
فان قيل المعلوم عند الله تعالى وقوعه بقدرة العبد واختياره قلنا
فلابد أن يختاره وهذا ايضا الزام للخصم اذ لا يلزم من وجوب اختياره
له ان لا يكون واقعا بقدرته والنقض بفعل الله تعالى غير وارد لان
علمه تعالى ليس سابقا على ارادته فيجب مطابقته للعلم قبل تعلق
الارادة بل تعلق العلم والارادة به معا فهو تعالى متمكن من الفعل
والترك حين التعلق فلا وجوب كذا قاله العلامة التفتازانى * اقول
يكفى فى ورود النقض سبق تعلق علمه تعالى على تعلق ارادته بالذات
ولا يحتاج الى تخلل ما بين التعلقين ولا يلزم من عدم سبق العلم
للارادة عدم سبق التعلق على التعلق فالصواب ترك هذا الدليل
من اصله * ومنها انه لو كان فعل العبد بقدرته فلو اراد تحريك جسم مع
ارادة الله تعالى سكونه فاما ان يتفق ما اراداه فى الوقوع او اللاوقوع
فيجتمع الضدان او يقع احدهما دون الآخر فيلزم الترجيح
بلا مرجح وعليه منع ظاهر فانظر * ومنها انه لو قدر العبد على فعله
لقدر على اعادته لكن اللازم باطل * ومنها لو قدر عليه لقدر على مثله
واللازم باطل ايضا * ومنها انه لو قدر عليه لقدر على خلق الجسم
اذ لا مصحح سوى الحدوث والامكان واللازم ضرورى البطلان
* ومنها انه لو قدر على فعل الايمان لكان فعله اشرف من فعل البارى
كخلق الشيطان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * ومنها انه
لو قدر على افعاله لما صح سؤال الايمان ولا الشكر عليه مع انه
مأمور به * واما النقلية فمنها ما ورد فى معرض التمدح بانه الخالق لكل

شئ وحده كقوله تعالى (هل من خالق غيرالله * لايخلقون
شيئا وهم يخلقون * الاله الخلق والامر) وعلى نحوهـا كثير
* ومنها قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) اما على المصدرية
المستغنية عن الاضمار فظاهر واما على الموصولية فلشمولها الافعال
التى يكسبها العبد من الحركات والسكنات والاوضاع والهيئات
اذفيها النزاع لا فى الايقاع * ومنها الآيات الدالة على انه تعالى هو خالق
الاعراض كقوله تعالى (وانه هو اضحك وابكى * كتب
فى قلوبهم الايمان * هو الذى يسيركم فى البر والبحر * مايمسكهن
الاالله) الى غير ذلك من الآيات * ومنها الآيات الدالة على ان جميع
النعم من عنده تعالى ومن جملة النعم الايمان والطاعات * ومنها قوله تعالى
(قل كل من عندالله) * ومنها الآيات الدالة على انه تعالى فعال لما
يريد ولاشك ان ارادته تعالى متعلقة بالكل * ومنها الادعية القرآنية
الواردة فى طلب الايمان والتوفيق والهداية واقامة الصلاة وغير
ذلك من الطاعات * ومنها الاحاديث الدالة على ماذكرنا تفصيلا وعلى
ان كل كائن فهو من عندالله وبتقديره ومشيئته اجمالا * ومنها اجماع
الصحابة ومن بعدهم قبل ظهور اهل البدع على ان كل شئ فهو
بتقديرالله ومشيئته ولابدلهم بذلك من مستند قاطع حتى ان
المتقدمين من المعتزلة لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لاخالق
الاالله كانوا يمنعون من تسمية العبد خالقا لافعاله ثم اجترأ المتأخرون
على هذه التسمية ولم يتحاشوا منها (سبحان الله عما يشركون)
وقداستدلوا على ان العبد خالق لافعاله بادلة عقلية ونقلية ايضا
* فمن العقلية انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل المدح والذم والامر
والنهى والثواب والعقاب وفوائد الوعد والوعيد وارسال الرسل
وانزال الكتب وبطل الفرق بين الكفر والايمان والاساءة
والاحسان وفعل النبى والشيطان مع ان ذلك البطلان ظاهر

البطلان والجواب ان هذا انما يرد على المجبرة النافين لقدرة العبد
واختياره لاعلى من يجعل فعل العبد متعلقا لقدرته وارادته واقعا
بكسبه وعقيب عزمه وان المدح والذم قديكون باعتبار المحلية دون
الفاعلية وان الثواب والعقاب حق الله فيتصرف فى حقه من غير لمية
والتكليف والبعثة والوعد والوعيد دواع الى ارادة الفعل
اوالترك ليخلقه الله تعالى على ان من الفسادات مايلزمكم ايضا كبطلان
استقلال العبد بناء على وجوب الفعل وامتناعه لوجود المرجح
اوعدمه وتعلق علم الله تعالى بوقوعه اولا وقوعه كما مر * ومنها ان
الافعال القبيحة يقبح من الحكيم خلقها كالظلم والشرك واثبات الولد
والجواب انا لانسلم القبح العقلى ولو سلمناه فانما القبيح كسب فعل
القبيح لاخلقه بل ربما يكون لخلقه عاقبة حميدة ومصلحة فيكون
حسنا بخلاف الكسب فان العبد لايعلم ان فيه مصلحة بل يعلم انه
مفوت للمصلحة * ومنها ان فعل العبد واجب الوقوع على وفق ارادته
فلوكان بايجاد الله لما كان كذلك لجواز أن لايحدثه عند ارادته بل
عند كراهته والجواب انه لو سلم وجوب الوقوع يقع على وفق
ارادة الله الموافقة لارادة العبد عادة * ومنها انه لوكان الله خالقا
لافعال المخلوقين لكان فاعلالها وصح اتصافه بها فيكون
كافرا ظالما فاسقا شاربا للخمر الى مالايحصى والجواب ان
هذا هذيان وحماقة اوعنت ووقاحة لان الفعل انما يتصف
به حقيقة من قام به لامن اوجده والا لزم ان يكون
الله تعالى اسود ابيض الى غير ذلك من الاعراض لانه خالقها
* قلت بل يلزم منه بطلان مذهبهم بمجرد قولى لهم مذهبكم
باطل لان الله تعالى خلق لى هذا الكلام فيتصف به فيكون هو
المتكلم به القائل مذهبكم باطل (فانها لاتعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور) ولا عجب من عوامهم وجهالهم

حيث شنعوا علينا فى هذا المعنى فى الازقة والاسواق بل العجب
من خواصهم وعلمائهم كيف سودوا به الصحف والاوراق * واما
النقلية فمنها الآيات المسند فيها افعال العباد اليهم وهى كثيرة جدا
والجواب ان اسناد الفعل الى من قام به لاينا فى كونه مخلوقا لله تعالى
ولاحقيقية الاسناد * ومنها الآيات الواردة فى الامر والنهى والمدح
والذم والوعد والوعيد وقصص الماضين للانذار والاعتبار والجواب
عنها مر فى اول البحث * ومنها الآيات الدالة على اسناد الالفاظ
الموضوعة للايجاد الى العباد كالعمل والفعل والصنع والكسب
والجعل والخلق والاحداث والابتداع والجواب انها مجاز فى
المسند او الاسناد جمعا بين الادلة * ومنها الآيات الدالة على انه
لامانع من الايمان والطاعة ولاملجئ الى الكفر والمعصية والجواب
ان المصقود الموانع الظاهرة كالموانع عن صرف القدرة التى يعلمها
جهال الكفرة لاالموانع التى خفيت على علماء القدرية * ومنها
تعليق افعال العباد بمشيئتهم ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾
والجواب ان مشيئتهم بمشيئته ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾
والحاصل ان الآيات الواردة فى مسئلة خلق الاعمال متعارضة
والشواهد الظاهرة اذا تعارضت بطلت شهادتها سيما فى مقام
اليقينيات وقد علمت بطلان ادلتهم العقلية التى هى بزعمهم يقينية
فلم يبق الا مذهب الحق مذهبا وهو أنه لاجبر محض ولاخلق
صرف بل العبد كاسب والرب خالق وللقوم فى معنى الكسب
والفرق بينه وبين الخلق عبارات مثل الكسب وقع بآلة والخلق
لابآلة والكسب مقدور وقع فى محل قدرته والخلق مقدور وقع
لافى محل قدرته والكسب لا يصح انفراده بالقادرية والخلق يصح
وتحقيق البحث انك قد سمعت ان العلم تابع للمعلوم فلا مدخل له
فى الوجوب والامتناع وسلب القدرة والاختيار وسمعت ايضا ان

القدرة تتعلق بالفعل او الترك على حدّ ماتعلق به العلم تعلقا مصححا
لاحدهما فتكون القدرة تابعة للعلم التابع للمعلوم فتكون تابعة للمقدور
الذى هو المعلوم وسمعت ايضا ان الارادة تتعلق باحدهما على حدّ ما
تعلقت به القدرة والعلم تعلقا مرجحا ومخصصا للمقدور فى احد
الاوقات فتكون الارادة ايضا تابعة للقدرة التابعة للعلم التابع
للمعلوم فتكون تابعة للذى اراده الله تعالى الذى هو المعلوم والمقدور
فاذا لاحظت هذه المقدمات الثلاث علمت ان فعل العبد متبوع بمعنى ان
العلم والقدرة والارادة تتعلق به على حدّ ماهو عليه فى نفسه وذاته
فتوجده على حدّ ذلك التعلق لا تابع بمعنى انه يكون متعلقا لها
فيوجد بها ولو على غير ما هو عليه ثم اذا تعلقت ارادة العبد به
وصرف همته اليه فيما لا يزال تعلقت به قدرة الله وارادته تعلق
تخصيص وايجاد بالفعل على حدّ ما تعلقت به ارادة العبد وهذا معنى
مايقال ان ارادة الله تابعة لارادة العبد واذ تحققت ذلك تحققت ان
صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل كسب وايجاد الله تعالى الفعل
عقيب ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت القدرتين لكن
بجهتين مختلفتين فاصل الفعل مقدور الله تعالى بجهة الايجاد ومقدور
العبد بجهة الكسب فاذا اراد العبد فعل الخير وصرف ارادته
وقدرته التى هى مبدأ لافعال مختلفة كما حققناه لك سابقا الى ذلك
الفعل خلق الله تعالى له قدرة فعل الخير التى هى مستجمعة لشرائط
التأثير لتكون سببا عاديا واوجد معها ذلك الفعل وعكسه اذا اراد
فعل الشرّ فهو المحصل لخلق قدرة الخير واكتسابه على الاول
فاستحق المدح والثواب وهو المضيع لخلق قدرة الخير واكتسابه
بل المحصل لخلق قدرة الشر واكتسابه على الثانى فاستحق الذم
والعقاب فليت شعرى هل فى هذا شائبة جبر فضلا عن محضه فان
قلت ارادة الله تعالى وان كانت تابعة لارادة العبد فيما لايزال

بمعنى انها تتعلق بالفعل او الترك على حد ما تعلقت به ارادة العبد لكن ارادة العبد لابد أن تتعلق باحدهما على حد ما تعلقت به ارادة الله تعالى فى الازل حيث لاعبد ولاارادة ليتطابق التعلقات كلها والالزم تخلف ارادة الله تعالى عن الذى اراده وايجاد الموجود على غير حد ما هو عليه وكلاهما محال فلزم الجبر قلت ان العبد لايعلم ماذا هو عليه وعلى ماذا تعلقت به ارادة الله حتى يجب عليه ان يطابق ارادته لارادة الله والفعل والترك بالنسبة الى قدرته سوآء فله ان يعلق ارادته بايهما شاء غاية ما فى الباب ان فعله يقع مطابقا لما تعلقت به الارادة وعلى حد ما هو عليه فى الازل وهذه المطابقة ليست فى شئ من الجبر اصلا لانها واقعة باختياره ومشيئته من غير علم له بها قبل الفعل بل العلم وقته حتى لو فرضنا ان الله تعالى خلق فى العبد قدرة وارادة تؤثران بنفسهما من غير تعلق لقدرة الله تعالى وارادته ولم تتعلق قدرة الله تعالى وارادته فى شئ من الفعل والترك لم يفعل العبد الا ما هو عليه ولو لزم من هذا شائبة جبر للعبد مع عدم علمه بماذا هو عليه لزم ان يكون الله تعالى مجبرا من باب اولى لعلمه بماذا هو عليه من جميع الافعال فان قلت اذا كان الكسب عبارة عن تعلق قدرة العبد وارادته بالفعل او الترك ومعلوم انهما مخلوقتان لله تعالى قبل تعلقهما باحدهما عاد المحذور لكونهما ليستا فى وسع العبد ومقدورتان له قلت لايلزم من كونهما مخلوقتين لله وغير مقدورتين للعبد كونه مجبرا والا لزم ان يكون الله تعالى مجبرا لكون قدرته وارادته بل سائر صفاته غير مقدورات له الاترى ان من اعطى عبده سكينا ليستعين بها على قضاء حوائجه فقتل بها انسانا لم يكن مجبرا له على قتله واستحق ذلك العبد العقوبة وانما يلزم الجبر لو كان هو الخالق لنفس تعلق قدرته وارادته والتعلق امر اعتبارى لايتعلق به خلق وايجاد كما قالوا فى الايقاع والايجاد والوقوع والحصول وسائر المقولات النسبية سوى الاين والا لاحتاج

(الى)

الى تعلق ثان للقدرة فى ايجاده فننقل الكلام الى التعلق الثانى وهلم جرا فتتسلسل التعلقات التى هى امور موجودة على ما فرضناه ان كان الموجد للكل هو القدرة الاولى والتعلقات والقدرات ان كان الموجد لكل تعلق قدرة على حدة نعم التعلق معلوم لله ومشاء له ومقدر عنده وقد علمت ان العلم والقدرة والارادة توابع لما هو عليه وبهذا التحقيق الذى لم نسبق اليه ظهر لك امور * احدها ان الثواب والعقاب والسعادة والشقاوة وزيادة العمر والرزق ونقصهما كل منها مرتب على فعل العبد الاختيارى وانه ليس له حجة على الله ولله الحجة البالغة * وثانيها ان معنى مثل قوله عليه الصلاة والسلام ﴿السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه﴾ ان ما هو عليه من السعادة والشقاوة الذى يكسبه بطاعته او معصيته مكتوب عليه وثابت له من بطن امه بل من الازل وهذا لاينافى اختياره فى فعله وكسبه لاحدهما بذلك الفعل الاختيارى * وثالثها ان النصوص الناطقة بترتب السعادة والشقاوة وزيادة العمر والرزق ونقصهما على الطاعة والمعصية لايجوز تأويلها بل هى محمولة على ظواهرها كما ان النصوص الناطقة بترتب الثواب والعقاب والمدح والذم ودخول الجنة والنار على الطاعة والمعصية كذلك اذهما مشتركان فى علة الامكان واخبار الصادق عن ترتب كل منهما على فعل العبد الاختيارى فما يجوز للبعض يجوز للبعض الآخر وما يمتنع على البعض يمتنع على البعض الآخر فلو جاز تأويل البعض جاز تأويل الكل ويلزم منه امور * الاول كون جميع الآيات والاحاديث الواردة فى الوعد والوعيد والانذار والتبشير والمدح والذم والثواب والعقاب ودخول الجنة والنار التى هى معظم الشرائع بل هى عين الشرائع مجازات غير مراد بها حقائقها وبطلانه ضرورى بل هو افتراء على الله تعالى * الثانى تكذيب القرآن فى جميع المواضع التى وصف الحق تعالى كتابه بالحكيم والمبين والمحكم والمفصل والشفاء والاهداء والرحمة والبشرى كقوله

تعالى ﴿ تلك آيات الكتاب المبين * تلك آيات الكتاب الحكيم *
هدى وبشرى للمؤمنين * كتاب احكمت آياته ثم فصلت *
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ﴾ وما
اشبه ذلك لان الفاظه اذا لم يرد بها معانيها الحقيقية ولم يكن هناك
من يبين لنا المقصود منها والمفروض ان الانبياء كلامهم ايضا من هذا
القبيل لا يكون من تلك الاوصاف فى شئ بل يكون ضلالا ونقمة
وعلة وما اشبه ذلك حاشا كلام الله وكلام انبيائه من ذلك * الثالث
يلزم ثبوت الغش واللؤم والحيلة والمكر للانبياء عليهم السلام ان كانوا
قد علموا معانى كتبهم ولم يبينوها لنا او بينوها على خلاف
معانيها المقصودة ويلزم الجهل اذا لم يكونوا عالمين بها * الرابع يلزم
ان يكون جميع الامم على الضلال لانهم لم يعلموا معانى ما جاءت به
انبياؤهم ولم تبين لهم فاعتقدوها على غير ما هى عليه وعملوا بها
على موجب ذلك الاعتقاد والحاصل ان المحذورات اللازمة من
تأويل النصوص الممكن حملها على معانيها الحقيقية كثيرة جدا مع
انها بالغة حد الكفر لا اقول بتكفير من يؤول لان لازم المذهب
ليس بمذهب بل اقول بابتداعه على ان السلف كانوا لا يتجاسرون
على تاويل النصوص التى يتعذر حملها على معانيها الحقيقية كالاستواء
على العرش وكونه تعالى معنا وله يد ووجه وشبهها مما يدل عليه
الايات المتشابهات وكانوا ينسبون الابتداع الى من يؤولها كما اشتهر
عن الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه انه قال حيث سئل عن
معنى الاستواء على العرش العرش معلوم والاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والسؤال عن هذا بدعة وما اراك ايها السائل الا مبتدعا
فنسبة الابتداع الى الذى يتجاسر على تأويل النصوص التى يمكن
حملها على معانيها الحقيقية اولى * رابعها ان نفس التبديل والتحويل
فى الآجال والارزاق بل فى كل شئ هو حقيقة مقدور لله تعالى

(لانه)

لانه فى نفسه ممكن وقد سبق ان قدرة الله تعالى تتعلق بكل مقدور
فلا بأس ان يقع ويدل عليه دلائل * منها النصوص المتقدمة
فى الباب الاول والثانى اجمالا وتفصيلا مر * ومنها ما صح
من الادعية الواردة فى الكتب الالهية وعلى ألسنة الانبياء ومن
يقوم مقامهم من الاولياء والعلماء ومن الامر بها من طلب السعادة
ومحو الشقاوة وطلب الغنى والهدى والاستعاذة من الفقر والضلال
وطلب طول العمر لهم ولمن والاهم وقصمه لمن عاداهم بل طلب
سائر انواع الخيرات والاستعاذة من سائر انواع الشرور لهم ولغيرهم
بل قد صنف فى ذلك من يعتد به كتبا ورسائل واحزابا واورادا
فلو لم يمكن التبديل والتحويل لما صح ذلك كله لان طلب المحال
والامر بطلبه لا يتصور من آحاد العقلاء فكيف يتصور من الانبياء
والاولياء والعلماء بل كيف يتصور أن يأمر الله عبده بطلب المحال
ويعلمه كيف يطلب المحال و يوعده باعطاء ذلك المحال اياه ودعوى
ان ذلك لمجرد اظهار التذلل والافتقار يأباه ظواهر النصوص
الناطقة بل القاطعة بالامر بالدعاء والوعد على الاجابة كقوله تعالى
﴿ ادعونى استجب لكم * اجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ لان معنى
الاجابة هو ايصال الداعى الى مطلوبه على الحال الذى طلب عليه
كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم * فاستجاب له
ربه فصرف عنه كيدهن * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى * فاستجبنا له
فنجيناه من الكرب العظيم * فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل
عامل منكم ﴾ بعد أن ذكر تعالى ما هو محكم فى ان مطالبهم كانت
تلك الامور وعدم الاجابة فى بعض الاوقات لفقد شرط من شروطها
كما تقدم فى الباب الثانى لا ينافى ذلك * ومنها ما صح فى حديث
التراويح من عذره صلى الله عليه وسلم عن الخروج اليها وقد اجتمع
الناس ينتظرون خروجه عليه السلام لمزيد رغبتهم فيها بقوله

﴿ خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها ﴾ فانه لا معنى لهذه
الخشية لولا علمه بامكان التبديل والتغير فانه ان كان قد سبق القضاء
بانها ستفرض فلابد أن تفرض وان سبق القضاء بانها لا تفرض
فمحال ان تفرض على ذلك الفرض على انه قد جاء فى حديث فرض
الصلوات ليلة المعراج ما هو ظاهر فى انها خمس صلوات مفروضة
لا غير فما معنى الخشية بعد العلم بذلك لولا العلم بامكان التبديل
والتغير * ومنها ماصح انه عليه الصلاة والسلام كان يضطرب حاله
الشريف ليلة الهواء الشديد حتى انه لاينام وكان يقول فى ذلك
اخشى ان تقوم الساعة فانه لامعنى للخشية مع اخبار الله تعالى له
ان بين يديها مالم يوجد اذ ذاك كظهور المهدى وخروج الدجال
ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج ودابة الارض
وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك مما يستدعى تحقيقه زمانا
طويلا فلو لم يعلم عليه السلام انه يمكن التبديل والتغير وان ماقضى الله
من اشراطها يمكن تغيره ما خشى من ذلك * ومنها ان المبشرين
بالجنة كانوا من اشد الناس خوفا من النار حتى ان منهم من كان
يقول ﴿ ليت امى لم تلدنى ﴾ وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه يقول ﴿ لو نادى مناد كل الناس فى الجنة الا واحدا لظننت
انى ذلك الواحد ﴾ وهذا ممالا معنى له مع اخبار الصادق وتبشيره
له بالجنة لولا العلم بامكان التبديل والتحويل والاعتراض بان ماعلم
فى الازل لا يمكن تبديله مدفوع بان التبديل من جملة ما علم الله
فى الازل فهو تقرير للمعلوم لا تغير له فان قلت امكان التبديل
والتغيير فيما اخبر به الصادق كتبديل وقت قيام الساعة
ودخول المبشرين فى الجنة محال والا لزم عدم الوثوق بالانبياء
وبما جاؤا به قلت امكان التبديل والتغيير فيما اخبر به الصادق
من جملة ما اخبر به الصادق فان اضطرابه وقوله اخشى ان تقوم

الساعة صريح فى امكانه وكذلك شدة خوف المبشرين فى الجنة مع
ما تقدم من اقوالهم صريح فى ان لهم علم من الصادق بهذا الامكان
على ان كلامنا خاص فيما اخبر الصادق عن وقوعه فضلا عن امكانه
كتبديل الشقاوة سعادة والعكس ونقصان العمر والرزق والزيادة
نسأل الله فى كل الخيرات الزيادة * واما الخاتمة نسأل الله حسنها
ففى وجوب الاقتصاد فى الاعتقاد والرضاء بالقضاء دون المقضى
وخلاصة الكلام فى الاول ما اشار اليه الامام حجة الاسلام من انه
لما بطل الجبر المحض بالضرورة وكون العبد خالقا لافعاله بالدليل
وجب الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أن افعال العباد مقدورة بقدرة الله
تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه عندنا
بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون
على وجه الاختراع اذ قدرة الله تعالى فى الازل متعلقة بالعالم من غير
اختراع ثم تتعلق به عند الاختراع نوعا آخر من التعلق فحركة العبد
باعتبار نسبتها الى قدرته تسمى كسبا له وباعتبار نسبتها الى قدرة الله
تعالى خلقا فهى خلق للرب ووصف للعبد وكسب له وقدرته خلق
للرب ووصف للعبد وليست بكسب له وتفصيله ان معول الجبرية
على مقدمات ثلاث اولاها بديهية هى انه لابد لترجيح الفعل على
الترك من مرجح ليس من العبد ثانيها الزامية هى ان تفاصيل
احوال العبد غير معلومة له ثالثها خطابية هى ان القدرة على الايجاد
صفة كمال لاتليق بالعبد الذى هو منبع النقصان ومعول القدرية ايضا
على مقدمات ثلاث اولاها بديهية هى ان العبد لو لم يكن قادرا على افعاله
لما حسن المدح والذم والامر والنهى ثانيها الزامية هى ان افعال
العباد واقعة على وفق مقاصدهم ودواعيهم ثالثها خطابية هى
ان افعال العباد تكون سفها وعبثا فلا تليق بالمتعالى عن النقصان وقد
علمت ان المقدمات الثلاث للجبرية وان لزم منها ان يكون الخالق

لافعال العباد هو الله تعالى لكن لايلزم منهـا ان لايكون للعبد كسب
واختيار بل هو مضطر مجبر فى افعاله كما هو مذهبهم اذ الفرق بين
حركة المختار وحركة المرتعش ضرورى فبطل مذهبهم بالضرورة
وعلمت ايضا ان المقدمة الاولى للقدرية مبنية على الحسن والقبح
العقليين ونحن لا نقول بهما والثانية على جواز عدم موفقة ارادة
الله لارادة العبد وقد علمت لزوم الموافقة عادة والثالثة على ان من
يوجد الفعل يتصف به حقيقة وقد عرفت ان هذا حماقة او وقاحة
فبطل مذهبهم بالدليل بقيت الادلة القرآنيـة المتعارضة التى ملئت
القرآن وكذا الآثار والاوضاع والحكايات التى هى شائعة فى كل
زمان حتى قيـل ان وضع النرد على الجبر والشطرنج على القدر
فعوّل كل من الفريقين الجبرية والقدرية على بعض من المتعارضين
واهمل البعض الآخر مع امكان الجمع بين تلك الادلة وقد عرفت
فى المقدمة ان المتعارضين يجب الجمع بينهما ما امكن فلما بطل المذهبان
عقلا ونقلا وجب ان يصـار الى غيرهما ولما كان مذهب الكسبية
مذهبا مقتصدا جامعا بين المتعارضات من العقلية والنقلية ومع هذا
فهو مبنى على مقدمة يلزم من القدح فيهـا سدّ باب اثبات الصانع
هى ان الممكن لايترجح الا بمرجح وجب الاعتقاد به فهذا تفصيل
ما اشار اليه الامام الغزالى رحمه الله تعالى وخلاصة الكلام فى الثانى
ان القضاء لما كان عند الاشاعرة هو ارادة الله الازلية المتعلقة بالاشياء
على ما هى عليـه فيما لا يزال والقدر ايجاده اياها على قدر مخصوص
وتقرير معين فى ذواتها واحوالها ومرجعهما الى التقدير والخلق كان
الرضاء بالقضاء واجبا لا بالمقضى لان المقضى قد يكون من الشرور
الاخروية كالكفر والمعصية فلايجوز الرضاء به فضلا عن وجوبه وتفصيله
ان للفعل نسبة الى الله تعالى باعتبار فاعليته وايجاده اياه ونسبة اخرى
الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره وعدم الرضاء به باعتبار

النسبة الثانية دون الاولى ووجوب الرضاء به باعتبار النسبة الاولى
دون الثانيـة والفرق بينهما ظاهر لانه لايلزم من وجوب الرضاء
بشئ باعتبـار صدوره من فاعله وجوب الرضـاء به باعتبار وقوعه
صفة لشئ آخر اذ لو صح ذلك اللزوم لوجب الرضاء بموت الانبياء
وهو غير جائز فضلا عن انه غير واجب والحكماء لما كانت عنـدهم
الارادة نوعا من العلم والممكنات غير مستندة اليـه تعالى بالذات بل
بالواسـطة فسروا القضـاء بالعلم بما ينبغى ان يكون عليـه الوجود
حتى يكون على احسن النظـام واكمل الانتظـام وهو المسمى
عنـدهم بالعنـاية التى هى مبـدأ لفيضـان الموجودات من حيث
جملتها على احسن الوجوه واكملها وفسروا القدر بخروجهـا الى
الوجود العينى باسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء ولما امتنع عقلا
عندهم ايجاد ما فى هذا العالم مبرأ عن الشرور بالكلية فان المطر المخصب
للبلاد يخرب بعض الدور بالضرورة قالوا يجب فى الحكمة ايجاده وان لم يكن
مبرأ عن الشرور لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير
فدخل الشر فى القضاء وان كان مكرها غير مرضى فعندهم ايضـا
يجب الرضاء بالقضاء لان الشر غـير مقصود فيه وان لزم دخوله فيه
تبعا لا بالمقضى لانه مكره غير مرضى واما المعتزلة فينكرون القضاء
والقدر فى الافعـال الاختيارية الصادرة عن العبـاد ويثبتون علمه
تعالى بهذه الافعال ولا يسندون وجودها الى العلم كما اسنده الحكماء
بل يسندون وجودها الى اختيار العباد وقدرتهم ومع هذا فيجوز
ان تقـع افعالهم على خلاف ما اراد الله تعالى عندهم ولذا قال عليه
الصلاة والسـلام ﴿لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا﴾ وقال عليه الصلاة
والسـلام ﴿القدرية مجوس هذه الامة﴾ وقال عليه الصلاة والسـلام
﴿اذا قامت القيامة نادى مناد فى اهل الجمـع اين خصماء الله فيقوم
القدرية﴾ واما ماروى عنه عليه الصلاة والسـلام انه قال لرجل
قدم عليه من فارس ﴿اخبرنى باعجب شئ رأيت﴾ فقـال رأيت

اقواما ينكحون امهاتهم وبناتهم واخواتهم فاذا قيل لهم لم تفعلون
ذلك قالوا قضاء الله علينا وقدره فقال عليه الصلاة والسلام ﴿ سيكون
فى آخر امتى اقوام يقولون مثل مقالتهم اولئك مجوس امتى ﴾
ومارواه الاصبغ بن نباته ان شيخا قام الى علىّ بن ابى طالب كرم الله
وجهه ورضى عنه بعد انصرافه من صفين فقال اخبرنا عن مسيرنا الى
الشام اكان بقضاء الله وقدره فقال ﴿ والذى فلق الحبة وبرأ النسمة
ماوطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولاعلونا تلعة الا بقضاء وقدر ﴾
فقال الشيخ عندالله احتسب عنائى ما ارى لى من الاجر شيئا فقال له
﴿ مه ايها الشيخ عظم الله اجركم فى مسيركم وانتم سائرون وفى
منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا فى شئ من حالاتكم مكرهين ولا
اليها مضطرين ﴾ فقال الشيخ كيف والقضاء والقدر ساقانا فقال
﴿ ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لوكان كذلك لبطل
الثواب والعقاب والوعد والوعيد والامر والنهى ولم تأت لائمة
من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن اولى بالمدح من المسئ
ولا المسئ اولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود
الشياطين وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه
الامة ومجوسها ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا لم يعص
مغلوبا ولم يطع مستكرها ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ولم يخلق
السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل
للذين كفروا من النار ﴾ فقال الشيخ وما القضاء والقدر اللذان ماسرنا
الا بهما ﴿ قال هو الامر من الله والحكم ﴾ ثم تلا قوله تعالى
(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) ومارُوى عن الحسن ﴿ ان الله تعالى
بعث محمدا الى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه
قوله تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها)
فالجواب عن الكل ان ماذكر لايدل الا على ان القول ٢ بان فعل

٢ اسم ان

(العبد)

العبد اذا كان بقضاء الله تعالى وقدره وخلقه وارادته لايجوز للعبد
الاقدام عليه ويبطل اختياره فيه واستحقاقه للثواب والعقاب والمدح
والذم عليه هو ٣ قول المجوس فلينظر أن هذا قول المعتزلة ام قول
الكسبية ولكن من لم يجعل الله له نورا فماله من نور كيف وقد صح عن
علىّ رضى الله تعالى عنه انه خطب الناس على منبر الكوفة فقال ليس منا
من لم يؤمن بالقدر خيره وشره على ان وجوب الايمان بالقضاء والقدر
ثابت فى الكتاب والسنة واجماع الامة حفظنا الله تعالى من شر القضاء
والقدر ووقانا من كل سوء وضرر بحرمة سيد البشر
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه
اجمعين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

تمت الرسالة بالخير واليمن والبركة آمين

٣ خبرها

وقد قدح زندى الجهد والجد * بحصاتى الهمة والانتهاض * فاومض بوارق نتائج الاغراض * من قوادح غمائم الاعراض * واستجلى من تسويد الغياهب غياهب التسويد * ومن بياض الصباح صباح البياض * الفقير الموثق بقيود الافتقار الى الغنى المطلق * والذليل المستمسك بعرى حبل عزه الموثق * المتشبث بسفينة العفو والغفران * حيث استغرق فى بحار الذنوب * والمستبل اذيال الستر والامان * على مايبرز منه من مضمرات النقائص ومسترات العيوب * افقر الورى * واحقر من دب على الثرى * محمد ضياءالدين ابن الشيخ يحيى الحاتمى عنصرا * والقادرى مسلكا * والحنفى مذهبا * والموصلى مسقطاً ومسكناً * كان الله لهما * ولمن والاهما * ولجميع المسلمين * وذلك فى اليوم الخامس عشر من شهر محرم الحرام المنتظم فى سلك شهور السنة التاسعة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية * على صاحبها افضل الصلاة واشرف السلام واكمل التحية * وبعدما امعن فيه النظر * جمع من العلماء الاعلام * واستعمل فيه الفكر * جم من الفضلاء الكرام * فاخرجوا شطاها بغيوث اذهانهم الهطالة * واراقوا طبعها بجوارى طباع اقلامهم السيالة * حيث امتنوا بتقاريض هى مقاريض لالسنة الحساد * بل صوارم لرقاب اهل الغى والعناد * ومجاديع لارتواء صدور اولى النهى والسداد *

تعين كل مفرد منها بالهدية * وتشخص كل واحد منها بالاشارة الحسية *

* هذا التقريض لعلامة عصره * وفريد دهره * مولانا العالم النحرير * وصاحب التفسير * الذى عز عن النظير * صاحب الفضيلة حسن حسنى افندى قاضى المدينة المنورة سابقا * ومن عز عن ان يكون له فى فضائله لاحقا * لازال ناشرا برود العلوم * على الخصوص والعموم * *

منه العون

لما سرحت طرف طرفى فى هذه الرسالة الانيقه * وجدتها جامعة لصنوف ورود المسائل الدقيقة * فهى للناظر كالحديقة * فلله در مؤلفها العالم الاريب * والاديب اللبيب * على ماجمع فيها من اشتات الدلائل * وقرب ما بعد من غوامض المسائل * بتحرير سلس للسائل * فنسأله تعالى ان ينفع من يطالعها وينظر فيها * بما حوته الفاظها واشتملت عليه من معانيها * وان يحفظنا واياه مع سائر المؤمنين من سوء الاعتقاد * وان يقينا حر جهنم واهوال يوم التناد * بجاه من ادلنا على ذاته بقديم صفاته * وبلغنا محكم تنزيله بآياته * عليه افضل صلواته وتحياته *

قاله الفقير ونمقه بنانه
السيد حسن حسنى
الموصلى

* هذا التقريض للشاعر الماهر * والعالم الناثر * ذى الجناحين * بلامين * ومن زين صدور الدفاتر * بما شرقت منه المحابر * ذو النظم البديع * المزرى بازهار الربيع * نزيل القسطنطينية * وعمدة العصابة الفاروقية * صاحب السعادة جناب احمد عزت باشا * وفقه الله تعالى لمايشاء بماشا * *

* الا ان مفتاح السعادة لم يزل * من الامد الاقصى بكف محمد *
* ولاشك ان الخير منه ولن ارى * عجيبا اذا مادار فى يد احمد *

لقد وقف فكرى الحائر على هذه الرسالة التى طوت فى صحائفها
المحاسن * وجف القلم منها بما هو كائن * فعراه مما اشتملت عليه
من الغوامض حالة المقعد المقيم * واضحى متردداً بين التأخير
والتقديم * وكلما كررت فيها النظر * واعملت بها الفكر *
واستنهضت ذهنى للكتابة عليها * والوقوف لديها * تحير قلمى
منكساً رأسه * مصعدا انفاسه * لان الخوض بهذا البحث المتين
قد الجم الفحول * وجعل سيف آرائهم غير خالية عن الفلول *
لكنما هذا المؤلف الفاضل * لم يدع قولاً لقائل * بل كشف عن
مخدرات هذا البحث قناع الاشكال * وابرز هلاله فى افق الكمال *
واقام ميزانه بالقسط محافظةً لزلة الاقدام * فنقض وابرم ما حدث
فيها من النقض والابرام * فما وسعنى السكوت عن الكلام * الذى
تمت لنابه الفائده * لانه ارانا بتدقيقاته صدوره وبتحقيقاته موارده *
كيف لا وهو روض انا نسيمه * وحوض انا جميمه * وعبر ارانا
شميمه * وعود جمرته لسانى * وشكره داخل تحت ضمانى *
الا وهو العالم الذى غرّدت بلابل اقلامه على غصون التأليف *
ونظمت صناع انامله درر العلوم فتزينت اعناق الفضلاء بقلائد ذلك
الترصيف والتصنيف * جناب الافضل الاعلم * والهمام الاقوم *
من زين بلدتى * بل اهل جلدتى * العالم العلامة * والحبر الفهامة *
محمد افندى الحاتمى الموصلى * لازال ملحوظاً بالنظر الخفى والجلى *
فهو للفضل عينه وقراره * وللعلم شعلته وناره * وللكمال شعاره
ودثاره * وللادب اكامه وازراره * وللطف نواره وازهاره *
فالعلم احدى فضائله * والادب ايسر فواضله * نعم ان خلاصة
الذهب تظهر بالسبك * والنقد يتبين عند المحك * فالانسان مجبور
بها على الاخذ لا الترك * حيث اجراها فى اعذب العبارة اسلوبا *
وقوم صعادها فاطردت انابيب معانيها انبوباً انبوبا * لازال ملجأ

فيما حرر وحبر * لمن غرق ذهنه وتحير * فى امواج بحر القضاء والقدر *
محفوظاً بعناية من جعل الاجل محتوما * لا يتأخر فرد عن علمه *
والرزق مقسوما * لا يتقدم شئ عن حكمه * ما تلا تال بفصل
الخطاب ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾

وكتب الفقير اليه عزشانه
احمد عزت فاروقى

هذا التقريض لواحد الكتاب * فى كل باب * والساحب
ذيل فضله * وفاضل ذيله * على المثل السائر * كما دار
فلكه الدائر * على كل كاتب وشاعر * فخر الجرثومة
الفاروقية * وزهرة تلك الروضة العمرية * صاحب السعادة
جناب عبد الله حسيب افندى * لازال موفقا للخير فى كل
ما يعيد ويبدى

* قالوا مفاتيح الامور كثيرة * ما كل مفتاح يفيد نجاحا *
* لكن مفتاح السعادة للذى * يبغى النجاح جعلته مفتاحا *

لقد تسرحت اهداب انظار افتخارى * بامشاط سطور طروس
هذا التأليف الشريف * المستغنى عن الترصيف والتوصيف *
المتوشحة معانيه * المتدفقة مبانيه * من ينبوع قلم قد اقسم
بالنون والقلم * ان بدائعه تفجرت من عيون فيوضات البارى *
وزلال فوائده على رياض الاذهان جارى * وهو لفارس ميدان
المنقول والمعقول * الذاهب حسن انسجامه بالعقول * العلامة
الاديب * والفهامة الاريب * الذى لا يشك احد فى فضله وكماله
ولا يريب * من له اليد الطولى فى المنظوم والمنثور * صاحب

الشعر والشعور * حضرة محمد افندى الحاتمى الموصلى * فهو
قد اتخذ البلاغة شعار * والفصاحة دثار * لازالت محابر افكاره *
على صفحات نور آثاره * تولج الليل فى النهار * وضياء مشارق
فضائله السائل كالسيل * فى سواد عيون ارباب الالباب يولج النهار
فى الليل * فرأيته قدجمع فيه عقود جواهر ويواقيت ما نظمها
فى اسلاك درره الشعرانى * ولافاز فى مفازات معانيها التفتازانى *
فسبحان القادر * كم ترك الاول للآخر * والواحد الاحد ما تمثل
لفن مثلها ثانى * ولا فى جهات محاسنها الست لها مدانى *
والسبع المثانى * ولا وجدت وان جدّيت شبهها نسخة اخرى *
ورب الشعرى * كيف لا وادهم قلم ذهنه الرائض * الكاشف
الغوامض * الجامع بين السنن والفرائض * قد حل فى روح
الشروح * وحل عقد نفاثات التعقيدات من خفايا العقائد * فجعل
صدر الطالب للوضوح مشروح * وامتطى يراع براعته متون
المتون * وجاب سباسب اسباب التدقيق * فى الامر الدقيق *
فازال الشبهات والظنون * وناداه الالهام الآلهى ﴿ قل الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون ﴾ * فلهذا لا استطيع حصر انوار فضائله
فى مشكاة مصباح الصباح والمساء

* فهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء *

وهل اقدر على استقصاء قصصه الذى يقص الحق فى سطرين *
وهو للفضائل كالشمس المنيرة التى قدنشرت اجنحة اشعتها فى الخافقين *
وبينى وبينها بعد المشرقين * وقبل ان ينطلق لسانى * وينطق
جنانى * بانى لست هناك * اعترف بان العجز عن درك الادراك
ادراك * وما ادراك *

حرره الفقير الى عناية ربه القدير
فاروقى عبد الله حسيب

﴿ هذا التقريض للعالم الفاضل * والاديب الكامل * طاهر ﴾
﴿ الاخلاق بالاتفاق * والجامع لاشتات المكارم على الاطلاق * ﴾
﴿ صاحب الفضيلة محمد طاهر افندى الاطاسى * لازال محفوظا ﴾
﴿ من مكايد الدهر القاسى * مادامت الاعلام وثبتت الرواسى ﴾

حمداً لمن تحيرت بباهر حكمته اولو الالباب * واستندت لتأثير قدرته
عموم المسببات والاسباب * الفاعل بمحض الاختيار بلا ايجاب *
* يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب * وصلاة وسلاما على
من ارسل للعالمين رحمة * وتبدلت بجاهه فرضية الصلاة من الخمسين
الى الخمس رفقاً بالامة * المؤيد بالحجج القاطعة * والآيات اللامعة *
انذر اهل الالحاد ولمن تمسك بسنته السنية بشر * واطمع بانقلاب
الشقاوة سعادةً لمن اناب من ذنبه واستغفر * وعلى آله واصحابه الذين
خصوا بمزيد الفضائل والكمالات * والذين يدعون ربهم خوفا
وطمعاً للعلم بالمحو والاثبات * وبعد فقد ثنيت للتأمل فى هذه الرسالة اعنة
الافكار * فرأيتها تشن الغارة بمحاسن ابحاثها على المسامع والابصار *
اذ مدت باظهار الحق باعا * وأطلعت بارجاء الصواب شعاعا *
واوضحت الدليل * وسلت كل مرهف صقيل * ودعت من تأمل بها
ووعاها * وكشف النقاب عن حقية مدعاها * ان يكون بالخوف
والرجاء لله تعالى متبتلا * عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم لو وزن
خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا * للعالم الفاضل * والمتبحر
الكامل * حاتمى زاده الشيخ محمد افندى ابن الشيخ يحيي افندى الموصلى
لا زال به الفضل لدرجات المأمول يعتلى * فجزاه الله الخير عن جميل
هذا الكسب والاختيار * وكتبنا واياه فى زمرة الصالحين الابرار * آمين

الفقير اليه تعالى خادم العلم الشريف
اطاسى زاده محمد طاهر

هذا التقريض للعالم الذى افتخرت به عشيرته * والزاهد
الذى صفا سرّه كما صفت سريرته * مدرس المدرسة الاحمدية
والعثمانية * فى حلب الشهباء المحمية * من افاد بعلمه الطلاب *
واراهم من تدقيقاته العجب العجاب * صاحب المكرمة *
حسين افندى الايوبى الكردى * لازال محفوظا من
كل ما يوبى ويردى *

الحمد لله الذى علم الانسان ما لم يعلم * وجعل العلم افضل حلية لبنى
آدم * واتقن بالتعليم والتعلم نظام العالم * والصلاة والسلام على
خير مرسل الى خير الامم * وعلى آله واصحابه نجوم الهدى
وينابيع الحكم * اما بعد فان العلم صفة نوارنية * بها يحصل
التوقى من الجهل والضلالة الدنيوية والاخروية * ولطيفة
ربانية * بها يحصل الترقى الى غاية ما يمكن من الكمالات
البشرية * وان علماء الشريعة والدين * اعلى الله درجاتهم الى
اعلى العليين * لولا بذلوا جهدهم فى استنباط القواعد الشرعية *
والاصول الدينية * وتدوين المذاهب الفقهية * والعلوم الآلية *
لصار امر الدين والاحكام الآلهية * كما كان عليه فى ايام الجاهلية
* ولم يوجد لمعرفة الحلال من الحرام * والاجتناب من الذنوب
والآثام سبيل * ولذا ورد فى الخبر * عن سيد البشر * علماء امتى كانبياء بنى
اسرائيل * وان هذه الرسالة الموسومة بمفتاح السعادة * المنظومة
فى سلك التنقيح والاجادة * للعالم التقى * والفاضل الزكى *
الشيخ محمد افندى ابن الشيخ يحيى افندى الخاتمى الموصلى *
قد حلت عقود معاقد العقائد * وجنت عنقود فرائد الفوائد *
وجبت شتات شوارد الشواهد * وجاءت بتحقيق ما يحقق طول
الامل * من جواز التقدم والتأخر للاجل * مع التطبيق بين

ما تعارض فيه من الادلة * واستدركت فى بعض المشكلات على
بعض الاجلة * فدلت بما ذكر من الاوصاف * لدى التأمل
والانصاف * انها تستحق ان تطبع فى مطابع العقول والاذهان *
وتسمع بمسامع القبول والاذعان * وان يقال فى حق مؤلفها مع
انها نبذة من فضله * وعجالة من قوة فكره وعقله * انه من
فضلاء هذا الزمان * واذكياء هذا الوقت والاوان * زاده الله
فضلا وافاده * ورزقه السعد من مفتاح السعادة *

كتبه المفتقر الى عفو مولاه حسين عون الله من الاكراد الايوبية
مدرس المدرسة العثمانية والاحمدية بحلب الشهباء المحمية

هذا التقريض للشبل الذى تولد من برج الاسد * ومن افتخر به
الوالد بما ولد * فتشابه الاب والابن بما خص وعم * ومن يشابه
ابه فما ظلم * سابقاً نائب المدينة المنورة * وخادم تلك الحظيرة
المطهرة * صاحب المكرمة السيد محمد سعيد افندى فخرى زاده *
ومن تردّى فى الطراز الاخضر من اثواب السيادة * لازال بعلمه
يهتدى * كما فى ابيه وجده يقتدى *

حمدا لمن كون الاشياء بمشيئته * وقدّر ما كان وما سيكون بمقتضى
حكمته * فلا يكون الا ما شاء * ولا يحدث الا ما سبق به القضاء *
وصلاة وسلاما على من تكوّنت ذاته من نور * وتبسمت باشراق
جماله العوالم بمباسم الثغور * وعلى آله واصحابه نجوم الهداية *
الذين قمعوا بصوارمهم افئدة اهل الغواية * ما سبحت الاملاك *
وتحركت الافلاك * اما بعد فلما سرحت آرام فكرى *

وارسلت هزار نظرى * فى هذه الرسالة الانيقة * المحتوية على
معان رقيقه * التى الفت للتفرق بين القدرة والارادة والقضاء *
وجمعت جميع ما تكلم به اهل التحقيق من العلماء * وجدتها روضة
علم يانعة فائقه * ودوحة كمال زاهية رائقه * اغصان عباراتها قد
تزينت باثمار معانيها * وسلسبيل كلماتها قد تسلسل بسبك مبانيها *
فشمتها بكراً قد سحبت اذيال فضائلها * لما حوته من تيه دلال
محاسنها * مشعرة عن طول باع مؤلفها * فيالها من رسالة يحق ان
ترقم بماء الذهب * فتكون تذكرة لاهل العلم والادب * كيف
لا ومؤلفها العالم العامل * والحبر الكامل * الذى اقتطف ورد
الادب بانامل الافكار * وتناول رياحين العلم بيد الاقتدار * حتى
برع فى عنفوان شبابه وفاق * وحاز قصب السبق على الرفاق *
وانى خبير بحال هذا الفاضل * وما حواه من اشتات الفضائل *
منذ نشا وترعرع * وفاق اقرانه وبرع * لمصاحبتى اياه مدة مديدة
من الزمان * لحقيق بان يشار اليه بالبنان * اعنى جناب العالم الفاضل
والمدقق الكامل * محمد افندى الخاتمى * شعار زاده الموصلى *

* اديب قد تحلى فى علوم * وافصح منطقا فى ذا الكلام *
* ففاق رفاقه فيها وابدى * لآلى الدر فى نظم الكلام *

لازال قطبا تدور عليه رحى الآداب * ومركزا لاستفادة الاصحاب
والاتراب *

قاله بلسانه ونمقه ببنانه سابقا
نائب المدينة المنورة محمد سعيد
قاضى زاده الموصلى

هذا التقريض لفقيه زمانه * ونعمان اوانه * من التقط
الجواهر من معادنها * واللآلى من اماكنها * العالم الكامل
الاديب الفاضل * من هو بكل مدح لائق وحرى * جناب
نعمان افندى الجوهرى * لازالت جواهر منظوماته تزين
الاعناق * دائرة فى الاقطار والآفاق

شعر

رسالة يهتدى فيها المضل الى * نيل السعادة بالاحسان والكرم
وكيف لا والامام الحبر جاء بها * محمد موصل الانسان للنعم
الله عنا يكافيه بطول بقا * حتى يوصلنا للعلم بالحكم
بجاه خير الورى طه الحبيب لنا * صلى عليه اله الخلق والامم

بيتين آخرين

محو الشقاوة بالادلة ناطق * لكنما توضيحها مجهول
حتى وفاه محمد برسالة * عنا بها لقد انمحى تضليل

وكتب الفقير نعمان
الجوهرى

هذا التقريض لفاضل عصره * واديب مصره * من تعقد
على فضله الخناصر * وتفخر به الاواخر * الحسيب
النسيب * واللبيب الاريب * السيد محمد نسيب افندى
الحمصى * لازال مغمورا فى لطف الحميد المحصى

ان اسمى شجرة تغرس فى رياض الطاعات على التحقيق * واقوى
اكسير لانقلاب المساوى محاسن لدى التدقيق * حمد بليغ قامت
سواطع الحجج على اختصاصه بمن انفرد بالاعدام والايجاد * وتنزه

فى جلال ذاته وكمال صفاته عن شوائب النقائص والاضداد * فبرأ النسم * وكفى الامم * وخلق اللوح والقلم * لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها * مستوليا من غاية رفع منار الكائنات على اقصاها * مميطا عن وجوه خرائدها استار غياهب الغياب * كيف لا وقد قال سبحانه ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب * ثم قضى لكل من عباده اجلاً واجل مسمى عنده واحكم * فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولات ساعة مندم * وزواكى صلوات ونوامى تسليمات على العالم الكلى * والجوهر القدسى * محمد المبعوث هدى للانام مبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وعلى آله وصحبه مساطع شموس المعارف * ومطالع بدور العوارف * اما بعد فان من انور العلوم الى الهدى مشكاة ونبراسا * واعلاها فى بيداء التحقيق منارا واقواها اساسا * علم الكلام الذى تحل به عقائد العقائد * وتنفل به معضلات دقائق الفوائد * وان من درر مسائله التى عجزت عن دركها خواص الغوّاص * وشوارده التى شردت ولم تك بالقابلة للاقتناص * مسئلة الاجل والقضاء والقدر * التى تاهت فى مهمه منها الباب اولى الفكر * هل هو مبرم لا يتبدل او يقبل الازدياد والانتقاص * ولطالما توارد العلماء فى الاعصر السالفة * يحاولون الوصول اليها وهى سحيقة عنهم لهم مخالفة * فما زالت بكرا مخدرة خبيسة بالوصل * محجوبة عن بصائر اولى الفضل * حتى زفت وهى شمس فى عزتها على بدر المحاشد * سرّ المحامد عضد المواقف سعد المقاصد *

* اسد بمضمار الحقائق محرز ال * قصبات مستول على اضرابه * معدّل ميزان المعقول والمنقول * اول من جنا من جنى اغصان الفروع والاصول * والامام المحقق * والنحرير المدقق * مولانا

الشيخ محمد افندى ابن الشيخ يحيي افندى الحاتمى الموصلى * ادام فضله وعلاه الفرد العلى * فنال منها ما نال * بعد الرتع فى جنات الوصال * وتصدى لتصويب الشان بعدما اعوج بمقتضى ما رأى * وانتصب لتقريب حق بها فى سماء العز نأى * مقتطفا من ازهار اشجار الحقائق رياها * مرتشفا من نقاوة سلافة كؤوس الدقائق حمياها * وشمر عن ساق الجد وحرر الكلام * واجاد ولله دره فيما افاد من المرام * وحقق ودقق وبالقبول اسمع * وحج كل بليغ تحدى واصقع * ثم قد سلك منهاجا بديعا فى كشف اسرار التحقيق * واستولى على الامد الاقصى من رفع منار التدقيق * واحرز ما صفا فابرز هذا الكتاب * واتى فيه بجوامع الكلم وفصل الخطاب * موردا ما جرى بين الاجلة عند الطراد فى مضمار المناظرة * وما افادوا بعد الاختبار بمسبار المفاكرة * مذيلا بما لاح له بعد ما قد تلألأ عن افق اليقين * وشهد بصحة لسان الحجج والبراهين * وسماه مفتاح السعادة * فى سعة العمر والرزق والزيادة * ولعمرى قد طابق الاسم المسمى * واستوى فى ادراك تلك البصير والاعمى * جزاه الله عنا وعن عامة العلماء بما هو اهله * واغدق ثغره من عيون التحقيق بما هو نهله * ولا زال شمسا فى سماء الفضل حوله اجزاء رشية من الفضلاء * متصاغرة لان بضدها تعرف الاشياء * فينعكس عنها اليهم الشعاع * مختلفة الوانهم وهم لها اتباع * او الفلك الاعظم تنتهى اليه جهات التحقيق * وتحدّد به كما تنتمى اليه جهات التدقيق *

قاله بفمه وكتبه بقلمه السيد

محمد نسيب زين العابدين الحمصى

الحمد لله الذى طبع فى مرايا العقول صور جواهر المعانى * كما طبع
فى سطور الطروس اشكال اصداف المبانى * ونشر مطويات دقائق
العلوم * فى دفاتر حقائق افراد نوع الانسان * كما نشر اعلام
اوراق الصحائف من مطابع الرسوم * فى سائر الاقطار والامصار
والبلدان * اتقن بحكمته نظام العالم اكمل اتقان * ورقى بعنايته
معارف عوارف ابن آدم * على ممر الايام والازمان * والصلاة
والسلام الاتمان الاكملان * المتجددان المتواليان * على عين اعيان
الانسان * وانسان عين الاعيان * ومنبع العلم والعرفان * ومطمح
انتقاش صور تجليات الرحيم الرحمن * فى سجنجل تعينه الاول
للعيان * سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا ومولانا محمد الذى منه
انتشرت حقائق المعارف * وبرزت مكنونات دقائق العوارف * وعلى
آله الذين ملأوا صفائح صحائف المفاخر * ومفاخر صفائح الصحائف *
من جلائل المناقب وعظائم المآثر * واصحابه الذين بيضوا وجه
الزمان بما سودوا به صفحات الصحف والاوراق والدفاتر *
اما بعد فقد من الله اللطيف الكريم الخبير * العليم المريد القدير *
بجوده وكرمه واحسانه * وانعامه وفضله وامتنانه * على العبد
الفقير الذليل الحقير * المحتاج الى عفوه وغفرانه ورضوانه *
باكمال طبع هذه الرسالة الجليلة * الحسنة الجميلة * الموسومة بمفتاح
السعادة * فى سعة العمر والرزق والزيادة * المشتملة على حقائق
جمة * ودقائق مهمة * من مهمات علم الكلام * الذى حارت
فيها العقول والافهام * وتاهت فى بيدائها الافكار والاوهام *
كمسئلة محو الشقاوة والسعادة * والسعة فى العمر والرزق والزيادة *
وكمسئلة حقيقة الايمان * وانه هل يقبل الزيادة والنقصان *
وكمسئلة خلق افعال الانسان * وكتحقيق مسئلة القضاء والقدر *

(وغيرها)

وغيرها من المهمات المقتضية لدقة النظر * وقد جرت رقة
هذا الطبع * فى انابيب حسن الوضع فى عنفوان ايام الزمان *
واخضرار اغصانه * فى حدائق رياض سلطنة السلطان الاعظم *
وابتهاج العصر والاوان وتبسم افنانه * بمباسم ثغور خلافة الخليفة
الافخم * الذى ارتقت فى عصره المعارف * الى اقصى غاياتها *
وتناهت فى وقته العوارف * حتى بلغت نهاياتها * فلم يبق احد
الا وهو عارف * بحقائقها وماهياتها وهوياتها * رافع الوية الملة
الاسلامية * الى اعلا مقام * وقائد جيوش الامة المحمدية * باشرف
زمام * مجلى مظاهر اهل العلوم والعرفان * على منصة التشريف
ومصداق (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فى كل معنى لطيف *
الا وهو المفرد الذى ليس له مماثل ولامدانى * فخر النسب
العثمانى * مولانا حضرة السلطان الغازى * وصاحب الفتوح والمغازى *
(عبد الحميد) خان الثانى * ابد الله ملكه وايد سلطنته بالقرآن
العظيم والسبع المثانى * وذلك فى الآستانة العلية * دار السلطنة
السنية * فى المطبعة العثمانية * صانها رب البرية * من شر كل آفة وبلية *
فى اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة المنتظم فى سلك
السنة التاسعة بعد الثلاثمائة والالف * من هجرة منبع الشرف *
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم وعظم وكرم وشرف *
والذى امتن على الفقير بطبعه * ونشر طى حسن وضعه * هو الفرد الذى
زكت منه الاخلاق والطباع * واشتهر فضله فى الآفاق والبقاع *
وشاع وذاع * حتى ملأ الاسماع * مورد اهل الفضل والتقى *
ومصدر اهل العلم والنقى * صاحب العطف والعطوفة * والشمائل
الشريفة * حضرة سعدى بك افندى حفظه الله المعيد المبدى * من كل
ماردى * وذلك بالتزام منشئها الفقير * لتصحيحها بعد تصحيح العلماء

المصححين * وامعان نظر مؤلفها الحقير * فيها غب تدقيق الفضلاء
المدققين * نسأل الله النفع بها لى ولاخوانى المسلمين * آمين وصلى
الله على محمد وآله وصحبه اجمعين * وسلام على
المرسلين * والحمد لله رب العالمين *